خير الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٤٠هـ/٢٠١٩م

رقم الإيداع: /٢٠١٩م

خير الناس

تأليف
حمد بن إبراهيم العثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وسلم؛ أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد: فإنّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم خير الناس، وذكر محاسنهم وفضائلهم من

السنَّة، وهو من موالاتهم وموالاة من صحبوه رسول الله ﷺ، ومن موالاة من اصطفاهم للإيمان به، واتباع نبيه ونصرة دينه.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم المرجع في فهم نصوص القرآن والسنة؛ فقد كانوا أفصح الخلق، ونزل القرآن بلغتهم، وتلقوا معاني نصوص الوحي من النبي ﷺ مباشرة، وحضروا قرائن الأحوال فأدركوا من أسباب فهم القرآن والسنَّة ما لم يدركه من بعدهم.

والله عَزَّوَجَلَّ أمرنا بتلقي الدين عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجعل رضاه في اتباع الصحابة بإحسان، فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الواسطة بين النبي ﷺ المُبلِّغ عن الله وبين الأمَّة.

والأمَّة كلُّها تعرف فضل الصَّحابة، وأنَّهم العمدة في نقل الدِّين إلىٰ الأمَّة، وأنَّهم خير النَّاس، وأتقىٰ الخلق، وأعلم الأمَّة بعد نبيِّها ﷺ، وأفقهها، فيأخذون عنهم الدين، ولا ينفردون بمخالفتهم، بل يتابعونهم فيما بلغوه عن رسول الله ﷺ.

وبموافقة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تعرف هدىٰ المحقِّين وضلالة المبتدعين، وتعرف الاعتقادات والمناهج الصحيحة من الباطلة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم فقهاء الإسلام، فهم الذين أدَّوا فقه الإسلام إلىٰ الأمصار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إنّ الأمصار الكبار التي سكنها

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٣٠١).

أصحاب رسول الله ﷺ؛ خرج منها العلم والإيمان».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «العلم إنما انتشر في الآفاق عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد، والقلوب بالعلم والقرآن، فملئوا الدُّنيا خيرًا وعلمًا، والناس في بقايا آثار علمهم».

وتلقِّي الدِّين عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ هو من التماس العلم عن الأكابر، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا يزال الناس بخير ما كان العلم في أكابرهم».

وتلقي فقهاء الأمة العلم والدين عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ كان من أسباب هدايتهم وصحَّة اعتقادهم، وبقاء الدين محفوظًا عن ضلالات المبتدعين.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصول السُّنَّة عندنا: التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع».

ومادة فضائل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأساس خيريتهم؛ هو الإيمان بالله، والاهتداء بوحيه، والاتباع للنبي ﷺ، فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اتخذوا تلاوة القرآن للإيمان والعمل به؛ فكانوا خير من تلا القرآن حق تلاوته.

وحسبي في هذا المؤلف المختصر أن أذكر أمهات فضائلهم وخصال خيريتهم، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

حمد بن إبراهيم العثمان

---

(١) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ (٢٨٩).

الفصل الأول

مرجعية الصحابة

مرجعية الصَّحابة

زكَّىٰ الله الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ورضيهم، وأمر باتِّباعهم، وأخذ الدِّين عنهم، وحذَّر من العدول عن سبيلهم.

وقد أثنىٰ النبيّ ﷺ علىٰ أصحابه، وأعلم أمَّته أنَّهم خير النَّاس، وتولَّاهم بالتَّعليم والتَّربية والتَّزكية ليؤدُّوا هذا الدِّين للخلق كافَّة.

وقد تلقَّىٰ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عن النبيّ ﷺ ألفاظ القرآن ومعانيه، فكانوا أوَّل مخاطب به، وقد حضروا تنزيله وأدركوا أسباب النُّزول، وشرح النبي ﷺ لمعانيه، فكانوا أفقه الأمَّة.

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حفظوا ميراث النبوَّة، وورَّثوه للأمَّة، فكانوا من أسباب هدايتها وسعادتها.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «رضي عن السَّابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التَّابعين إلا أن يتَّبعوهم بإحسان».

واتِّباع السَّابقين الأوَّلين بإحسان يكون بتلقِّي الدِّين من جهتهم وموافقتهم

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٤٤١).

في الاعتقاد، وتلقِّي فقه الأحكام عنهم.

قال الحافظ المحدِّث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في معنىٰ اتِّباع السَّابقين الأوّلين بإحسان**(١): «أي باستقامة وسلوك للطَّريق الذي درج عليه السَّابقون».

وقد أوجب الله علىٰ المؤمنين اتِّباع سبيل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقال سبحانه: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الآية دلَّت علىٰ أنَّ متَّبع غير سبيل المؤمنين مستحقٌّ للوعيد، كما أنَّ مشاقّ الرَّسول ﷺ من بعد ما تبيَّن له الهدىٰ مستحقّ للوعيد، ومعلوم أنَّ هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرده، فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل في ذلك لكان لا فائدة في ذكره».

وتلقِّي الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين تلقَّوه عن النبيِّ ﷺ؛ هو من الاتِّباع للنَّبي ﷺ.

قال العلَّامة أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «إن الاتباع عند العلماء؛ هو الأخذ بسنن رسول الله ﷺ التي صحَّت عنه عند أهلها، ونقلتها وحفَّاظها والخضوع لها، والتسليم لأمر النبيِّ ﷺ فيها تقليدًا لمن أمر الله بتقليده والائتمار

---

(١) شرح السنَّة (١٤/ ١٦٨).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (٢/ ٣٣٧).

(٣) الحجة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٣٣).

بأمره، والانتهاء عما نهىٰ الله عنه. ووجدنا أهل الأهواء الذين استبدوا بالآراء والمعقولات بمعزل عن الأحاديث والآثار التي هي طريق معرفة سنَّة رسول الله ﷺ. فهذا الذي قلناه سمة ظاهرة وعلامة بيِّنة تشهد لأهل السنة باستحقاقها، وعلىٰ أهل الأهواء في تركها والعدول عنها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّما الصِّراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، هي سبيل نبيِّنا محمد ﷺ، وسبيل خلفائه وأصحابه، ومن سلك سبيلهم. وهم السَّابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه».

وقال الحافظ ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إجماع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حُجَّة ثابتة وعلم صحيح إذا كان طريق ذلك الإجماع التوقيف، فهو أقوىٰ ما يكون من السنن وإن كان اجتهادًا ولم يكن في شيء من ذلك مخالفًا؛ فهو أيضًا علم وحجة لازمة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. وهكذا إجماع الأمَّة، إذا اجتمعت علىٰ شيء؛ فهو الحق الذي لا شكَّ فيه؛ لأنها لا تجتمع علىٰ ضلال»

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «المتَّبع في إثبات أحكام الله: كتاب الله، وسنَّة رسوله ﷺ، وسبيل السَّابقين الأوَّلين.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٣٩٥).

(٢) التَّمهيد (٤/ ٢٦٧).

(٣) اقتضاء الصِّراط المستقيم (ص٤٥٦).

لا يجوز إثبات حكم شرعيٍّ بدون هذه الأصول الثَّلاثة، نصًّا واستنباطًا بحال».

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أنه سبحانه أخبر أنه جعلهم أمة خيارًا عَدْلًا، هذا حقيقة الوسط، فهم خير الأمم وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل علىٰ أممهم يوم القيامة، والله سبحانه يقبل شهادتهم عليهم، فهم شهداؤه، ولهذا نوَّه بهم، ورفع ذكرهم وأثنىٰ عليهم».

والموجب لاتِّباع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ أنَّ القرآن نزل بلغتهم، فهم أعلم بمعانيه ممن بعدهم.

قال العلَّامة ابن أبي العزِّ الحنفيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «كفىٰ بالصَّحابة قدوةً في فهم معنىٰ القرآن؛ فهم أوَّل مخاطب به من الأمَّة، وبلسانهم نزل، وهم أخصّ من غيرهم من أهل اللِّسان».

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنَّه شَرَفٌ لهم من حيث إنّه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم النّاس به وأعملهم بمقتضاه، وهكذا

---

(١) إعلام الموقِّعين (٤/ ٥٩٨).

(٢) التنبيه علىٰ مشكلات الهداية (٣/ ١١٣٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٠).

كان خيارهم وصفوتهم من الخُلَّص من المهاجرين السَّابقين الأوَّلين ومن شابههم وتابعهم».

والموجب لاتِّباع الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أنَّهم تلقَّوا معاني القرآن والسُّنَّة عن النبيِّ ﷺ مباشرة بلا واسطة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «إنَّ الصَّحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الأمّة، التي هي خير أمّة أُخرجت للنَّاس، وهم تلقَّوا الدِّين عن النبيِّ ﷺ بلا واسطة، ففهموا من مقاصده ﷺ، وعاينوا من أفعاله، وسمعوا منه شفاهًا ما لم يحصل لمن بعدهم».

فالصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ تلقوا عن النبي ﷺ ألفاظ ومعاني القرآن، وأدَّوه إلىٰ من بعدهم، وهذا الذي أوجب للمسلمين تلقِّي الدِّين عنهم.

قال أبو عبد الرَّحمن السُّلمي رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «حدَّثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن - عثمان بن عفَّان، وابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا - أنَّهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتىٰ يعلموا ما فيهن، ويعملوا بهنَّ، فتعلَّمنا العلم والعمل معًا».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]: «التَّفسير الثَّابت عن الصَّحابة والتَّابعين، فذلك إنَّما قبلوه؛ لأنَّهم قد علموا أنَّ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بلغوا عن النبي ﷺ لفظ القرآن ومعانيه جميعًا».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٣٨٨).

(٢) معرفة القراء الكبار (١/ ٥٤).

(٣) السَّبعينيّة (٣٣٠).

علماء الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ وسائل للفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الآية، إذا جاءت تحتمل أن تكون عامَّة، وتحتمل أن تكون خاصة، ما السبيل فيها؟ قال: إذا كان للآية ظاهر يُنْظر ما عملت به السُّنَّة، فهو دليل علىٰ ظاهرها، ومنه قول الله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء: ١١]، فلو كانت علىٰ ظاهرها؛ لزم كل من قال بالظَّاهر أن يورِّثَ كُلّ من وقع عليه اسم «ولد»، وإن كان قاتلًا أو يهوديًّا أو نصرانيًّا أو عبدًا، فلما قال رسول الله ﷺ: «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**»؛ كان ذلك معنىٰ الآية.

قال عبد الله: قلت لأبي: إذا لم يكن عن النبيِّ ﷺ في ذلك شيء مشروع، يُخْبر فيه عن خصوص أو عموم؟ قال أبي: يُنظر ما عمل به أصحابه، فيكون ذلك معنىٰ الآية، فإنِ اختلفوا؛ ينظر أيّ القولين أشبه بقول رسول الله ﷺ، يكون العمل عليه[١].

وقال أبو حاتم الرَّازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «العلم عندنا ما كان عن الله تعالىٰ من كتاب ناطق ناسخ غير منسوخ، وما صحت به الأخبار عن رسول الله ﷺ مما لا معارض له، وما جاء عن الألباء من الصحابة ما اتفقوا عليه، فإذا اختلفوا لم يخرج من اختلافهم، فإذا خفي ذلك ولم يفهم فعن التابعين، فإذا لم يوجد عن التابعين فعن أئمة الهدىٰ من أتباعهم، مثل: أيوب السختياني وحماد بن زيد

(١) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٣٠).

(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ٤٣٢، ٤٣٣).

وحماد بن سلمة وسفيان ومالك بن أنس والأوزاعي والحسن بن صالح، ثم مَنْ بعدُ، ما لم يوجد عن أمثالهم فعن مثل: عبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن إدريس ويحيىٰ بن آدم وسفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح، ومن بعدهم: محمد بن إدريس الشافعي ويزيد بن هارون والحميدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي وأبي عبيد القاسم بن سلام».

وقد أمر الله باتِّباع سبيل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأَنَّهم المنيبون إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، المتَّبعون لرسوله ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

قال العلامة عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]؛ أي: اسلك طريق من رجع إليّ، وهو طريق محمَّد ﷺ وأصحابه.

وروىٰ عطاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** يريد: واتبع سبيل أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك أنّه حين أسلم أتاه عبد الرَّحمن بن عوف وسعد وسعيد وعثمان وطلحة والزُّبير، فقالوا له: آمنت وصدَّقت محمدًا؟ قال: نعم، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدَّقوا، فأنزل الله يقول لسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]؛ يعني: أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أعلم الأمَّة، من أجل ذلك كانوا مرجعًا لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ من

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٥٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٥٤٥).

السَّابقين الأوَّلين، والتَّابعين لهم بإحسان؛ قد فتحوا البلاد بعد موت النبي ﷺ، وسكنوا بالشَّام والعراق ومصر، وغير هذه الأمصار، وهو كانوا أعلم بالدّين، وأتبع له ممَّن بعدهم؛ فليس لأحد أن يخالفهم فيما كانوا عليه».

وقال العلَّامة أبو نصر عبيد الله بن سعيد الوايلي السجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٤هـ)**(١): «أهل السُّنَّة: هم الثَّابتون علىٰ اعتقاد ما نقله إليهم السَّلف الصَّالح رحمهم الله عن الرَّسول ﷺ، أو عن أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فيما لم يثبت فيه نصٌّ في الكتاب ولا عن الرَّسول ﷺ؛ لأنَّهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أئمّة وقد أمرنا باقتداء آثارهم واتِّباع سنَّتهم».

وقد أمر النبي ﷺ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أن يبلِّغوا عنه الدِّين الذي تلقّوه منه، فقال: «**ليبلغ الشَّاهد الغائب**» متفق عليه من حديث أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال العلَّامة محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فهم حجَّة الله علىٰ خلقه بعد رسوله ﷺ، يؤدُّون عن الرَّسول ﷺ ما أدَّىٰ إليهم، لأنَّه بذلك أمرهم، فقال: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**»، فمضوا علىٰ منهاج نبيهم متَّبعين حكم القرآن وسنَّة الرَّسول ﷺ».

وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يسألون النبيّ ﷺ عن المرجع بعده، فكان يدلُّهم علىٰ أعلم وأفضل الصَّحابة أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عن جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: أتت النبيّ ﷺ امرأة فكلَّمته في شيء، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله! أرأيت إن رجعت فلم أجدك؟ كأنّها

---

(١) الردّ علىٰ من أنكر الحرف والصَّوت (ص٩٩).

(٢) السُّنَّة (ص١٥).

تعني الموت، قال: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر»، رواه البخاريُّ ومسلم.

فمرجعيَّة الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنصّ من النبي ﷺ بخصوصه، وخطابه لمن سأله عن المرجع بعد وفاته خطاب للأمَّة كلِّها.

وقد جعل الله علماء الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرجعًا في الشَّهادة لصحَّة الوحي، فقال سبحانه: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هم أصحاب النبي ﷺ في قول قتادة، ومؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه في قول مجاهد».

وقال العلامة أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال بعضهم: هذا في مؤمني أهل الكتاب، مثل عبد الله بن سلام وغيره، والصَّحيح أنَّ الآية في الذين آمنوا بالنَّبي من أهل مكة وغيرهم وهو بمكة، لأن السُّورة مكيَّة، وعبد الله بن سلام وأشباهه إنما آمنوا بالمدينة».

وبعث الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ الكوفة، وكتب إليهم: إنِّي قد بعثت إليكم بعمَّار بن ياسر أميرًا، وعبد الله بن مسعود معلِّمًا ووزيرًا، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود علىٰ نفسي[٣].

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٢١٢).

(٢) تفسير القرآن (٤/ ٣١٧).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٤٨٦).

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مبيِّنًا مرجعيّة الصَّحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **للأمَّة:** «من كان مستنًّا فليستن بمن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب رسول الله ﷺ».

وقال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **مبيِّنًا مرجعيّة الصَّحابة للأمَّة:** «يا معشر القرَّاء! استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا» رواه البخاري.

قال العلَّامة ابن أبي العزّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الواجب علىٰ كل مسلم يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله؛ أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وطاعة رسوله ﷺ ويعلم أنَّ أفضل النَّاس بعد الرسول ﷺ هم الصَّحابة، فلا ينتصر لشخص انتصارًا عامًّا مطلقًا إلّا لرسوله ﷺ، ولا لطائفة انتصارًا عامًّا مطلقًا إلا للصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فإنَّ الهدىٰ يدور مع الرَّسول ﷺ ومع أصحابه دون أصحاب غيره، فإذا أجمعوا لم يجمعوا علىٰ خطأ، فإن الدِّين الذي بعث الله عَزَّوَجَلَّ به رسوله ﷺ ليس مسلَّمًا إلىٰ عالم واحد وأصحابه، ولو كان كذلك لكان ذلك الشَّخص نظيرًا لرسول الله ﷺ، وهو شبيه بقول الرَّافضة».

ومن الأدلَّة علىٰ مرجعيَّة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين؛ قوله ﷺ في حجَّة الوداع موصيًا أمّته: «**تركت فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا بعدي: كتاب الله وعترتي**»، رواه مسلم.

---

(١) الاتِّباع (ص٨٠).

قال العلَّامة أبو سليمان حَمْد بن محمَّد الخطَّابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قيل في العترة: إنّه أراد بها أصحابه، الذين هم حُمَّال الأثر، وحُفَّاظ السُّنَن».

ولا ريب أنَّ علماء آل البيت من أصحاب النبيّ ﷺ؛ مرجع للأمَّة كسائر الصَّحابة؛ لأنّهم جميعًا تلقَّوا العلم من مشكاة واحدة، فالصدِّيق والفاروق وذو النورين وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وابن مسعود ومعاذ؛ علماء الصَّحابة الذين تتلقَّىٰ الأمّة عنهم العلم، وكذلك العلماء من سادات آل البيت عليٌّ بن أبي طالب وعبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «لا تُنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنَّهم من ذريَّةٍ طاهرة، من أشرف بيت وُجد علىٰ وجه الأرض، فَخْرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متَّبعين للسنَّة النبويَّة الصَّحيحة الواضحة الجليَّة، كما كان عليه سلفهم، كالعبَّاس وبنيه، وعليّ وأهل ذريَّته، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين».

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «قال غير واحد من السَّلف: هم أصحاب محمد ﷺ. ولا ريب أنَّهم أئمَّة الصَّادقين، وكل صادق بعدهم فبهم يأتمُّ في صدقه، بل حقيقة صدقه اتِّباعه لهم وكونه معهم».

---

(١) غريب الحديث (٢/ ١٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٨٨).

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ٥٩٧).

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[١]: «هم أصحاب محمد ﷺ».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «العلم إنَّما انتشر في الآفاق عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد، والقلوب بالعلم والقرآن، فملئوا الدُّنيا خيرًا وعلمًا، والنَّاس في بقايا آثار علمهم».

وتلقي الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هو من التماس العلم عن الأكابر، وهو من أسباب خيريَّة هذا المنهج.

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا يزال النَّاس بخير ما كان العلم في أكابرهم، فإذا أخذوه من صغارهم هلكوا»[٣].

وكان عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذهب بالأصاغر إلىٰ أهل البدع[٤].

وإذا ظهر في النَّاس علم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذي تلقَّوه عن رسول الله ﷺ؛ ظهرت فيهم السُّنَّة، وأدركوا الخير بمعرفة الحقّ، فإذا اتَّبعوه كانوا من المهتدين.

وإذا اندرس علم الصَّحابة؛ ظهر الجهل وكثرت الأهواء، وكان ذلك من أسباب ضلال الخلق عن الحقّ.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «ما قَلَّت الآثار في قوم إلَّا كَثُرَتْ فيهم الأهواء،

---

(١) هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ (ص٢٨٩).

(٢) هداية الحيارىٰ (ص٢٩١).

(٣، ٤) الفقيه والمتفقِّه (٢/ ١٥٥).

(٥) الفقيه والمتفقِّه (١/ ٣٨٣).

وإذا قلَّت العلماء ظَهَرَ في النَّاس الجفاء».

وتلقِّي الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ أمان لأمَّة الإسلام من أسباب الضَّلال والشَّقاء والزَّيغ والهلاك.

فقد روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال النبيُّ ﷺ: «**النُّجوم أمنة لأهل السَّماء، فإذا ذهبت النُّجوم أتىٰ أهل السَّماء ما يُوعدون، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتىٰ أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمَّتي، فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أمَّتي ما يوعدون**».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «إنّه ﷺ جعل نسبة أصحابه إلىٰ من بعدهم كنسبته إلىٰ أصحابه، وكنسبة النُّجوم إلىٰ السَّماء، ومن المعلوم أنَّ هذا التَّشبيه يُعطي من وجوب اهتداء الأمَّة بهم ما هو نظير اهتدائهم هم بنبيهم ﷺ، ونظير اهتداء أهل الأرض بالنُّجوم.

وأيضًا فإنّه جعل بقاءهم بين الأمَّة أَمَنَةً لهم وحِرزًا من الشَّرّ وأسبابه».

وتشبيه أمان الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بنجوم السَّماء في الأمان؛ فيه دلالة علىٰ أنَّ الله يحفظ بالصَّحابة ميراث النبوَّة ممَّن يسعىٰ في تحريفه أو الابتداع فيه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «النُّجوم زينة للسماء، فكذلك العلماء زينة للأرض، وهي رجوم للشَّياطين، حائلة بينهم وبين استراق السَّمع، لئلَّا يلبسوا بما يسترقونه من الوحي الوارد إلىٰ الرُّسل من الله علىٰ أيدي ملائكته، وكذلك

(١) إعلام الموقِّعين (٤/ ٦٠٤).

(٢) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٦٦).

العلماء رجوم لشياطين الإنس والجنّ الذي يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا، فالعلماء رجوم لهذا الصّنف من الشَّياطين، ولولاهم لطُمست معالم الدِّين بتلبيس المضلِّين، ولكنّ الله سبحانه أقامهم حرَّاسًا وحفظة لدينه ورجومًا لأعدائه وأعداء رسله، فهذا وجه تشبيههم بالنُّجوم».

فالسَّلف أعلم وأحكم وأسلم، بنصّ قول من لا ينطق عن الهوىٰ ﷺ حيث قال: «**خير النَّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، متَّفق عليه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذلك يقتضي تقدُّمهم في كل باب من أبواب الخير»[1].

وقال تعالىٰ في ثنائه علىٰ عباده المؤمنين، الذين يسألونه الائتمام بالسَّلف ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «اجعلنا مؤتمِّين بالمتَّقين، مقتدين بهم».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «هذا من تمام فهم مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنَّه لا يكون الرَّجل إمامًا للمتَّقين حتىٰ يأتمَّ بالمتَّقين، فنبَّه مجاهد علىٰ هذا الوجه الذي ينالون به هذا المطلوب، وهو اقتداؤهم بالسَّلف المتَّقين من قبلهم، فيجعلهم الله أئمَّة للمتَّقين من بعدهم، وهذا من أحسن الفهم في القرآن وألطفه، ليس من باب القلب في شيء، فمن ائتمَّ بأهل السُّنّة قبله، ائتمَّ به من بعده ومن معه».

وكل أحد ممَّن أدرك النبيّ ﷺ، ورأىٰ تلقِّي الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عنه الدِّين

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٦٠٢، ٦٠٣).

(٢، ٣) رسالة إلىٰ أحد إخوانه (ص١٢).

والعلم؛ لم يخف عليه أنَّهم هم الذين قاموا بتلقِّي الوحي عنه وحفظه وفهمه وأدائه عنه.

وكان المنافقون يعلمون هذا علم اليقين، فضلًا عن الكفَّار من أهل الملل، وهذا ممَّا لا يمتري فيه مسلم.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

وقد قال المفسِّرون: إنَّما سأل المنافقون الصَّحابة لأنهم لم يعقلوا عن رسول الله ﷺ لبلادتهم أو عدم اكتراثهم لكلامه(١).

ومن المفسِّرين من قال: إن سؤال المنافقين أرادوا به السخرية برسول الله ﷺ، أو إيهام العناية بعلم الدِّين(٢).

والصَّحابة حفظوا الدِّين للأمّة كلّها بحفظ القرآن، وقد جمعوه من صدور حفظته في مصحف واحد، وكان أعظم الفضل في ذلك لأبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ فإن الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رأىٰ القتل استحرّ في القرَّاء في معركة اليمامة فأشار علىٰ الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بجمعه في مصحف واحد.

عن زيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** أرسل إليَّ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنده، قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنّ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقُرَّاء القرآن، وإنِّي أخشىٰ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٧٩).

(٢) رموز الكنوز (٧/ ٢٦١).

أن يستحرَّ القتل بالقُرَّاء بالمواطن[١]، فيذهب كثير من القرآن، وإنِّي أرىٰ أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف تفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذا والله خير، فلم يزل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُراجعني حتىٰ شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «هذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون: أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حفظًا علىٰ النَّاس بالقرآن، وجمعاه لئلَّا يذهب منه شيء».

وقد عرف سادات آل البيت الفضل لأفضل الأمَّة في أفضل أعمالهم.

قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]: «أعظم النَّاس أجرًا في المصاحف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رحمة الله علىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو أوَّل من جمع ما بين اللَّوحين».

وقال قوّام السُّنّة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٥٣٥هـ)**[٤]: «مذهب علماء السنَّة وفقهائهم أنَّه – القرآن – الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله، وأدَّىٰ جبريل إلىٰ النبيّ ﷺ، وتحدَّىٰ به النبيُّ ﷺ، وجعله الله عَزَّ وَجَلَّ دلالة علىٰ صدق نبوَّته ومعجزة، وأدَّىٰ النبيُّ ﷺ إلىٰ الصَّحابة

---

(١) الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفَّار.

(٢) فضائل القرآن (ص٨٦).

(٣) رواه ابن أبي داود في المصاحف (١/ ١٥٤)، قال ابن كثير: «إسناد صحيح»، فضائل القرآن (ص٥٧).

(٤) الحجَّة في بيان المحجَّة (١/ ٣٦٨).

رضوان الله عليهم حسب ما سمعه من جبريل عليه السلام، ونقله السَّلف إلىٰ الخلف، قرنًا بعد قرن».

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا المرجع للأمَّة في صفة تلاوة القرآن، وآداب القراءة، وعنهم تلقَّت الأمَّة ذلك وتوارثت حفظ القرآن وصفة قراءته وآداب تلاوته.

قال الحافظ ابن ناصر الدِّين الدمشقي رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «القرآن - ولله الحمد - وصل إلينا بالإسناد الصحيح المتواتر المجمع عليه بنقل الوسائط الثِّقات الضَّابطين، عن أمثالهم كذلك، حتىٰ إلىٰ النبي ﷺ، والنبيُّ ﷺ تلقّىٰ القرآن عن جبريل عليه الصلاة والسلام، عن رب العالمين عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وهي القرآن، تلقاه منه المؤمنون حين تلاه عليهم، وهم الصَّحابة خير القرون، وأخذه عنهم التَّابعون، وهلمَّ جرًّا، حتىٰ انتهىٰ علم ذلك إلينا، وحصلت بركاته لدينا، وفاضت أنواره علينا، وأعلىٰ الوسائل في ذلك الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ».

وترتيب المصحف كان بإجماع الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلَّا مرتبًا آياته».

وفي أدب التلاوة قال عبد الله بن أبي الهذيل العنَزي الكوفي وهو من كبار ثقات التَّابعين: «كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية، ويتركوا بعضًا»[٣].

---

(١) مجالس في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (ص٢٧٩).

(٢) فضائل القرآن (ص٧٣).

(٣) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٤٢٨ - رقم ١٣٧) بإسناد صحيح.

فالصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا المرجع في حفظ ألفاظ القرآن، وصفة تلاوته، وآداب قراءته، وكانوا المرجع في فهم معانيه.

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حفظوا علينا الدِّين، ونقلوا لنا سنَّة رسول الله ﷺ مفصَّلة، كأنَّما نراها رأي عين، نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وسننه وأيَّامه.

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «لقد كانوا رحمهم الله، وأنزل رضوانه عليهم، بحيث لو قُتلوا لم يسامحوا أحدًا في كلمة يتقوّلها علىٰ رسول الله ﷺ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك، وقد نقلوا هذا الدِّين إلينا كما نقل إليهم، وأدّوا علىٰ ما أدّي إليهم، وكانوا في صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن بما يجلّ عن الوصف، ويقصر دونه الذِّكر.

وإذا وقف المرء علىٰ هذا من شأنهم، وعرف حالهم، وخَبر صدقهم وورعهم وأمانتهم؛ ظهر له العلم فيما نقلوه، ورَوَوْه».

وقال أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «ولولاهم لا ندرس علم النبي ﷺ، ولم يقف أحد علىٰ سنَّته وطريقته».

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حفظوا الدِّين، فقد دوَّن التَّابعون ما سمعوه منهم من حديث رسول الله ﷺ، وهذا التَّدوين هو ما أمر به الخليفة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ، فقد كتب إلىٰ أبي بكر بن حزم - التَّابعي -: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنِّي خفت دروس العلم، وذهاب العلماء[٣].

---

(١) الحجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٢١).

(٢) الحجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٢٢، ٢٢٣).

(٣) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به.

وهنا ونحن نستذكر جهود الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في حفظ سنَّة النَّبي ﷺ، لا بُدَّ أن نأخذ بعقيدتهم ومنهجهم في تلقِّي أخبار الآحاد الصَّحيحة، فاعتقاد الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لمضمون تلك الأحاديث والتديُّن والعمل بها؛ دليل علىٰ قطعهم بثبوتها وإفادتها للعلم اليقيني عندهم والعمل بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ جميع أئمَّة الحديث المعروفين المشهورين قاطعون بمضمون هذه الأحاديث، شاهدون علىٰ رسول الله ﷺ بذلك، جازمون بأنّ من كذَّبَ بمضمونها فهو ضال أو كافر».

وقال العلَّامة أبو منصور معمر بن أحمد الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «السنة التي اجتمعت عليها الأئمة، وهي مأخوذة عن رسول الله ﷺ بأمر الله تبارك وتعالىٰ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، فأمر الله عَزَّوَجَلَّ رسوله بالبلاغ، فقال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، فبلغ رسول الله ﷺ الرِّسالة، ودعا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالكتاب والسُّنَّة، فأمر النَّاس باتِّباع الصَّحابة العالمين بالله، وأولي الأمر من العلماء من بعدهم؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

فأفضل العلماء بعد رسول الله ﷺ من أولي الأمر: أبو بكر، ثم عمر، ثم

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحمويَّة (ص٣٩).

(٢) الحجَّة في بيان المحجَّة (١/ ٢٣٦، ٢٣٧).

عثمان، ثم عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ثم الأكابر فالأكابر من العشرة، وغيرهم من الصحابة الذين أبان رسول الله ﷺ فضائلهم، وأمر بالاقتداء بهم، فقال عليه السلام: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»».

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حفظوا علىٰ الأمَّة دينهم من العقائد الضالَّة والأفهام المغلوطة لمعاني القرآن والسُّنَّة، من ذلك رد جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا علىٰ من ابتلي بعقيدة الخوارج في نفي خروج عصاة المسلمين من النار.

قال طلق بن حبيب: كنت أشد الناس تكذيبًا بالشَّفاعة، حتىٰ لقيت جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقرأت عليه كل آية أقدر عليها فيها ذكر خلود النَّار، فقال لي: أتُراك أقرأ لكتاب الله، وأعلم بالسُّنَّة منِّي؟ قلت: لا، قال: فإنّ الذي قرأت هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبًا، فعُذِّبوا ثم أُخرجوا من النار. رواه أحمد.

وفي رواية للطَّبراني عن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدَّثني أبي حدَّثنا يحيىٰ بن عبد الملك بن أبي غنيَّة عن العوَّام بن حوشب عن يزيد الفقير، قال: قلنا لجابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يا أصحاب محمد ﷺ إنَّكم تزعمون أن قومًا يخرجون من النَّار، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة:٣٧]، فقال: إنَّكم تجعلون الخاصّ عامًّا، ثم قال: اقرؤوا ما قبلها، إنَّما هي للكفَّار[١].

مرجعيَّة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سبب لفهم معاني القرآن والسُّنَّة فهمًا صحيحًا، وصيانة للمسلمين من الضَّلال والفهم الخاطئ لمعاني الوحي، وهذا ما حاجَّ به ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الخوارج حيث قال لهم: «أتيتكم من عند رسول الله ﷺ

---

(١) بواسطة الحجَّة في بيان المحجَّة (١/ ٤٧٩). وللطَّبراني كتاب «السنَّة» لم أره مطبوعًا.

وأصحابه، وهم الذين نزل عليهم القرآن، وهم أعلم بتأويله».

وقال أبو بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّكم لتقرءون هذه الآية، وتضعونها في غير مواضعها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، رواه أحمد.

ومرجعية الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تورث الاتفاق الذي كان صفتهم، وتكون سببًا للاجتماع علىٰ الحقّ، والسَّلامة من البدع والضَّلال.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «من المعلوم أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سمعوا القرآن من النبي ﷺ، وقرءوه وأقرءوه من بعدهم، وتكلَّم العلماء في معانيه وتفسيره ومعاني الحديث وتفسيره، وما يتعلق بالأحكام وما لا يتعلَّق بها، وهم مجمعون علىٰ غالب معاني القرآن والحديث، ولم يتنازعوا إلا في قليل من كثير لا سيما القرون الأولىٰ؛ فإن النزاع بينهم كان قليلًا جدًّا بالنسبة إلىٰ ما اتفقوا عليه».

ومرجعية الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تلقِّي الدِّين عنهم؛ كان منهج المسلمين في طبقة خير القرون، ففي قرن الصَّحابة كان من لا يعلم يسأل علماء الصَّحابة، وكان الأصاغر في السِّن من طبقة الصَّحابة يتلقّون الدِّين عن أكابر الصَّحابة سابقة وعلمًا.

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢): «كان الأكابر من أصحاب رسول الله؛ ينهون عن سب أمرائنا».

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان أكابر الصَّحابة إذا أذَّن المغرب، ابتدروا الأسطوانات يصلُّون ركعتين، رواه البخاري.

---

(١) الصَّواعق المرسلة (٢/ ٦٥٣).

(٢) طبقات ابن سعد (٥/ ٣٣٩).

وهكذا تلقَّىٰ التَّابعون العلم والدِّين والنُّسك عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، قال مجاهد رَحِمَهُٱللَّهُ: «عرضت المصحف علىٰ ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ثلاث مرَّات، أوقفه عند كل آية».

وابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا نفسه تلقىٰ علم التَّفسير عن الأكابر من علماء الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «إنَّ ما فسَّرته من القرآن؛ فسمعت ممَّن شافه النبيَّ ﷺ، وما من آية إلَّا وقد سمعت فيه»(١).

وقال معمر رَحِمَهُٱللَّهُ: «عامة علم ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا من ثلاثة: من عمر، وعليٍّ، وأبيِّ بن كعب، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ»(٢).

وبمرجعيَّة الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يتبيَّن صحيح الاعتقادات والمقالات والعبادات من ضلالها، قال العلَّامة أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُٱللَّهُ (ت: ٢٩٤هـ)(٣): «من الدَّليل علىٰ ضلالة الخوارج سوىٰ ما ذكرنا؛ مخالفتهم لجماعة أصحاب رسول الله ﷺ».

وقال أيُّوب السِّختياني رَحِمَهُٱللَّهُ: «من قدَّم عليًّا علىٰ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ فقد أزرىٰ بالمهاجرين والأنصار».

وكذلك اعتنىٰ التَّابعون بذكر مذهب الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في تارك الصَّلاة،

---

(١) الإرشاد في معرفة علماء الحديث (١/ ٣٩٧).

(٢) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب (٢/ ٦٩٦).

(٣) تعظيم قدر الصَّلاة (ص٤٢٦).

لنعرف فقههم في أهم مسائل الدِّين، قال شقيق بن عبد الله العقيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يكن أصحاب محمد ﷺ يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلَّا الصَّلاة»، رواه التِّرمذي.

وكان السَّلف ينقلون للأمَّة اعتقاد ومنهج وهدي الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ليأتمَّ بهم من بعدهم، ويأخذوا عنهم الدِّين.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كان يقال: خمس كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ والتَّابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتِّباع السنَّة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله».

وكان التَّابعون يتلقَّون الدِّين عن علماء الصَّحابة وساداتهم.

قال عبد الرَّحمن بن يزيد: أتينا حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقلنا: حَدِّثنا بأقرب النَّاس من رسول الله ﷺ هَدْيًا ودَلًّا، فنأخذ عنه ونسمع منه، قال: كان أقرب النَّاس هدْيًا ودَلًّا وسَمْتًا برسول الله ﷺ ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري ومسلم.

معاني القرآن والسُّنَّة نتلقَّاها بفهم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سلف الأمَّة، فهم أعلم بمعانيهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «انظر في عموم كلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ لفظًا ومعنًى حتى تعطيه حقَّه، **وأحسن ما تستدلّ به على معناه آثار الصَّحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **الذين كانوا أعلم بمقاصده**، فإنَّ ضبط ذلك يوجب توافق أصول الشَّريعة».

---

(١) منازل الأئمَّة الأربعة (ص٦٩).

(٢) القواعد النُّورانيَّة الفقهيَّة (٢/ ٣٩٤).

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المرجع للتَّابعين وللأمَّة كلها من بعدهم في تفسير القرآن، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء: ١٧].

قال أبو العالية: سألت أصحاب محمد ﷺ عن هذه الآية، فقالوا لي: كل من عصىٰ الله فهو جاهل، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب.

وقال جبير بن نفير رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت في حلقة فيها أصحاب رسول الله ﷺ، وإنِّي لأصغر القوم، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾؟ فأقبلوا عليَّ بلسان واحد، وقالوا: تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها؟ حتىٰ تمنَّيتُ أني لم أكن تكلمت، وأقبلوا يتحدّثون، فلما حضر قيامهم قالوا: إنّك غلام حَدَثُ السِّنّ، وإنَّك نزعت آية، ولا تدري ما هي، وعسىٰ أن تُدرك ذلك الزَّمان، إذا رأيت شُحًّا مطاعًا، وهوًىٰ مُتَّبعًا، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه؛ فعليك بنفسك، لا يضرُّك من ضلَّ إذا اهتديت، رواه الطبري(١).

وكان هدي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرجعًا في تعليم القرآن والعلم تبرعًا، من غير أجرة، أداءً لفرض الكفاية في تبليغ العلم، واحتسابًا للثواب من الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «تعليم القرآن والعلم بغير أجرة، فهو أفضل الأعمال، وأحبّها إلىٰ الله، وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٦٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٠/ ٢٠٤).

هذا مما يخفىٰ علىٰ أحد ممن نشأ بديار الإسلام، والصحابة والتَّابعون وتابعو التَّابعين، وغيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن والحديث والفقه؛ إنَّما كانوا يُعلِّمون بغير أجرة، ولم يكن فيهم من يعلِّم بأجرة أصلًا».

وقد زكَّىٰ الله الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في أحكامهم وأخبرنا عن عدلهم في أقضيتهم ليكونوا مرجعًا للمسلمين في تلقِّي ذلك عنهم، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في حكومة الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في جزاء الصيد[(١)]: «قال الشَّافعي وأحمد رحمهما الله: يتَّبع في ذلك ما حكمت به الصَّحابة، وجعلاه شرعًا مُقرَّرًا لا يعدل عنه».

فالصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ خير النَّاس، وأتقاهم لله عَزَّوَجَلَّ، وأشدّهم ورعًا عن القول علىٰ الله بغير علم، تلقَّوا العلم من رسول الله ﷺ مباشرة، فالأخذ عنهم هو من تلقِّي العلم من معدنه الأوَّل، الذي لم يكن فيه بدع ولا ضلالات.

فالعلم بمذاهب الصَّحابة هو من أسباب الهدىٰ، والتَّحقُّق بالفقه، والسَّلامة من البدع، وكل من كان أعلم بالكتاب والسُّنَّة وأقاويل الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كان أفقه.

قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُٱللَّهُ لمحمد بن الحسن: أيُّهما أعلم: صاحبكم - أبو حنيفة - أو صاحبنا - مالك - رحمهما الله؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٤٧).

قلت: علىٰ الإنصاف؟

قال: نعم.

قلت: فأنشدك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أو صاحبكم؟

قال: اللهم صاحبكم!

قلت: أنشدك الله من أعلم بالسُّنَّة، صاحبنا أو صاحبكم؟

قال: اللهم صاحبكم!

قلت: فأنشدك بالله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ صاحبنا أو صاحبكم؟

قال: اللهم صاحبكم.

قال الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلَّا علىٰ هذه الأشياء(١).

وبمرجعية الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اهتدىٰ التَّابعون بالحقّ، واجتنبوا بدع الخوارج.

قال عقبة بن وساج: كان صاحب لي يحدِّثني عن شأن الخوارج، وطعنهم علىٰ أمرائهم، فحججت فلقيت عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقلت له: أنت من بقيَّة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد جعل الله عندك علمًا، وأناس بهذا العراق يطعنون علىٰ أمرائهم، ويشهدون عليهم بالضَّلالة، فقال لي: أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين، أُتي رسول الله ﷺ بقليد من ذهب وفضة فجعل يقسمها بين أصحابه، فقام رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد! والله لئن أمرك

---

(١) الاتِّباع (ص٣٤).

الله أن تعدل فما أراك أن تعدل، فقال: «**ويحك من يعدل عليك بعدي**»(١).

وفي زمن الحجاج أتىٰ ابن سيرين وابن عدي إلىٰ أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وشكيا إليه ظلم الحجاج، فقال: «**اصبروا، فإنَّه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شرٌّ منه، حتىٰ تلقوا ربكم**» سمعته من نبيكم ﷺ، رواه البخاري.

وكان الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مرجعًا للأمَّة في كيفيَّة معاملة الولاة.

قال أناس لعبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إنَّا برجل يدخل علىٰ سلطاننا، فيقول لهم بخلاف ما نتكلم به إذا خرجنا من عندهم، قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: كُنَّا نعد ذلك نفاقًا في عهد رسول الله ﷺ، رواه البخاري.

وأكابر الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا مرجعًا للأمَّة في تلقِّي أدب معاملة الولاة.

قال عبيد الله بن عبد الله: قدم معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حاجًّا حجَّته الأولىٰ، وهو خليفة، فدخل عليه عثمان بن حنيف الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: السلام عليك أيُّها الأمير ورحمة الله، فأنكرها أهل الشَّام، وقالوا: من هذا المنافق الذي يقصر بتحية أمير المؤمنين؟

فبرك عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ ركبته، ثم قال: يا أمير المؤمنين! إنَّ هؤلاء أنكروا عليّ أمرًا، أنت أعلم به منهم، فوالله لقد حييت بها: أبا بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فما أنكره منهم أحد.

فقال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **لمن تكلَّم من أهل الشَّام**: «علىٰ رِسْلِكم، فإنَّه قد كان

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة (ص٤١١ – رقم ٩٣٤)، قال العلَّامة المجدِّد محمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ: «إسناده صحيح»، ظلال الجنَّة في تخريج السُّنَّة (ص٤١١).

بعض ما يقول، ولكن أهل الشَّام قد حدثت هذه الفتن، قالوا: لا تقصر عندنا تحية خليفتنا، فإنِّي إخالكم يا أهل المدينة تقولون لعامل الصَّدقة: أيُّها الأمير»(١).

وبمرجعية الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أخذ فقهاء الإسلام أحكام المعاملات والبيوع.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «المضاربة جوّزها الفقهاء كلّهم، اتِّباعًا لما جاء فيها عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ».

ووضع الجائحة عن الثَّمر الذي أصابته آفة لا صنع للآدمي فيها؛ أخذ الفقهاء فيها بإجماع الصَّحابة الموافق للنصّ، وأمروا من خالف في ذلك من المتأخِّرين بالرُّجوع إلىٰ إجماع خير القرون.

روىٰ مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ النبيّ ﷺ أمر بوضع الجوائح.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(٣): «وضع الجوائح من هذا الباب، فإنَّها ثابتة بالنَّصِّ، وبالعمل القديم الذي لم يُعلَم فيه مخالف من الصَّحابة والتَّابعين».

واستدلَّ الفقهاء بجواز المزارعة بإجماع السَّلف، قال البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ(٤): «قال قيس بن مسلم عن أبي جعفر - الباقر - قال: ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلَّا يَزْرَعون علىٰ الثُّلث والرُّبع، وزارع: عليٌّ، وسعد بن مالك، وعبد الله بن

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٥٧١ – رقم ١٠٢٤).

(٢) القواعد النُّورانيَّة (ص١٦٧).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٣٠/ ٢٧٠).

(٤) كتاب الحرث والمزارعة، باب المزارعة بالشَّطر ونحوه (ص٣٧٤).

مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وعمر بن عبد العزيز، والقاسم، وعروة بن الزُّبير، وآل أبي بكر، وآل عمر، وآل عليٍّ، وابن سيرين».

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إذا كان جميع المهاجرين يزرعون، والخلفاء الراشدون، وأكابر الصَّحابة والتَّابعين، من غير أن ينكر ذلك منكر؛ لم يكن إجماع أعظم من هذا».

وبمعرفة أحوال الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ استفيدت الأحكام، فمن منع المرأة فسخ نكاح زوجها لإعساره بالنَّفقة قال: لم يزل في الصَّحابة المُعْسِرُ والموسِرُ، وكان معسروهم أضعاف موسريهم، فما مكَّن النبي ﷺ قط امرأة واحدة من الفسخ بإعسار زوجها، ولا أعلمها أنَّ الفسخ حق لها[٢].

وكان التابعون يرجعون إلىٰ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في فقه الأحكام، ويرجع الصحابة أنفسهم إلىٰ أكابرهم وعلمائهم في ذلك.

عن هزيل بن شرحبيل الأودي، قال: جاء رجل إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فسأله عن ابنة وابنة ابن، وأخت شقيقة، فقال أبو موسىٰ: للابنة النصف، وللأخت النصف، ولم يورِّث ابنة الابن شيئًا، وائت ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فإنه سيتابعني.

فقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قد ضللت وما أنا من المهتدين، ولكن أقضي فيها بقضاء النبي ﷺ: للبنت النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي فللأخت.

قال أبو موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم، رواه البخاري.

---

(١) القواعد النُّورانيَّة (٢/ ٤٠٦).

(٢) زاد المعاد (ص٩٤٠).

وبمعرفة ما كان يخرج الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في زكاة الفطر اهتدىٰ المسلمون بمرجعيتهم فيما يجب ويجزئ إخراجه في زكاة الفطر.

قال أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كنا نُخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر صاعًا من طعام، وكان طعامنا: الشّعير، والزَّبيب، والأقط، والتَّمر»، رواه البخاري.

وبمرجعية الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ استدلَّ المسلمون علىٰ جواز إخراج زكاة الفطر قبل ليلة العيد بيوم أو يومين، قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «كانوا يُعطون قبل الفطر بيوم أو يومين»[(١)].

وقال الفقهاء بعدم وجوب الزَّكاة في الخضروات؛ لعدم ورود نصّ من الشَّرع بوجوبها، ولعدم أخذ النبيّ ﷺ والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الزَّكاة فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «لا يوجبون الزَّكاة في الخضروات لما في التَّرك من عمل النبي ﷺ وخلفائه».

والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا مرجعًا للأمّة في تلقِّي صفة أداء الصلوات فرضها ونفلها.

فعن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ تلقينا متىٰ ننحني للسجود، إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده.

قال البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كان رسول الله ﷺ إذا قال: «**سمع الله لمن حمده**»، لم يَحْنِ أحد منّا ظَهْرَهُ حتىٰ يقع رسول الله ﷺ ساجدًا، ثُمَّ نَقَعُ سجودًا بَعْدَهُ، رواه البخاري ومسلم.

وعن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ تلقينا جواز الصلاة علىٰ الفرش والسجود عليها؛

(١) رواه البخاري، كتاب الزَّكاة، باب صدقة الفطر علىٰ الحرّ والمملوك (ص٢٤٥ –رقم ١٥١١).

(٢) القواعد النُّورانيَّة (١/ ٢٥٤).

ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنَّا نُصلِّي مع رسول الله ﷺ في شدَّة الحَرِّ، فإذا لم يستطع أحدنا أن يُمكِّن جَبْهَتَهُ في الأرض؛ بسط ثوبه، فسجد عليه.

وجواز الصلاة علىٰ الفرش والسجاد وإن كان من غير نبات الأرض؛ دلَّ عليه إجماع الصحابة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قالت الشيعة: لا تجوز الصَّلاة علىٰ الصوف، وتجوز فيه؛ لأنَّه ليس نباتًا من الأرض، واحتجَّ أصحابنا بإجماع المسلمين قبل هؤلاء المخالفين».

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرجعًا للأمة في تلقي صفة صلاة العيد عنهم، عنهم تلقَّوا صفة أدائها، وبهم ظهرت شعائرها في أمصار المسلمين.

قال إسماعيل بن إسحاق: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم، حدَّثنا هشام الدستوائيُّ، حدَّثنا حمَّادُ بن أبي سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، أنَّ ابن مسعود وأبا موسىٰ وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ خرج عليهم الوليد بن عُقبة قبل العيد يومًا، فقال لهم: إنَّ هذا العيد قد دنا، فكيف التكبير فيه؟

قال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تبدأ فتُكبِّرُ تكبيرةً تفتتح بها الصَّلاة، وتحمدُ ربَّك، وتصلِّي علىٰ النبي ﷺ، ثم تدعو وتُكبِّرُ، وتفعل مثل ذلك، ثم تكبِّرُ وتفعل مثل ذلك، ثم تقرأ، ثم تُكبِّر وتركع، ثم تقوم وتقرأ وتحمد ربك، وتصلي علىٰ النبي محمد ﷺ، ثم تدعو وتكبِّرُ، وتفعلُ مثل ذلك، ثم تُكبِّر وتفعل مثل ذلك، ثم تُكبِّر وتفعل مثل ذلك، ثم تُكبِّر وتفعل مثلَ ذلك، ثم تركع.

---

(١) الأحكام الكبير (١/ ٣٣٥).

فقال حذيفة وأبو موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: صدق أبو عبد الرحمن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ[١]: «في هذا الحديث الموالاة بين القراءتين، وهي مذهب أبي حنيفة، وإحدىٰ الروايتين عن أحمد.

وفيه تكبيرات العيد الزوائد ثلاثًا ثلاثًا، وهو مذهب أبي حنيفة، وفيه حمد الله والصَّلاة علىٰ رسوله بين التكبيرات، وهو مذهب الشافعي وأحمد.

فأخذ أبو حنيفة به في عدد التكبيرات والموالاة بين القراءتين، وأخذ به أحمد والشافعيُّ في استحباب الذكر بين التكبيرات».

وبفقه الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذ فقهاء الإسلام بمشروعيَّة النَّافلة قبل فريضة المغرب، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «قال الأثرم عنه - الإمام أحمد - في الرّكعتين قبل المغرب، قال: أحاديث جياد، أو قال: صحاح عن النبيِّ ﷺ وعن الصَّحابة والتَّابعين، فمن شاء صلَّىٰ بين الأذان والإقامة».

وتلقىٰ صغار الصحابة والتابعين صفة صلاة الخوف عن أكابر الصحابة، فقد روىٰ أبو داود أن سعيد بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما كان بطبرستان سأل الصحابة: أيُّكم صلىٰ مع النبي ﷺ صلاة الخوف؟ فقال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنا، فقدمه فصلىٰ بهم.

وبمرجعية الصَّحابة قال الفقهاء باستحباب قيام الليل في رمضان جماعة، قال العلامة الفقيه أبو العبَّاس بن سُريج وأبو إسحاق المَرْوَزِي من أصحابه[٣]:

---

(١) الصلاة علىٰ النبي ﷺ (ص١٨٥).

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ١٥٠٨).

(٣) الحوادث والبدع (ص١٣٧).

«صلاة التَّراويح جماعة أفضل من الانفراد، لإجماع الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علىٰ ذلك؛ لأنَّ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جمع النَّاس علىٰ أُبيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

وبفقه الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أخذ فقهاء الإسلام بترك القيام جماعة ليلة عيد الفطر.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «روىٰ عنه - الإمام أحمد - حنبل: أما قيام ليلة الفطر فما يعجبني، ما سمعنا أحدًا فعل ذلك إلَّا عبد الرَّحمن - ابن الأسود النَّخعي التَّابعي - وما أُراه؛ لأنَّ رمضان قد مضىٰ، وهذه ليلة ليست منه، وما أُحِبُّ أن أفعله، وما بلغنا من سلفنا أنّهم فعلوه».

ومن نسك الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ تلقَّىٰ التَّابعون لهم بإحسان التأله والعبادة.

قال رجل لحذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: جئتك اليوم بعد صلاة الصبح فلم أجدك، فحسبتك نائمًا، فقال: ما أحب أن تحسبني أنام في ذلك الوقت؛ فإنّ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا لا ينامون بعد صلاة الصبح حتىٰ يعلموا من أين تطلع الشمس[2].

وعن أكابر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ تلقينا فقه دعاء القنوت في الصلاة.

قال العوام بن حمزة: سألت أبا عثمان النَّهدي عن القنوت؟ **فقال:** بعد الركوع، قلت: عمّن؟ قال: عن أبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[3].

فعُلم من فقه الصحابة موضع دعاء القنوت في الصلاة، وأمَّا ما ورد من

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٤٩٧).

(٢) الدعاء المأثور للطرطوشي (ص١٥٢).

(٣) سؤالات أبي بكر الأثرم للإمام أحمد (ص٣٠ - رقم ١٦).

الأحاديث من القنوت قبل الركوع، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «المراد هنا بالقنوت: طول القيام، لا الدعاء».

فموضع دعاء القنوت بعد الركوع، قال العلامة عبد الله بن أحمد بن يحيىٰ المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٩١هـ)[(٢)]: «لأَنَّهُ صحَّ عنه عليه السلام من رواية أبي هريرة، وأنس، وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وعن عمر وعليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّهما كان يقنتان بعد الركوع، رواه أحمد والأثرم.

قال أبو بكر الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأحاديث التي جاء فيها القنوت قبل الركوع كلها معلولة».

وبمرجعيَّة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أخذ العلماء جواز الصِّيام لمن لم يشقّ عليه في السَّفر، وجواز الفطر، قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كنا نسافر مع النبيِّ ﷺ، فلم يعب الصَّائم علىٰ المفطر، ولا المفطر علىٰ الصَّائم»، متَّفق عليه.

وبعمل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ استفاد الفقهاء نسخ وجوب صوم عاشوراء، وبقاء استحباب صيامه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنَّ النبيّ ﷺ حثَّهم علىٰ صيامه، وأخبر أنَّ صومه يُكفِّر السنة الماضية، واستمرَّ الصَّحابة علىٰ صيامه إلىٰ حين وفاته».

---

(١) القواعد النورانية الفقهية (١/ ٢٣٨).

(٢) شرح دليل الطالب لنيل المطالب (١/ ٣٦٥).

(٣) زاد المعاد (ص١٩٧).

وبمرجعية الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أخذ التابعون لهم بإحسان فقه مناسك الحجّ والعمرة.

سأل محمد بن أبي بكر الثَّقفي رَحِمَهُٱللَّهُ أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهما غاديان من منىٰ إلىٰ عرفة: كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله ﷺ؟ قال: فكان يهل منَّا المهلّ فلا ينكر عليه، ويكبر المكبر منَّا، فلا ينكر عليه، متفق عليه.

وبإجماع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ **قال العلماء**: إن إزالة شعر سائر الجسد من محظورات الإحرام كشعر الرأس، قال الإمام أحمد في رواية حبيش السندي: «لا أعلم في ذلك خلافًا»، وقال ابن قدامة **رَحِمَهُٱللَّهُ**: «فيه الإجماع السابق»، يعني إجماع الصحابة والتابعين.

وبمرجعية الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ **قال الفقهاء كافة**: إنّ فدية محظور الجماع للحاج المحرم بدنة، ومستندهم فقه الصحابة، ولم يصح شيء مرفوع في ذلك.

وبمرجعية الصحابة استفاد التابعون أنّ الفاصل اليسير بين الأشواط لإقامة الصلاة المفروضة أو للاستراحة؛ لا بأس به.

قال عطاء رَحِمَهُٱللَّهُ فيمن يطوف فتقام الصلاة، أو يُدفع عن مكانه إذا سلَّم: يرجع إلىٰ ما قطع عليه، فيبني. ويذكر نحوه عن ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ (١).

وبمرجعيَّة الصَّحابة استفاد العلماء وجوب إخراج زكاة الفطر صاعًا من طعام، قال أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كنَّا نُخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم

(١) شرح السنة (٧/ ١٢٧).

الفطر صاعًا من طعام، وكان طعامنا: الشَّعير، والزَّبيب، والأقط، والتَّمر»(١).

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إخراج القيِّمة مخالف لعمل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حيث كانوا يخرجونها صاعًا من طعام».

وبمرجعيَّة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ استفاد المسلمون استحباب الدُّعاء بقبول الأعمال في عيد الفطر إذا التقىٰ المسلمون.

قال جبير بن نفير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبَّل الله منَّا ومنك»(٣).

وعن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أخذ الفقهاء أحكام الطَّهارة، من ذلك جواز لبث الجنب في المسجد إذا توضَّأ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «جوَّز الإمام أحمد للجُنُب أن يتوضَّأ ويلبث في المسجد، كما كان الصَّحابة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - يفعلونه».

وكذلك أخذ العلماء من فقه الصَّحابيَّات أنَّ الكدرة والصُّفرة بعد الطُّهر من الحيض ليست حيضًا، ولا توجب الغسل ولا تمنع الصلاة، إنَّما تنقض الوضوء

(١) رواه البخاري، كتاب الزَّكاة، باب صدقة الفطر صاع من شعير (ص٢٤٥ – رقم ١٥٠٦).

(٢) مجالس شهر رمضان (ص٢١٠).

(٣) رواه في المحامليات، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناد حسن» فتح الباري (٢/ ٥٧٥).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رُوِّينا في كتاب تحفة عيد الأضحىٰ لأبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي المستملي ما أورده بسند حسن» جزء في التّهنئة في الأعياد (ص٣٣).

(٤) بدائع الفوائد (٤/ ١٣٤٤، ١٣٤٥).

فقط؛ لقول أم عطيَّة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «كنَّا لا نعُدُّ الصُّفرة والكدرة شيئًا»، رواه البخاري، وزاد أبو داود: «بعد الطُّهر».

وبمرجعيَّة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقَّىٰ التَّابعون لهم بإحسان أدب حضور المقابر.

قال وكيع بن الجرَّاح: حدَّثنا حمَّاد بن زيد عن أيُّوب السّختياني عن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه سمع قاصًّا رافعًا صوته في جنازة، فقال: إن كانوا ليعظمون الموت بالسَّكينة(١).

فأبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي التَّابعي الثِّقة بيَّن للنَّاس هدي السلف من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في حضور الجنائز.

وكان من هدي الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الموافق لسنَّة النبيِّ ﷺ زيارة المقابر لتذكُّر الآخرة والدُّعاء للميِّت، لا للاستغاثة به.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كان ﷺ إذا زار قبور أصحابه يزورها للدُّعاء لهم، والترحُّمُ عليهم، والاستغفار لهم، وهذه هي الزِّيارة التي سنها لأمَّته، وشرعها لهم، وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: «**السلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**».

وكان هديه أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة علىٰ الميت، من الدُّعاء والترحُّم، والاستغفار.

فأبىٰ المشركون إلَّا دعاء الميت والإشراك به، والإقسام علىٰ الله به، وسؤاله

---

(١) الزهد (٢/ ٤٦١ – رقم ٢٠٩)، وإسناده صحيح.

(٢) زاد المعاد (ص١٧٣).

الحوائج، والاستعانة به، والتوجُّه إليه، بعكس هديه ﷺ، فإنّه هدي توحيد وإحسان إلىٰ الميت، وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلىٰ نفوسهم، وإلىٰ الميت، وهم ثلاثة أقسام: إما أن يدعوا الميت أو يدعوا به، ويرون الدعاء عنده أوجب وأولىٰ من الدُّعاء في المساجد، ومن تأمَّل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه؛ تبيَّن له الفرق بين الأمرين».

وبمرجعيَّة الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حذَّر العلماء من الاجتماع البدعي للتَّعزية، قال جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنَّا نعدّ الاجتماع وصنع الطَّعام من النِّياحة، رواه أحمد.

قال العلَّامة أبو بكر الطرطوشي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «أمَّا المآتم فممنوعة بإجماع العلماء، قال الشَّافعي: «وأكره المأتم، وهو اجتماع الرِّجال والنِّساء؛ لما فيه من تجديد الحزن»».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «وكان من هديه ﷺ تعزية أهل الميت، ولم يكن من هديه أن يُجتمع للعَزاء، ويُقرأ له القرآن، لا عند القبر ولا غيره.

وكل هذا بدعة حادثة بعده مكروهة».

وبمرجعيَّة الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نقل عنهم التَّابعون فقه الأحكام، ومما نقلوه عنهم في فقه الجهاد؛ ما قاله سلمة بن كهيل التَّابعي الكوفي الثِّقة[٣]: «كان أصحابنا

(١) الحوادث والبدع (ص٣٣٤).

(٢) زاد المعاد (١/ ٦٧٨).

(٣) رواه أبو إسحاق الفزاري في السِّير (ص١٨١ – رقم ٢٤٥) بإسناد صحيح.

يحدِّثون عن أصحاب محمَّد عليه السلام أنَّهم كانوا يقسمون للفرس سهمين، وللرَّجل سهمًا».

وعن الصحابيات رضي الله عنهن تلقىٰ التابعون والتابعيات فقه جهاد النساء، قال خالد بن ذكوان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت الرُّبَيِّعَ بنت معوِّذ بن عفراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قلت: إنَّ عندنا نساءً حروريات، يقلن: إنَّه قد كان يغزو مع رسول الله ﷺ نساء!

قالت: كنّا نغزو ولا نقاتل، ولكنَّا نسقي القوم، ونرد الجرحىٰ والقتلىٰ إلىٰ المدينة[1].

وقال أبو عبد الله قيس بن عباد البصري، وهو من كبار التَّابعين، عن الصحابة: «كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر، وعند القتال، وعند الجنائز».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «كان المسلمون في عهد نبيهم ﷺ وبعده لا يعرفون وقت الحرب إلَّا السكينة وذكر الله».

وعن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقّت الأمَّة أحكام الحدود والتعزيرات، وعاقبوا بمضاعفة الغرم إذا وجد مانع من إقامة الحدِّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «قضىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الضالة المكتومة أنّه يضعف غرمها.

وبذلك كله قال طائفة من العلماء مثل أحمد وغيره.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مُدَاواة النِّساءِ الجَرْحَىٰ في الغزْو (ص٤٧٦ -رقم ٢٨٨٢).
وذكر محمد بن نصر المروزي متنه في «السنة» (ص٣٤٢، ٣٤٣ -رقم ١٣٣)، بأتم من لفظ البخاري.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢١٣).

(٣) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٤٢٠).

وأضعف عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره الغرم في ناقة أعرابي أخذها مماليك جياع، فأضعف الغرم علىٰ سيدهم، ودرأ عنه القطع، وأضعف عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المسلم إذا قتل الذمّي نصف دية المسلم، وأخذ بذلك أحمد بن حنبل».

وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مرجعًا للتَّابعين في تلقِّي السلوك والأخلاق، والآداب.

قال التَّابعي قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لأنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، رواه البخاري في صحيحه.

وقال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قدموا من سفر تعانقوا . رواه البيهقي.

ونقل أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أدب الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في السَّلام، فقال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون، فإذا لقيتهم شجرة أو أكمة - التلّ - تفرَّقوا يمينًا وشمالًا، وإذا التقوا من ورائها سلَّم بعضهم علىٰ بعض، رواه البخاري في الأدب المفرد.

وكان التابعون يأخذون بهدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في أدب إجمام النَّفس، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سُئل ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال، رواه عبد الرزاق.

والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا مرجعًا للأمَّة في آداب الدُّعاء، وهذا ما حثَّ حبر الأمَّة وترجمان القرآن علىٰ تلقِّيه عنهم، قال عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لمولاه عكرمة: «إياك والسَّجع في الدُّعاء، فإنِّي عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك»(١).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الدَّعوات، باب ما يُكره من السَّجع في الدُّعاء (ص١١٠٢ – رقم ٦٣٣٧).

وممَّا نقله التَّابعون عن الصَّحابة في أدب الدُّعاء إخفاؤه، قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانوا يجتهدون في الدُّعاء، ولا تسمع إلا همسًا»[١].

ونقل إلينا التَّابعون أدب الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الدُّعاء بالبركة للمولود إذا حضروا وليمته.

قال معاوية بن قُرَّة: «لما وُلد لي إياس دعوت نفرًا من أصحاب النبيّ ﷺ فأطعمتهم، فدعوا، فقلت: إنكم قد دعوتم فبارك الله لكم فيما دعوتم، وإنِّي إن أدعو بدعاء فأمنوا، فدعوت له بدعاء كثير في دينه، وعقله، وكذا، فإنِّي لأتعرَّف فيه دعاء يومئذ»[٢].

وقد أدركَتْ إياس بركة دعاء الصَّحابة وتأمينهم، فكان قاضيًا فقيهًا، يُضرب به المثل في ذكائه.

وعن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقَّىٰ المسلمون أصول الاستدلال، وذلك لأنَّ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فقهاء الأمّة، أخذوا فقه نصوص الوحي وعلل الأحكام من النبي ﷺ، ورُزقوا فهمًا لمعاني الوحي، وكانوا أعلم الخلق بدلالات نصوص الوحي علىٰ الأحكام.

واستفادت الأمّة حجيَّة النصّ العام علىٰ معانيه التي سيقت له من أصول استدلال الصَّحابة، فابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لعن الواشمات والمستوشمات والمتنمِّصات، والمتفلِّجات للحسن، المغيرات خلق الله عَزَّوَجَلَّ، فأنكرت عليه

(١) رواه وكيع في الزُّهد (٢/ ٦١٦ – رقم ٣٣٨)، بإسناد لا بأس به.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٧١٣ – رقم ١٢٥٥).

امرأة، فقال: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟!

فقالت: إنِّي لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته، فقال: إنْ كنت قرأتيه فقد وجدتيه، أما قَرَأتِ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]؟

قالت: بلىٰ، متَّفق عليه.

قال الحافظ العلائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المعتمد في الاحتجاج بالعموم المنقول عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فإنَّ من طالع كتب السنن والآثار المنقولة عنهم، حصل له العلم القطعي بفهمهم العموم من هذه الصيغ، وحملهم إياها علىٰ ذلك، وهو متواتر عنهم تواترًا معنويًّا».

وعندما روىٰ ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قول رسول الله** ﷺ: «من مات يُشرك بالله شيئًا؛ دخل النَّار»، متَّفق عليه، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معلِّمًا أصول الاستدلال بمفهوم المخالفة: «وأنا أقول: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة».

وفي أصول الاستدلال أخذ العلماء بالقياس الصَّحيح لإجماع الصَّحابة علىٰ الاستدلال به، قال العلَّامة ابن بطال المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال أبو تمام المالكي: أجمعت الصحابة علىٰ القياس، فمن ذلك أنهم أجمعوا علىٰ قياس الذهب علىٰ الورق في الزكاة.

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (أقيلوني بيعتي. فقال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله لا نقيلك، رضيك رسول الله - ﷺ - لديننا، فلا نرضاك لدنيانا؟! فقاس الإمامة

---

(١) تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم (ص١٣٨).

(٢) شرح صحيح البخاري (١٠/ ٣٦٢).

علىٰ الصلاة، وقاس الصديق الزكاة علىٰ الصلاة، وقال: والله لا أُفرِّق بين ما جمع الله. وصرَّح علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالقياس في شارب الخمر بمحضر الصحابة، وقال: إنه إذا سكر هذي وإذا هذي افترىٰ، فحده حد القاذف. وكذلك لما قال له الخوارج: لم حكمت؟ قال: قد أمر الله تعالىٰ بالحكمين في الشقاق الواقع بين الزوجين، فما بين المسلمين أعظم.

وهذا ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يقول: ألا اعتبروا الأصابع بالأسنان، اختلفت منافعها واستوت أروشها، وقال: ألا يتقي الله زيد يجعل ابن الابن ابنًا، ولا يجعل أب الأب أبًا.

وكتب عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلي أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يعلمه القضاء، فقال له: اعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور عند ذلك.

واختلف عليٌّ وزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في قياس الجد علىٰ الإخوة، فقاسه عليٌّ بسبيل انشعبت منه شعبة، ثم انشعبت من الشعبة شعبتان، وقاس ذلك زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بشجرة انشعب منها غصن، وانشعب من الغصن غصنان. وقال ابن عمر - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا -: وقت النبي ﷺ لأهل نجد قرنًا ولم يوقت لأهل العراق، فقال عمر - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -: قيسوا من نحو العراق كنحو قرن. قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: فقاس الناس من ذات عرق.

ولو ذكرنا كل ما قاسه الصحابة لكثر به الكتاب، غير أنه موجود في الكتب لمن ألهمه الله رشده».

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا مرجعًا للأمَّة في كل مسائل الدِّين.

قال ابن القصَّار المالكي عن الصَّحابة[١]: «هم الذين أُمرنا بالاقتداء بهم؛ لأنَّهم المبلِّغون للسنن، والمفسِّرون لها، فوجب اتِّباع سبيلهم، واختيار ما اختاروه، والرَّغبة عمَّا رغبوا عنه».

والفقيه هو الذي يأخذ معاني القرآن والسُّنَّة بفهم الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، ومن لم يتلقَّ معاني نصوص الوحي بفهم السَّلف وفارق جماعتهم؛ ضلَّ في أهواء البدع.

قال الفقيه المحدِّث أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الفقيه[٢]: «المجتهد من جمع خمسة أنواع من العلم: علم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وعلم سنَّة رسول الله ﷺ، وأقاويل علماء السَّلف من إجماعهم واختلافهم، وعلم اللُّغة، وعلم القياس، وهو طريق استنباط الحكم عن الكتاب والسُّنَّة إذا لم يجده صريحًا في نصِّ كتاب، أو سنَّة، أو إجماع».

وقال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الواجب علىٰ الفقيه[٣]: «ويعرف أقاويل الصَّحابة والتَّابعين في الأحكام، ومعظم فتاوىٰ فقهاء الأمَّة حتىٰ لا يقع حكمه مخالفًا لأقوالهم؛ فيكون فيه خرق الإجماع».

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «عليك بآثار من سلف، وإيَّاك وآراء الرِّجال وإن

---

(١) شرح ابن بطَّال علىٰ صحيح البخاري (٤/ ٣٦٩).

(٢) شرح السنَّة (١٠/ ١٢٠).

(٣) شرح السنَّة (١٠/ ١٢١).

(٤) الحجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٤٢٨).

زخرفوها بالقول، فإنَّ الأمر ينجلي وأنت علىٰ صراط مستقيم».

وقال العلَّامة أبو العبَّاس المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أصل كل بدعة في الدِّين البعد عن كلام السَّلف، والانحراف عن اعتقاد الصَّدر الأوَّل».

وقال العلَّامة محمد بن عليّ الشَّوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «المذهب الحقّ الذي لا يتمذهب به إلَّا أهل التَّوفيق؛ هو ما كان عليه السَّلف الصَّالح من الصَّحابة والتَّابعين».

ومن الخير الذي جعله الله في قلوب أهل السنَّة تزيينه حب علماء السَّلف، وتلقِّي العلم من جهتهم.

قال العلَّامة أبو عثمان الصَّابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إحدىٰ علامات أهل السنَّة: حبّهم لأئمَّة السنَّة وعلمائها، وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمَّة البدع، الذين يدعون إلىٰ النَّار، ويدلُّون أصحابهم علىٰ دار البوار.

وقد زيَّن الله سبحانه قلوب أهل السنَّة بحب علماء السنَّة، فضلًا منه جلَّ جلاله ومنَّة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «إنَّما يوجد تعظيم السَّلف عند كل طائفة بقدر استنانها وقلَّة ابتداعها».

---

(١) المواعظ والاعتبار (٤/ ١٩٨).

(٢) نثر الجوهر علىٰ حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (ص١٣٠).

(٣) عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث (ص٣٠٧).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٥٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «سلف الأمة شيوخ لخلفها».

والائتمام بالسَّلف أوجبه ما ذكرته من أدلَّة القرآن والسُّنَّة، تحققهم بالعلم ينادي عليهم بالمرجعيَّة، والله يجازي بالإحسان إحسانًا، فمن أدَّىٰ علومهم إلىٰ الأمَّة واتَّبعهم بإحسان؛ فإنَّ الله يحفظ عليه علومه ويسخِّر له أسباب أدائها لمن بعده.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «من ائتم بأهل السُّنَّة قبله؛ ائتمَّ به من بعده ومن معه».

وصلة الأمة بالصَّحابة هو ميراث الأنبياء الذي تلقَّوه عن النبي ﷺ، وأداه إلينا الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فهذا أعظم ميراث حفظه الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لنا من كدر البدع والضَّلالات وشوائب الأهواء.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إذا كانت «سعادة الدُّنيا والآخرة» هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أنَّ أحق الناس بذلك أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتَّبعون لها هم أهل السَّعادة في كل زمان ومكان، وهم الطَّائفة النَّاجية من أهل كل ملَّة، وهم أهل السنَّة والحديث من هذه الأمَّة، فإنَّهم يشاركون سائر الأمَّة فيما عندهم من أمور الرِّسالة، ويمتازون عنهم بما اختصُّوا به من العلم الموروث عن الرَّسول ﷺ، ممَّا يجهله غيرهم أو يُكذِّب به».

وهذا يوجب علينا تلقِّي الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) الفتاوىٰ العراقية (١/ ٩١).

(٢) رسالة إلىٰ أحد إخوانه (ص١٢).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أعلم النَّاس بالسَّابقين وأتبعهم لهم هم أهل الحديث وأهل السُّنَّة، ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالة عبدوس بن مالك: أصول السُّنَّة عندنا: التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة.

والسُّنّة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسُّنَّة تفسِّر القرآن، وهي دلائل القرآن؛ أي: دلالات علىٰ معناه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ما زال كل ذي عقل ودين يردُّون علم معاني الكتاب والسُّنَّة إلىٰ العلماء والفقهاء فيه، الذي تلقّوه طبقةً بعد طبقة، ميراثًا محفوظًا».

والله عَزَّوَجَلَّ أقام الدِّين بالصَّحابة، وحفظ الدِّين بهم، فهم الذين أدّوه إلينا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ولا يزال المسلمون يتلقَّون الفقه في الدِّين من طريقهم.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إن الله تعالىٰ حفظ هذه الشريعة بما جعل لها من الحملة؛ أهل الدراية، وأهل الرواية، فكان الطالب للعلم والإيمان يتلقىٰ ذلك ممن يدركه من شيوخ العلم والإيمان، فيتعلم الطالب القرآن والحديث ممن يعلم ذلك، ويتعلم الفقه في الدين من شرائع الإسلام

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٠٢).

(٢) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص٣١).

(٣) جامع رسائل ابن رجب (٢/ ٥٦٠، ٥٦١).

الظاهرة، وحقائق الإيمان الباطنة، ممن يعلم ذلك. وكان الأغلب على القرون الثلاثة المفضلة جمع ذلك كله، فإن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقوا عن النبي - ﷺ - جميع ذلك، وتلقاه عنهم التابعون، وتلقىٰ عن التابعين تابعوهم».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي أيضًا(١): «كان العلم والدِّين يتلقَّاه التَّابع عن المتبوع سماعًا وتعلُّمًا، وتأدُّبًا واقتداءً».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «هم - الصَّحابة - كانوا السبب في بلوغ الإسلام إلينا، وفي تعليم كل خير وهدًى وسبب تنال به السعادة والنجاة. وهم أعدل الأُمة فيما ولوه، وأعظمها جهادًا في سبيل الله.

والأُمة في آثار علمهم وعدلهم وجهادهم إلىٰ يوم القيامة، فلا ينال أحد منهم مسألة علم نافع إلا علىٰ أيديهم ومن طريقهم ينالها، ولا يسكن بقعة من الأرض آمنًا إلا بسبب جهادهم وفتوحهم، ولا يحكم إمام ولا حاكم بعدل وهدًى إلا كانوا هم السبب في وصوله إليه، فهم الذين فتحوا البلاد بالسيف والقلوب بالإيمان وعمروا البلاد بالعدل والقلوب بالعلم والهدىٰ، فلهم من الأجر بقدر أجور الأُمة إلىٰ يوم القيامة مضافًا إلىٰ أجر أعمالهم التي اختصُّوا بها، فسبحان من يختص بفضله ورحمته من يشاءُ».

فالمسلم يتلقَّىٰ دينه عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ رواية، ويتلقَّىٰ عنهم دراية معاني الوحي.

---

(١) جامع رسائل ابن رجب (٢/ ٥٦٢).

(٢) طريق الهجرتين وباب السَّعادتين (٢/ ٧٨٨، ٧٨٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا كان من عدل عما فسر به رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون القرآن؛ فأحد الأمرين لازم له: إما أن يعدل إلىٰ تفسيره بما هو دون ذلك، فيكون محرفًا للكلم عن مواضعه، وإما أن يبقىٰ أصم أبكم لا يسمع من كلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ إلا الصوت المجرَّد الذي يَشْرَكُه فيه البهائم ولا يعقله. وكل من هذين الأمرين باطل ومحرم، ثبت تعيُّن الطريقة النبوية السلفية وبطلان الطريقة التحريفية والأمية، فالتحريفية لها الجهل المركب والكفر المركب، والأمية لها الجهل البسيط والكفر البسيط».

وقال شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الإجماع الذي يبلغنا عن الصحابة والتابعين لا يسع مسلمًا خلافه، ولا يُعذر فيه؛ فإن الحق لا يخرج عنهم لأنهم الأدلاء، وأرباب مذاهب هذه الأمة، والصدور والسادة والعلماء القادة، أولو الدين والديانة والصدق والأمانة والعلم الوافر والاجتهاد الظاهر ولهذا المعنىٰ اقتدوا بهم في الفروع، فجعلوهم فيها وسائل بينهم وبين الله، حتىٰ صاروا أرباب المذاهب في المشارق والمغارب، فليرضوا كذلك بهم في الأصول فيما بينهم وبين ربهم وبما نصوا عليه ودعوا إليه».

وكان خيار السَّلف من التَّابعين يجعل السَّلف من الصَّحابة ومن اتبعهم بإحسان مرجعًا في تلقّي العلم والعقيدة والمنهج والعمل والأخلاق والسُّلوك، فكان الحسن البصري إذا رأىٰ أخلاق النَّاس علىٰ غير مكارم الصَّحابة قال: «ما

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص٢٠، ٢١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٧٩).

هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ، نعوذ بالله من خلاف عليهم»[١].

وقال عبد الرزَّاق: أدركت أصحابنا: سفيان الثَّوري، وابن جريج، وعبد الله بن عمر، ومالك بن أنس، ومعمر بن راشد، والأوزاعي، وسفيان بن عيينة، يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقال له بعض القوم: فما تقول أنت يا أبا بكر؟

قال: إن خالفتهم فقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «من لم يأخذ معاني الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين ومن أخذ عنهم؛ لم يكن له طريق أصلًا، إلا ما يَرِدُ عليه من الآفات أضعافُ ما يرد علىٰ هذه الطريق، فلا يجوز له ترجيح غيرها عليها؛ فيكون أحد الأمرين لازمًا له:

إما أن يستبدل الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، ويعدِلَ عن الطَّريق التي فيها من العلوم اليقينيَّة والأمور الإيمانيّة والاعتقادات الرَّاجحة والظُّنون الغالبة ما لا يوجد في غيرها إلىٰ ما هو دونها في ذلك كلِّه، بل يستبدل باليقين شكًّا وبالظنّ الرَّاجح وهمًا، ويستبدل بالإيمان كفرًا وبالهدىٰ ضلالة، وبالعلم جهلًا، وبالبيان عِيًّا، وبالعدل ظلمًا، وبالصدق كذبًا، وبالإيمان بكتب الله وبكلماته تحريفًا عن مواضعها. وإما أن يعرض عن ذلك كله، ولا يجعل للقرآن معنًىٰ مفهومًا وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾ [يوسف: ٢]، فلا

---

(١) آداب الحسن البصري لابن الجوزي (ص٤٣).

(٢) التَّمهيد لابن عبد البرّ (٩/ ٢٥٣).

(٣) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص١٩، ٢٠).

يعقله، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢] فلا يتدبره، وقال: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] فلا يتدبر ولا يتذكر، وقال: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣] فلا يكون من العالمين العاقلين لها. وإذا سلك هذا المسلك استطار شرره وتعدّىٰ ضرره؛ فيلزم تعطيل معاني الكتاب والسنة».

والواجب علىٰ الأمَّة موالاة الصَّحابة، وهذا من بعض حقوقهم الواجبة، قوم أدَّوا إلينا الدِّين وكانوا السَّبب في هدايتنا، جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ونصروا دين الله.

قال العلَّامة أبو زكريَّا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ)**[(١)]: «قد شهد رسول الله ﷺ لعشرة من أصحابه بالجنّة، هم خير النَّاس، وأفضلهم الخلفاء الراشدون.

ويجب علىٰ المسلمين مدحهم والثَّناء عليهم والدُّعاء لهم، ولجميع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لما بذلوا من وسع النَّفس والمال في إقامة الحقّ ونصرة الدِّين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من كان من أولياء الله المتَّقين كأبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ، وغيرهم، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ فمحبَّة هؤلاء من أوثق عرىٰ الإيمان، وأعظم حسنات المتَّقين».

---

(١) منازل الأئمَّة الأربعة (ص١٤٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣١٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «ما وقع بين الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، إذ المعنىٰ المقتضي لذلك يَعمُّ الصَّحابة وسائر طبقات الأمَّة، إذْ كُلُّ طبقة متأخِّرة ينبغي أن تستعمل مع الطَّبقة المتقدِّمة معنىٰ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]».

من تلقَّىٰ دينه عن سلف الأمَّة من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فهو من المهتدين، ومن خالفهم فهو من الضَّالِّين، ومن شاقَّهم وخالف سبيلهم فهو من الزَّائغين الذي يوليه الله ما يستحقه.

قال الموفَّق أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من أحب الكون مع السَّلف في الآخرة، وأن يكون موعودًا بما وُعدوا به من الجنات والرِّضوان؛ فليتَّبعهم بإحسان، ومن اتَّبع غير سبيلهم دخل في عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ١١٥] ».

وقال العلَّامة أبو نصر عبيد الله بن سعيد الوايلي السّجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٤٤هـ)**[(٣)]: «من رام النَّجاة من هؤلاء - المبتدعة -، والسَّلامة من الأهواء؛ فليكن ميزانه الكتاب، والأثر - في كل ما يسمع ويرىٰ، فإن كان عالمًا

---

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص١٦١).

(٢) ذمّ التأويل (ص٩، ١٠).

(٣) الردّ علىٰ من أنكر الحرف والصَّوت (ص٢٣٣).

بهما عرضه عليهما - واتِّباعه للسَّلف.

ولا يقبل من أحد قولًا إلا وطالبه علىٰ صحَّته بآية محكمة، أو سنّة ثابتة، أو قول صحابيّ من طريق صحيح».

ومن هنا كان العلماء يثنون علىٰ من تلقَّىٰ علومه عن السَّلف، وأشهر من عُرف بهذا من بعد طبقة التَّابعين الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أحمد كان أعلم من غيره بالكتاب والسُّنّة وأقوال الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، ولهذا لا يكاد يوجد له قول يخالف نصًّا، كما يوجد لغيره، ولا يوجد له قول ضعيف في الغالب إلَّا وفي مذهبه قول يوافق القول الأقوىٰ، وأكثر مفاريده التي لم يختلف فيها مذهبه يكون قوله فيها راجحًا».

وبسبب تلقِّي الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ علومه من القرآن والسُّنَّة وآثار الصَّحابة عظم قدره في الأمَّة، وتلقَّوا علومه بالتَّقدير، وهو الذي حفظ الله به الدِّين من تحريف الجهميّة والمعتزلة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «من تأمَّل فتاواه وفتاوىٰ الصَّحابة رأىٰ مطابقة كلٍّ منهما للأخرىٰ، ورأىٰ الجميع كأنَّها تخرج من مشكاة واحدة، حتىٰ إنَّ الصَّحابة إذا اختلفوا علىٰ قولين جاء عنه في المسألة روايتان.

وكان تحرِّيه لفتاوىٰ الصَّحابة كتحرِّي أصحابه لفتاويه ونصوصه، بل أعظم، حتَّىٰ إنَّه لَيُقدِّم فتاواهم علىٰ الحديث المرسل، قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٢٢٩).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٥٨).

في «مسائله»: قلت لأبي عبد الله: حديث عن رسول الله ﷺ مرسل برجال ثَبَتَ أحبُّ إليك، أو حديث عن الصَّحابة والتَّابعين متَّصل برجال ثَبَتَ؟ قال أبو عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن الصَّحابة أعجب إليَّ».

وقال أبو بكر بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ممتدحًا من تفقَّه بعلوم الصحابة**(١): «ما رأيت في فقهاء الإسلام أعرف بأقاويل الصَّحابة والتَّابعين من محمد بن عبد الله بن عبد الحكم».

وطريقة أهل السُّنّة والجماعة تلقِّي معاني نصوص الكتاب والسُّنّة بفهم السَّلف، وهذا كما أنّه من اتباعهم بإحسان، فإنَّه سبيل المؤمنين، الذي لا يزيغ عنه إلا جاهل أو متعالم مغرور، أو ساع في إبطال السُّنَّة بضلالات أهوائه.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أمَّا فقهاء أهل الحديث العاملون به؛ فإنَّ معظم همِّهمُ البحث عن معاني كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وما يفسِّرُهُ من السُّنن الصَّحيحة، وكلام الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، وعن سُنَّةِ رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التَّفقُّه فيها، وتفهُّمها، والوقوف علىٰ معانيها، ثمَّ معرفة كلام الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من: التفسير، والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السُّنَّة، والزُّهد والرَّقائق، وغير ذلك.

وهذا هو طريقة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن وافقه من علماء الحديث الرَّبَّانيِّين».

وكما عُرف فضل الأفراد بمقدار ما أدركوه من علم السَّلف، عُرف فضل

(١) تهذيب الكمال (٦/ ٣٧٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٤٩).

الأمصار بما كان فيها من ميراث النبوَّة وعلم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين تلقَّوا الدِّين مباشرة عن رسول الله ﷺ، وكانت مدينة رسول الله ﷺ معدن العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لم يزل العلم والإيمان بها - المدينة - ظاهرًا إلىٰ زمن أصحاب مالك، وهم أهل القرن الرابع، حيث أخذ ذلك القرن عن مالك وأهل طبقته: كالثَّوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وحمَّاد بن زيد، وحمَّاد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، وأمثالهم.

وهؤلاء أخذوا عن طوائف من التَّابعين، وأولئك أخذوا عمَّن أدركوا من الصَّحابة».

وتحدَّث شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن نقاء العقيدة وظهور السُّنَّة في المدينة، فقال[2]: «أما الأعصار الثلاثة المفضَّلة؛ فلم يكن فيها بالمدينة النبويَّة بدعة ظاهرة البتَّة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدِّين البتَّة، كما خرج من سائر الأمصار، فإنَّ الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ، وخرج منها العلم والإيمان، خمسة: الحرمان، والعراقان، والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة، وما يتبع ذلك من أمور الإسلام. وخرج من هذه الأمصار بدع أصوليَّة غير المدينة النبويَّة، فالكوفة خرج منها التشيُّع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها.

والبصرة خرج منها: القدر والاعتزال، والنُّسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها.

والشَّام كان بها النّصب والقدر. وأمَّا التجهُّم فإنَّما ظهر من ناحية خراسان،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٣٠٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٣٠١).

وهو شرّ البدع. وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدَّار النبويَّة».

وظهر فضل أهل السنَّة والجماعة علىٰ سائر الفرق بتلقِّيهم معاني الكتاب وصحيح ما يُروىٰ عن النبيّ ﷺ بفهم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فأدركوا بذلك الحقّ، وصاروا علىٰ ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه.

قال العلَّامة أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ الله أبىٰ أن يكون الحقّ والعقيدة الصَّحيحة إلّا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنَّهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف، وقرنًا عن قرن، إلىٰ أن انتهوا إلىٰ التَّابعين، وأخذه التَّابعون من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلىٰ معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ النَّاس من الدِّين المستقيم، والصِّراط القويم، إلَّا هذا الطَّريق الذي سلكه أصحاب الحديث».

وبموافقة إجماع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تعرف هدىٰ المحقِّين وضلالة المبتدعين، وكل من أراد التمييز بين الاعتقادات والمناهج الصَّحيحة والباطلة يذكر ما في الأقوال من الموافقة أو المخالفة للصحابة.

قال أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في حجيَّة خبر الآحاد**[٢]: «الذي عليه سلف الأمَّة من الصَّحابة والتَّابعين والفقهاء أنَّه يجب العمل به، والدَّليل علىٰ ذلك إجماع الصَّحابة علىٰ صحَّة العمل به».

وذكر الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماع التَّابعين علىٰ ذلك، موافقة للصَّحابة،

---

(١) الحجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

(٢) إحكام الفصول (ص٣٣٤).

فقال[١]: «وعلىٰ العمل بخبر الواحد كان كافَّة التَّابعين، ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلىٰ وقتنا هذا».

ومعلوم لدىٰ كافَّة المسلمين أنَّ الدِّين يُتلقَّىٰ عن خير القرون، وهذا تحدَّث به من أنصفهم وعرف قدرهم.

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قد روينا في حديث زيد بن ثابت، وفي حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وغيرهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**».

وهذا كلام أخذته الصَّحابة عن رسول الله ﷺ، وأخذه التَّابعون عنهم، ولم يزل يأخذه الخلف عن السَّلف من غير نكير، وصار ذلك إجماعًا منهم علىٰ ذلك».

وقيل لشريك بن عبد الله القاضي: إنَّ عندنا أقوامًا يُنكرون أنَّ الله ينزل إلىٰ السَّماء الدُّنيا، وأنَّه يُرىٰ في الآخرة، فحدَّث بنحو من عشرة أحاديث، وقال: نحن أخذنا ديننا عن التَّابعين، عن الصَّحابة، فهم عمَّن أخذوا؟![٣].

فهذا هو الحدّ الفاصل بين السنِّي والبدعيّ، السنِّي يتلقَّىٰ دينه عن التَّابعين عن الصَّحابة، والبدعي دينه هواه، وضلالات المبتدعين.

قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد

(١) الكفاية في معرفة أصول علم الرِّواية (١/ ١٢٩).

(٢) الاعتقاد (ص١٩١، ١٩٢).

(٣) السنَّة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ٢٧٣ –رقم ٥٠٩)، والصِّفات للدَّارقطني (ص١٢٠ –رقم ٦٧).

(٤) الرِّسالة (ص٤٧٥، ٤٧٦).

لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمر بلزومها، وإنَّما تكون الغفلة في الفرقة، فأمَّا الجماعة فلا يمكن فيها كافَّة غفلة عن معنىٰ كتاب ولا سنَّة ولا قياس».

وتلقِّي علم السَّلف عن الصَّحابة والتَّابعين؛ يكون بالثَّابت الصَّحيح المنقول عنهم، وهذا يوجب علىٰ طالب العلم العناية بتمييز المرويَّات صحيحها من ضعيفها، أو الاستفادة من العلماء المحقِّقين الذين قاموا بتحرير المرويَّات عن السَّلف.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الرَّجل تكون عنده الكتب المُصَنَّفَةُ، فيها قول رسول الله ﷺ، واختلاف الصَّحابة والتَّابعين، وليس للرَّجل بصرٌ بالحديث الضَّعيف المتروك، ولا بالإسناد القويّ من الضَّعيف، فيجوز له أن يعمل بما شاء، ويتخيَّر ما أحبّ منها، يُفتي به، ويعمل به؟

قال: «لا يعمل حتىٰ يسأل ما يؤخذ به منها، فيكون يعمل علىٰ أمر صحيح، يسأل عن ذلك أهل العلم»(١).

فالدِّين الصَّحيح متوارث عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والبدع مقطوعة الصِّلة بالسَّلف، ولذلك حذَّر العلماء من الإحداث في الدِّين أو الابتداع فيه بلا قول عن السَّلف.

قال الإمام الشَّافعيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «من تكلَّم بكلام في الدِّين، أو في شيء من هذه الأهواء، ليس فيه إمام متقدِّم من النبيِّ ﷺ وأصحابه؛ فقد أحدث في الإسلام حدثًا،

(١) الفقيه والمتفقِّه (٢/ ١٩٤).

(٢) سير السَّلف الصَّالحين (٣/ ١١٧).

وقال رسول الله ﷺ: «**من أحدث حدثًا، أو آوىٰ محدثًا في الإسلام؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا**»».

والنَّبي ﷺ في ذكره لأسباب ائتلاف أمَّته علىٰ الحقّ ومجانبتهم الباطل والفرقة في الضَّلال حثَّ أمَّته علىٰ أخذ الدِّين عنه وعن صحابته، لئلَّا يقول من شاء ما شاء فتفترق أمَّته، ولئلَّا تفترق أمَّته في الأفهام المغلوطة لنصوص القرآن والسُّنَّة، فقال: «**ستفترق أمَّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النَّار، إلا ما أنا عليه وأصحابي**»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «كل زنديق ومنافق يبطل العلم بما بعث الله به رسوله ﷺ، تارة يقول: لا نعلم أنَّهم قالوا ذلك، وتارة يقول: لا نعلم ما أرادوا بهذا القول. ومتىٰ انتفىٰ العلم بقولهم أو بمعناه لم يُستفد من جهتهم علم، فيتمكن بعد ذلك أن يقول ما يقول من المقالات».

ولذلك تجد العلماء في تحذيرهم من البدع يذكرون متىٰ أُحدثت، ومن أحدثها.

قال العلَّامة عليُّ بن إبراهيم العطَّار الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٢٤هـ) في تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام**[3]: «أول ما حدثت هذه الصَّلاة ببيت المقدس في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، أحدثها رجل من أهل نابلس يُعرف

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحديث صحيح مشهور في السُّنن والمسانِد»، مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٤٥).

(٢) نقض المنطق (ص٧٥).

(٣) حكم صوم رجب وشعبان (ص٦٠).

بابن أبي الحمراء، وكان حسن التِّلاوة، فقام يصلِّي ليلة النِّصف من شعبان في المسجد الأقصىٰ، فأحرم خلفه رجل، ثم انضاف إليهما ثالث ورابع، فما ختمها إلا وهم جماعة كثيرة، وشاعت في المسجد، وانتشرت الصلاة في المسجد الأقصىٰ، وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استقرَّت كأنَّها سُنَّة».

وقال العلَّامة الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطَّبري اللالكائي (ت: ٤١٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا خلاف بين الأمة أنَّ أوَّل من قال: «القرآن مخلوق»: جعد بن درهم، في سني نيف وعشرين، ثم «جهم بن صفوان»».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مبدأ ظهور البدع[2]: «الذي صح عن النبي ﷺ ذمهم من طوائف أهل البدع: الخوارج، فإنه قد ثبت فيهم الحديث من وجوه كلها صحاح ؛ لأن مقالتهم حدثت في زمن النبي ﷺ، وكلَّمه رئيسهم.

وأما الإرجاء والرفض والقدر والتجهم والحلول وغيرها من البدع؛ فإنها حدثت بعد انقراض عصر الصحابة.

وبدعة القدر أدركت آخر عصر الصحابة، فأنكرها من كان منهم حيًّا كعبد الله بن عمر وابن عباس وأمثالهما، وأكثر ما يجيء من ذمهم فإنما هو موقوف علىٰ الصحابة من قولهم فيه، ثم حدثت بدعة الإرجاء بعد انقراض عصر الصحابة، فتكلم فيها كبار التابعين الذين أدركوها كما حكيناه عنهم.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة (ص١٤١).

(٢) تهذيب سنن أبي داود (٣/ ١٩٠، ١٩١).

ثم حدثت بدعة التجهُّم بعد انقراض عصر التابعين، واستفحل أمرها، واستطار شرارها في زمن الأئمة، كالإمام أحمد وذويه. ثم حدثت بعد ذلك بدعة الحلول، وظهر أمرها في زمن الحلاج. وكلما ظهرت بدعة من هذه البدع وغيرها أقام الله لها من حزبه وجنده من يردها، ويُحذِّر المسلمين منها، نصيحة لله ولكتابه ولرسوله، ولأهل الإسلام، وجعله ميزانًا ومحكًّا يعرف به حزب رسول الله ﷺ وولي سنته، من حزب البدعة وناصرها».

ومن البدع المقطوعة عن السَّلف الاجتماع للذكر البدعي، بالضرب بالدفّ، وهزّ البدن، وبعضهم يرقص بتلحين ذكره بالألحان والموسيقىٰ ومزامير الشَّيطان، فإنَّ هذا ممَّا أحدثه الزَّنادقة بعد القرون المفضَّلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف والنفخ بالشبابات والاجتماع علىٰ ذلك، دينًا وطريقًا إلىٰ الله وقربة؛ فهذا ليس من دين الإسلام، وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد ﷺ، ولا أحد من خلفائه، ولا استحسن ذلك أحد من أئمة المسلمين، بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك علىٰ عهد رسول الله ﷺ، ولا عهد أصحابه، ولا تابعيهم بإحسان، ولا تابعي التابعين، بل لم يكن أحد من أهل الدين من الأعصار الثلاثة، لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا بخراسان ولا المغرب ولا مصر؛ يجتمع علىٰ مثل هذا السماع، وإنما ابتدع في الإسلام بعد القرون الثلاثة، ولهذا قال الشافعي - لما رأىٰ ذلك -: خلّفت ببغداد شيئًا

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التَّفسير (٣/ ٢٧٢، ٢٧٣).

أحدثته الزنادقة يسمونه «التغبير»، يصدون به الناس عن القرآن، وسئل عنه أحمد فقال: أكرهه، وهو محدث. قيل: أنجلس معهم؟ قال: لا! وكذلك كرهه سائر أئمة الدين، وأكابر الشيوخ الصالحين ولم يحضروه».

وقال شيخ الإسلام(١): «والذين حضروه من الشّيوخ من المحمودين تركوه في آخر أمرهم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة(٢): «وما ذكره الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه من إحداث الزَّنادقة، من كلام إمام خبير بأصول الإسلام، فإنَّ هذا السَّماع لم يرغّب فيه، ويدعو إليه في الأصل، إلَّا من هو متَّهم بالزَّندقة؛ كابن الرَّاوندي والفارابي وابن سينا، وأمثالهم».

فما لم يُتلقَّ من الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فهو من البدع، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمن اجتمعوا علىٰ صفة بدعيَّة في الذِّكر: «لأنتم أهدىٰ من أصحاب محمد ﷺ، أو أنتم علىٰ شعبة ضلالة»! رواه الدَّارمي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «أهل السُّنَّة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصَّحابة هو بدعة؛ لأنَّه لو كان خيرًا لسبقونا إليه، لأنّهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلَّا وقد بادروا إليها».

ومن هنا ظهر للعلماء المتَّبعين بدعيَّة تخصيص الأمكنة والأزمنة بعبادات وأعياد من غير دليل شرعيّ؛ كتخصيص ليلة الإسراء بعبادة.

(١، ٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التَّفسير (٣/ ٢٧٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٥٠).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «لا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة علىٰ غيرها، لا سيما علىٰ ليلة القدر، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها، ولهذا لا يُعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ، ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية، بل غار حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي وكان يتحراه قبل النبوة؛ لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة، ولا خص اليوم الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها، ولا خص المكان الذي ابتدئ فيه بالوحي ولا الزمان بشيء.

ومن خصَّ الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان وأحوال المسيح مواسم وعبادات؛ كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله.

وقد رأىٰ عمر بن الخطاب - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - جماعة يتبادرون مكانًا يصلون فيه، فقال: ما هذا؟ قالوا: مكان صلَّىٰ فيه النبي ﷺ. فقال: أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا، فمن أدركته فيه الصلاة فليصل وإلا فليمض».

فالمبتدع مخالف للسنة لأنَّه يتلقَّىٰ دينه بهواه معرضًا عن فهم السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ شعار أهل البدع: هو ترك

(١) زاد المعاد (ص١٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٥٥).

انتحال اتِّباع السَّلف».

والرَّغبة عن طلب معاني الكتاب والسُّنَّة من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ منهج المبتدعة والمتعالمين، وهو غرور من توهَّم فضله عليهم.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ **في خطابه لأبي عبد الرَّحيم الجوزجاني**[١]: «إنَّ تأويل من تأوَّل القرآن بلا سنَّة تدلُّ علىٰ معنىٰ ما أراد الله منه، أو أثر عن أصحاب رسول الله ﷺ، ويعرف ذلك بما جاء عن النبي ﷺ، أو عن أصحابه، فهم شاهدوا النبي ﷺ، وشهدوا تنزيله، وما قصَّه الله له في القرآن، وما عني به، وما أراد به أخاص هو أم عام؟ فأما من تأوَّله علىٰ ظاهره بلا دلالة من رسول الله ﷺ، ولا أحد من الصَّحابة؛ فهذا تأويل أهل البدع».

والصَّواب من أصول وطرق الاستدلال وفقه المعاني يُعرف بموافقة النصّ بفهم السَّلف، ومن خالفهم كان مخطئًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «التمسُّك بالأقيسة مع الإعراض عن النُّصوص والآثار؛ طريق أهل البدع. ولهذا كان كل قول ابتدعه هؤلاء قولًا فاسدًا، وإنَّما الصَّواب من أقوالهم ما وافقوا فيه السَّلف من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان».

فالدِّين حفظه لنا الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لفظًا ومعنىً.

قال أبو زرعة الرَّازي رَحِمَهُٱللَّهُ[٣]: «إذا رأيت الرَّجل ينتقص أحدًا من أصحاب

---

(١) بواسطة مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٩٠، ٣٩١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٩٢).

(٣) الكفاية في علم الرِّواية (ص٦٧).

رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه زنديق، وذلك أنَّ الرَّسول ﷺ عندنا حقّ، وإنَّما أدَّىٰ إلينا هذا القرآن والسُّنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنَّما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسُّنَّة، والجرح بهم أولىٰ وهم زنادقة».

والطَّعن في الصَّحابة مكيدة يهوديَّة، قصد بها عبد الله بن سبأ هدم الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ذكر العلماء أنَّ الرَّفض أساس الزَّندقة، وأنَّ أوَّل من ابتدع الرَّفض إنَّما كان منافقًا زنديقًا، وهو عبد الله بن سبأ، فإنَّه إذا قدح في السَّابقين الأوَّلين فقد قدح في نقل الرِّسالة، أو في فهمها، أو في اتِّباعها.

فالرَّافضة تقدح تارة في علمهم بها، وتارة في اتِّباعهم لها، وتحيل ذلك علىٰ أهل البيت وعلىٰ المعصوم الذي ليس له وجود في الوجود».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول ﷺ قدح في الرسول عليه السلام، كما قال مالك وغيره من أئمة العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ، إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين.

وأيضًا فهؤلاء الذين نقلوا القرآن والإسلام، وشرائع النبي ﷺ، وهم الذين نقلوا فضائل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره، فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين، وحينئذ فلا تثبت فضيلة لا لعليّ ولا لغيره».

والواجب علىٰ الأمَّة أن تأخذ بما بقي من منازل الخير، قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٠٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٢٩).

ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ٨-١٠].

قال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١): «النَّاس علىٰ ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، وقرأ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾، إلىٰ قوله: ﴿وَرِضۡوَٰنٗا﴾، فهؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة قد مضت، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾، قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ إلىٰ قوله: ﴿رَّحِيمٌ﴾، قد مضت هاتان، وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، أن تستغفروا لهم».

فالواجب علىٰ الأمَّة الأخذ بمنهج الصحابة، فكما نتلقَّىٰ عنهم العقائد والأحكام والنُّسك والأخلاق والسَّمت والهدي، فكذلك نتلقَّىٰ عنهم المنهج، الذي كان سببًا في هدايتهم واستقامة عقائدهم وأحوالهم.

طريقة الصَّحابة هو منهجهم، وأساس منهجهم في كل شيء الأخذ بفرقان الكتاب والسنَّة، فبه اهتدوا وهدوا الخلق.

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٦/ ٢٧٧).

قال العلَّامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «طريقة الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم أهل القرون الثَّلاثة المفضَّلة؛ ردّ المتنازع فيه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والرَّسول ﷺ، ولم يكن فيهم من يأخذ بقول واحد معيَّن منهم دون غيره غير رسول الله ﷺ، وهي طريقة التَّابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين».

إجماع الأمَّة العملي علىٰ تلقِّي الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معلوم، فلا تزال الأمَّة تأخذ بالدِّين الذي أداه إلينا الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وإجماع الأمة المنطوق بتلقِّي الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مصرَّح به في كلام التَّابعين ومن بعدهم، في كل مسائل الدِّين، في العقيدة والأحكام، وفقه المعاملات، وفي العبادات، والأخلاق.

قال الحافظ العلائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ التَّابعين أجمعوا علىٰ اتِّباع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فيما ورد عنهم، والأخذ بقولهم، والفتيا به».

وإجماع التَّابعين علىٰ تلقِّي معاني القرآن كلّه عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معلوم متيقَّن.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إجماع السَّلف، فإنَّهم فسَّروا جميع القرآن، وقال مجاهد: عرضت المصحف علىٰ ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من فاتحته إلىٰ خاتمته أقفه عند كل آية، وأسأله عنها.

---

(١) الاتِّباع (ص٨١).

(٢) إجمال الإصابة في أقوال الصَّحابة (ص٦٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٧/ ٣٩٥، ٣٩٦).

وتلقَّوا ذلك عن النبيِّ ﷺ، كما قال أبو عبد الرَّحمن السّلمي: حدَّثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن عثمان بن عفَّان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النبيِّ ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلَّموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا. وكلام أهل التَّفسير من الصَّحابة والتَّابعين شامل لجميع القرآن».

وعلىٰ هذا المنهج الأصيل القويم كتب شيخ المفسِّرين أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسيره، فإنَّه من قرأه وجد عمدته في بيان معاني الآيات المنقول عن الصَّحابة والتَّابعين، ليس فيه شيء من أهواء المبتدعين ولا تحريفات الضَّالِّين.

وقال العلَّامة عثمان بن سعيد الدَّارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠هـ) مبيِّنًا إجماع الأمَّة في تلقِّي الدِّين من الكتاب والسُّنَّة بالمأثور عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في فهمهما[١]: «النَّهج الذي درج عليه المسلمون، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، منها يقتبسون العلم وبها يقضون وبها يقيمون وعليها يعتمدون وبها يتزينون يورثها الأول منهم الآخر، ويبلغها الشاهد منهم الغائب؛ احتجاجًا بها واحتسابًا في أدائها إلىٰ من لم يسمعها، يسمونها السنن والآثار والفقه والعلم، ويضربون في طلبها شرق الأرض وغربها، يحلون بها حلال الله ويحرمون بها حرامه، ويميزون بها بين الحق والباطل والسنن والبدع، ويستدلون بها علىٰ تفسير القرآن ومعانيه وأحكامه، ويعرفون بها ضلالة من ضلَّ عن الهدىٰ.

---

(١) الرَّدُّ علىٰ الجهميَّة (ص٦٣).

فمن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديهم، ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه، وليتأول كتاب الله برأيه، خلاف ما عنىٰ الله به.

فإن كنتم من المؤمنين وعلىٰ منهاج أسلافهم فاقتبسوا العلم من آثارهم، واقتبسوا الهدىٰ في سبيله، وارضوا بهذه الآثار إمامًا، كما رضي بها القوم لأنفسهم إمامًا، فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ولا مثلهم، ولا يمكن الاقتداء بهم إلا باتباع هذه الآثار علىٰ ما ترون، فمن لم يقبلها فإنه يريد أن يتبع غير سبيل المؤمنين، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]».

والأمَّة كلُّها تعرف فضل الصَّحابة، وأنَّهم العمدة في نقل الدِّين إلىٰ الأمَّة، وأنَّهم خير النَّاس، وأتقىٰ الخلق، وأعلم الأمَّة بعد نبيِّها ﷺ، وأفقهها، فيأخذون عنهم الدين، ولا ينفردون بمخالفتهم، بل يتابعونهم فيما بلغوه عن رسول الله ﷺ.

قال الشَّاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ السَّلف والخلف من التَّابعين ومن بعدهم؛ يهابون مخالفة الصَّحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنىٰ في علوم الخلاف الدَّائر بين الأئمَّة المعتبرين، فتجدهم إذا عيَّنوا مذاهبهم قوَّوها بذكر من ذهب إليها من الصَّحابة، وما ذاك إلَّا لما اعتقدوا في أنفسهم وفي مخالفيهم من تعظيمهم، وقوَّة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم في الشَّريعة، وأنَّهم ممَّا يجب متابعتهم وتقليدهم، فضلًا عن النَّظر معهم فيما نظروا فيه».

وهكذا كان التَّابعون في مسائل الاعتقاد، يتديَّنون بما أخذوه من الدِّين عن

(١) الموافقات (٤/ ٧٧).

الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال طاوس – من أئمَّة التَّابعين –(١): «أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر».

وعندما ظهرت البدع في القدر في آخر عصر الصَّحابة أنكرها الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتبرءوا منهم، وحذَّروا من بدعتهم.

قال يحيىٰ بن يعمر: كان أوَّل من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرَّحمن الحميري حاجّين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر. فوافق لنا عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أنَّ صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرَّحمن! إنَّه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنَّهم يزعمون أن لا قدر، وأنَّ الأمر أنف.

قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنَّهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنَّ لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قَبِل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر(٢).

فقول التَّابعين يحيىٰ بن يعمر وحميد الحميري: لو لقينا أحدًا من أصحاب

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، (ص١١٥٧ – رقم ٦٧٥١)، وفي شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (ص٢٤٤) بلفظ «ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ».

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (ص ٢٤ – رقم ٩٣).

رسول الله ﷺ، فسألناه عمَّا يقول هؤلاء في القدر. فيه بيان ما كان عليه التَّابعون من تلقِّي الدِّين خصوصًا العقائد عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقد كانوا مرجعًا للأمَّة في أداء العلم وتبيين السُّنَّة والتَّحذير من البدع.

ولولا ما أحدثه المبتدعة في القدر لكان النَّاس في عافية من الخوض في ذلك؛ لقول النبي ﷺ: «**وإذا ذُكر القدر فأمسكوا**».

ومدارسة علم القدر للتفهُّم ولتحقيق الإيمان به؛ هذا أمر مرغوب، وقد تحاج في ذلك تفهُّمًا لا تعنُّتًا آدم وموسىٰ عليهما السلام.

قال العلَّامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[١]:

«لولا أنَّ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما بلغهم عن قوم ضلال شردوا عن طريق الحق، وكذَّبوا بالقدر، فردُّوا عليهم قولهم، وسبُّوهم، وكفَّروهم، وكذلك التَّابعون - لهم بإحسان - سبُّوا من تكلَّم في القدر، وكذَّب به، ولعنوهم، ونَهَوْا عن مجالستهم، وكذلك أئمَّة المسلمين ينهون عن مجالسة القدريَّة، وعن مناظرتهم، وبَيَّنُوا للمسلمين قبيح مذاهبهم، فلولا أنَّ هؤلاء رَدُّوا علىٰ القدريَّة لم يسع من بعدهم الكلام في القدر.

بل الإيمان بالقدر خيره وشرّه واجب، قضاء وقدر، وما قُدِّر يكن، وما لم يُقدَّر لم يكن.

وإذا عمل العبد بطاعة الله تعالىٰ علم أنَّها بتوفيق منه له، فيشكره علىٰ ذلك، وإذا عمل بمعصية ندم علىٰ ذلك، وعلم أنَّها بمقدور جرىٰ عليه، فَذَمَّ نفسه،

(١) الشَّريعة (١/ ٦٩٨، ٦٩٩).

واستغفر الله تعالىٰ».

وعندما ظهرت الخوارج بضلالها في تكفير المسلمين ناظرهم حبر الأمَّة وترجمان القرآن، بردِّهم إلىٰ فهم الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في فهم نصوص الوحي.

والمنقول عن الأمَّة من تلقِّي الدِّين عن التَّابعين عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ لا يحصىٰ كثرة في كل أبواب الدِّين، وحسبي هنا أن أنقل بعض ذلك.

قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «لم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصَّصة».

وإنَّما ذكر الشَّافعي صفة قبور الصَّحابة تحذيرًا من البدع التي أحدثت بعدهم في ذلك.

ومن الإجماع المنقول عن الصَّحابة في توحيد العبوديَّة اتِّخاذهم كل الأسباب للمنع من الغلوّ في القبور.

قال يونس بن بكير: عن محمد بن إسحاق عن أبي خلدة خالد بن دينار حدَّثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرًا، عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف، فحملناه إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أوَّل رجل من العرب قرأه، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا.

فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرَّجل؟

قال: حفرنا بالنَّهار ثلاثة عشر قبراً متفرِّقة، فلمَّا كان باللَّيل دفنَّاه، وسوَّينا

(١) الأم (١/ ٢٧٧).

القبور كلّها، لنعمِّيه على النَّاس فلا ينبشونه[1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إسناد صحيح إلىٰ أبي العالية».

وهذا المنقول عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في تعمية قبور الصَّالحين لئلَّا يغلو النَّاس فيهم بالاستغاثة، اعتضد بالمعلوم من إجماعهم علىٰ عدم طلب الاستغاثة بالموتىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «أما مجيء الإنسان إلىٰ الرسول ﷺ عند قبره، وقوله: استغفر لي، أو سل لي ربك، أو ادع لي، أو قوله في مغيبه: يا رسول الله ادع لي أو استغفر لي، أو سل لي ربك كذا وكذا؛ فهذا لا أصل له، ولم يأمر الله بذلك، ولا فعله واحد من سلف الأمة المعروفين في القرون الثلاثة، ولا كان ذلك معروفًا بينهم، ولو كان هذا مما يستحب لكان السلف يفعلون ذلك ولكان ذلك معروفًا فيهم، بل مشهورًا بينهم منقولًا عنهم، فإن مثل هذا إذا كان طريقًا إلىٰ غفران السيئات وقضاء الحاجات لكان مما تتوفَّر الهمم والدواعي علىٰ فعله وعلىٰ نقله، لا سيما فيمن كانوا أحرص الناس علىٰ الخير، فإذا لم يعرف أنهم كانوا يفعلون ذلك، ولا نقله أحد عنهم؛ علم أنه لم يكن مما يستحب ويؤمر به.

بل المنقول الثَّابت عنه ما أمر الله به النبي ﷺ من نهيه عن اتِّخاذ قبره عيدًا ووثنًا، وعن اتِّخاذ القبور مساجد».

(١، ٢) البداية والنهاية (٢/ ٣٧٧).

(٣) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التفسير (٢/ ٢٩٦).

ومن الإجماع المنقول عن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في توحيد العبوديَّة؛ سدّهم لذرائع التبرُّك بالشَّجر والحجر، فقد خشي الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ النَّاس من تعظيم الشَّجرة التي حصلت عندها البيعة للنبيِّ ﷺ في الحديبية، فأمر بقطعها، رواه البخاري.

عقيدة السَّابقين الأوَّلين سلف الأمَّة الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين إثبات العلوّ لله، وأنّه سبحانه مستوٍ علىٰ عرشه، وأنّه في السَّماء.

قال رسول الله ﷺ لجارية معاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أين الله؟**» قالت: في السَّماء، قال: «**فمن أنا؟**» قالت: رسول الله ﷺ، قال: «**أعتقها فإنَّها مؤمنة**»، رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** كانت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تفتخر علىٰ أزواج النبيِّ ﷺ، وتقول: «زوجكنَّ أهاليكنَّ، وزوَّجني الله من فوق سبع سموات».

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «كتاب الله من أوَّله إلىٰ آخره، وسنة رسوله ﷺ، **وعامة كلام الصحابة والتابعين**، وكلام سائر الأئمة؛ مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو علىٰ عرشه؛ مثل قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿ذِي

(١) نقله عنه تلميذه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلاميّة علىٰ حرب المعطِّلة والجهميَّة (ص٨٩، ٩٠).

ﭐلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]».

وفي إجماع السَّلف في الاعتقاد قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كنَّا والتَّابعون متوافرون نقول: إنَّ الله تعالىٰ ذكره فوق سمواته، ونؤمن بما وردت به السُّنَّة من صفاته».

فالأوزاعي يذكر إجماع التَّابعين في الاعتقاد علىٰ ما تلقَّوه عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الأوزاعي هو أحد «الأئمة الأربعة» في عصر تابع التابعين، الذين هم: «مالك» إمام أهل الحجاز، و«الأوزاعي» إمام أهل الشام، و«الليث» إمام أهل مصر، و«الثوري» إمام أهل العراق، حكىٰ شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالىٰ فوق العرش، وبصفاته السمعية.

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك. وروىٰ أبو بكر الخلال في كتاب «السنة» عن الأوزاعي، قال: سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث، فقالا: أمروها كما جاءت».

فعقيدة السَّابقين الأوَّلين اعتقاد معاني القرآن وأحاديث النبيِّ ﷺ علىٰ ظاهر ما وردت، من غير تحريف ولا تأويل ولا تمثيل ولا تكييف.

---

(١) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥١٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناد صحيح»، بيان تلبيس الجهميَّة (٢/ ٣٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٣٩).

قال أبو عبد الله محمد بن خفيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «اتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه، قولًا واحدًا، وشرعًا ظاهرًا، وهم الذين نقلوا عن رسول الله ﷺ ذلك، حتىٰ قال: «**عليكم بسنتي...**»، وحديث: «**لعن الله من أحدث حدثًا أو آوىٰ محدثًا**»، فكانت كلمة الصحابة علىٰ الاتفاق من غير اختلاف، وهم الذين أمرنا بالأخذ عنهم، إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالىٰ في أحكام التوحيد وأصول الدين من الأسماء والصفات، كما اختلفوا في الفروع، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا، كما نُقِل سائر الاختلاف، فاستقر صحَّة ذلك عند خاصتهم وعامتهم؛ حتىٰ أدوا ذلك إلىٰ التَّابعين لهم بإحسان؛ فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين، حتىٰ نقلوا ذلك قرنًا بعد قرن».

ومعلوم ما توارثته الأمَّة عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من رواية نصوص الصِّفات كما تلقَّوها علىٰ ظاهرها عن رسول الله ﷺ، من غير تحريف لمعناها، وكان نقل التَّابعين للاعتقاد بظواهرها مؤكِّدًا لاعتقاد الصَّحابة، وهكذا من تلقَّىٰ عنهم ممَّن بعدهم.

قال العلَّامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «باب ذكر أخبار ثابتة السَّند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ، في نزول الرب - جل وعلا - إلىٰ السَّماء الدُّنيا كل ليلة، تشهد شهادة مقر بلسانه، مصدِّق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الربّ، من غير أن

---

(١) اعتقاد التَّوحيد بإثبات الأسماء والصِّفات، بواسطة مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٧١).

(٢) التَّوحيد (١/ ٢٨٩، ٢٩٠).

نصف الكيفيَّة؛ لأنَّ نبينا المصطفىٰ لم يصف لنا كيفيَّة نزول خالقنا إلىٰ سماء الدُّنيا، وأعلمنا أنَّه ينزل.

والله جل وعلا لم يترك، ولا نبيُّه عليه السلام، بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم».

ولم يُنقل عن أحد من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تفسير نصوص القرآن والسُّنَّة في أسماء الله وصفاته خلاف ظاهرها، ومن لم يعتقد ما دلَّت عليه من حقائقها فقد زاغ في اعتقاده.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من أكثر النَّظر في آثار الرَّسول ﷺ علم بالاضطرار أنَّه قد ألقىٰ إلىٰ الأمَّة: أنَّ ربكم الذي تعبدونه فوق كل شيء، وعلىٰ كل شيء، فوق العرش، وفوق السَّموات، وعلم أنَّ عامَّة السَّلف كان هذا عندهم، مثل ما عندهم أنَّ الله بكل شيء عليم، وعلىٰ كل شيء قدير، وأنَّه لا يُنقل عن واحد لفظ يدلُّ - لا نصًّا ولا ظاهرًا - علىٰ خلاف ذلك».

والتَّابعون الذين تلقَّوا الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لم يتأولوا نصوص الوحي في أسماء الله وصفاته، بل اعتقدوا ظاهرها، علىٰ مراد الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وإجماعهم في ذلك معلوم متيقَّن.

قال العلَّامة عثمان بن سعيد الدَّارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٠هـ)**[٢]: «ولولا ما اخترع هؤلاء الزائغة من هذه الأغلوطات والمعاني يردون بها صفات الله،

---

(١) التِّسعينيَّة (٢/ ٥٦٨).

(٢) الرَّدُّ علىٰ الجهميَّة (ص٩١).

ويبدلون بها كلامه، لكان ما ذكر الله من ذلك في كتابه كافيًا لجميع الأمة مع أنه كاف شاف إلا لمتأول ضلال أو متبع ريبة. فحين رأينا ذلك ألفنا هذه الآثار عن رسول الله وأصحابه والتابعين من بعدهم، ليعلم من بقي من الناس أن من مضىٰ من الأمة لم يزالوا يقولون في ذلك كما قال الله عَزَّوَجَلَّ لا يعرفون له تأويلًا غير ما يتلىٰ من ظاهره، أنه كلام الرحمن تبارك وتعالىٰ، حتىٰ نبغ هؤلاء الذين اقتربوا لرد كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وتعطيل كلامه وصفاته المقدسة بهذه الأغلوطات التي لو ظهرت علىٰ عهد رسول الله ﷺ وأصحابه ما كان سبيل من يظهرها بينهم إلا كسبيل أهل الردة، أولها هذه الكلمة الملعونة التي فارقوا بها جميع أهل الصلاة فقالوا: كلام الله مخلوق، والحجج عليهم من رد ما أتوا به ما ذكرنا من كتاب الله وروينا من آثار رسول الله ﷺ ومن بعده».

وقال العلَّامة أبو زكريَّا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إذا تصرَّم عصر الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والتَّابعين لهم بإحسان علىٰ الانكفاف عن التأويل؛ كان قاطعًا بأنَّه الوجه المتَّبع، إذ لو كان الخوض في ذلك واجبًا أو سائغًا مسوغًا، لأوشك أن يكون اهتمامهم فوق اهتمامهم بفروع الشَّريعة، إذ نقلوا إلينا آداب الاستنجاء وما في بابه، وإذ اتَّفقوا علىٰ ما ذكرنا تبيَّن أنَّ الحقَّ الصَّريح ما كانوا عليه».

وأئمَّة السَّلف من التّابعين الذين تلقَّوا الدِّين عن الصَّحابة، ومن تلقَّىٰ عن التَّابعين من أتباع التَّابعين وتابعيهم بإحسان اتَّفقت كلمتهم اعتقادًا واحدًا في إثبات نصوص الوحي في أسماء الله وصفاته كما جاءت.

(١) منازل الأئمّة الأربعة (ص١٥٥).

قال الوليد بن مسلم: سألت: سفيان الثَّوري، والأوزاعي، ومالك بن أنس، واللَّيث بن سعد، عن الأحاديث التي فيها الصِّفات، فكلُّهم قال: «أمروها كما جاءت، بلا تفسير»[(١)].

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إذا بلغك عن رسول الله ﷺ حديث فلا تظننَّ غيره؛ فإنَّ محمدًا ﷺ كان مبلِّغًا عن ربِّه».

ومعنىٰ كلام الأئمَّة: «أمروها كما جاءت» إثبات معانيها، وهؤلاء الأئمة كلامهم يُفسِّر بعضه بعضًا»، ومنهم الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنَّه سُئل عن الاستواء؟ فقال: الاستواء معلوم - المعنىٰ -، والإيمان به واجب، والكيف مجهول والسُّؤال عنه بدعة.

وأئمَّة التَّفسير من التَّابعين الذين أخذوا معاني القرآن عن الصَّحابة مجاهد وأبو العالية فسَّروا الاستواء بالعلوِّ، ذكره البخاري عنهم في كتاب التَّفسير من جامعه، تعليقًا مجزومًا به.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «قولهم: [أمروها كما جاءت]؛ يقتضي إبقاء دلالتها علىٰ ما هي عليه؛ فإنَّها جاءت ألفاظًا دالةً علىٰ معان، فلو

---

(١) السنَّة للخلَّال (١/ ٢٥٩ – رقم ٣١٣)، الشَّريعة (٢/ ١٠٤ – رقم ٧٦٥)، الصِّفات للدَّارقطني (ص١٢٣ – رقم ٦٩)، أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٣/ ٥٨٢ – رقم ٩٣٠)، ذمّ التأويل (ص٢٠ – رقم ٢٤)، وإسناده صحيح.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٣/ ٤٧٨ – رقم ٧٣٤).

(٣) الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ (ص٣٠٧).

كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمرُّوا ألفاظها مع اعتقاد أنَّ المفهوم منها غير مراد، أو أمروا ألفاظها مع اعتقاد أنَّ الله لا يوصف بما دلَّت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أُمِرَّت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف؛ إذ نفي الكيفيَّة عمَّا ليس بثابت لغو من القول».

وسبيل المبطلين والمحرِّفين لمعاني الوحي تكذيب نصوصه إن استطاعوا، فإن لم يستطيعوا سعوا في إبطال معانيه التي تقتضيها ألفاظه.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «كل زنديق ومنافق يبطل العلم بما بعث الله به رسوله ﷺ، تارة يقول: لا نعلم أنَّهم قالوا ذلك، وتارة يقول: لا نعلم ما أرادوا بهذا القول، ومتىٰ انتفىٰ العلم بقولهم أو بمعناه؛ لم يُستفد من جهتهم علم، فيتمكن بعد ذلك أن يقول ما يقول من المقالات».

وذكر الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتقاد الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، ثم قال[2]: «لم يُذكر عن أحد من المهاجرين والأنصار، والتَّابعين لهم بإحسان خلاف ما وصفنا، وهم الذين أدَّوُا الكتاب والسُّنَّة بعد النبيِّ ﷺ قرنًا بعد قرن، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال النبي ﷺ: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»، وهم الطَّائفة التي قال النبيُّ ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين علىٰ الحقّ، لا يضرُّهم من خذلهم**»».

(١) نقض المنطق (ص٧٥).

(٢) خلق أفعال العباد (٢/ ١١٣، ١١٤) باختصار.

وقال الفاروق عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **علىٰ المنبر**: «إنَّ هذا القرآن كلام الله»[(١)].

قال الحافظ قوَّام السُّنَّة أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٣٥هـ)**[(٢)]: «فهو إجماع الصَّحابة، وإجماع التَّابعين بعدهم».

ونقل الحافظ العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ اعتقاد الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وذكر أنَّ الأمّة أجمعت علىٰ تلقِّي العقيدة عنهم كما أجمعت علىٰ تلقِّي الأحكام وبقية السُّنن عنهم.

قال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الذين نقلوا هذه السُّنن – في العقيدة –؛ هم الذين نقلوا إلينا السُّنن في الطَّهارة، وفي الصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحجّ، والجهاد، وسائر الأحكام من الحلال والحرام، فقبلها العلماء منهم أحسن قبول، ولا يَرُدُّ هذه السُّنَن إلا من يذهب مذهب المعتزلة».

وذكر الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ المزنيُّ المصري تلميذ الشَّافعي، ما أجمع عليه الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من جمل الاعتقاد، ومن بعدهم من التَّابعين، وقال[(٤)]: «هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأوَّلون من أئمَّة الهدىٰ، وبتوفيق الله اعتصم بها التَّابعون قُدوةً ورضًا، وجانبوا التكلُّف فيما كُفُوا، فسُدِّدُوا – بعون الله – ووُفِّقُوا، لم يرغبُوا عن الاتِّباع فيقصِّرُوا، ولم يجاوزوه

---

(١) السُّنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/ ١٤٤).

(٢) الحجَّة في بيان المحجَّة (١/ ٣٣١).

(٣) الشَّريعة (٢/ ٦٢).

(٤) شرح السُّنَّة (ص٩٠).

تزيُّدًا فيعتدوا، فنحن بالله واثقون، وعليه متوكِّلُون، وإليه في اتِّباع آثارهم راغبون».

وكان ممَّا ذكره من جمل الاعتقاد في الله أنَّه[١]: «عال علىٰ عرشه، وهو دان بعلمه من خلقه».

وقال المزني: «والقرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ومن لدُنْهُ، وليس بمخلوق»[٢].

وقال المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في إجماع السلف علىٰ عقيدة النظر إلىٰ الله يوم القيامة**[٣]: «وأهل الجنَّة يومئذ في الجنَّة يتنعَّمون، وبصنوف اللذَّات يتلذَّذون، وبأفضل الكرامة يُحْبَرُون، فهم حينئذ إلىٰ ربّهم ينظرون، لا يُمارون في النَّظر إليه ولا يشكون، فوجوههم بكرامته ناضرة، وأعينُهم بفضله إليه ناظرة، في نعيم دائم مقيم، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨]، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد: ٣٥]».

وتحريف ظواهر معاني نصوص القرآن والسُّنَّة في أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته؛ أحدثه الجهميّة والمعتزلة ومن تلقَّىٰ ضلالات تحريفاتهم عنهم من فروعهم كالأشاعرة.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قال الحافظ أبو بكر بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «نحن نؤمن بخبر الله جل وعلا

---

(١) شرح السُّنَّة (ص٨١).

(٢) شرح السُّنَّة (ص٨٣).

(٣) شرح السُّنَّة (ص٨٥، ٨٦).

(٤) التَّوحيد (١/ ٢٣٣).

أنَّ خالقنا مستوٍ علىٰ عرشه، لا نبدِّل كلام الله، ولا نقول قولًا غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطِّلة الجهميَّة: إنَّه استولىٰ علىٰ عرشه، لا استوىٰ، فبدَّلوا قولًا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود، كما أُمروا أن يقولوا: حطَّة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا، كذلك الجهميَّة».

أهل السُّنَّة والجماعة عقيدتهم متوارثة عن القرون المفضَّلة بإمرار نصوص القرآن والسُّنَّة في أسماء الله وصفاته علىٰ ظاهرها بإثبات معانيها من غير تفويض ولا تمثيل ولا تحريف.

سُئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: كيف استوىٰ؟

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسُّؤال عنه بدعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قد تلقَّىٰ النَّاس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السُّنَّة من ينكره».

ومن وقع منه شيء من التأويلات لمعاني أسماء الله وصفاته، وهُدي إلىٰ الرُّجوع إلىٰ إجماع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ في إمرارها كما جاءت؛ كان من أسباب هدايته إلىٰ الحقّ أنَّ الصَّحابة لم يتعرَّضوا لها بالتأويل مع كثرة ما جاء في الوحي من ذكر أسماء الله وصفاته.

من هؤلاء الحافظ أبو زكريَّا يحيىٰ بن شرف الدِّين النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنَّه قال

(١) تفسير شيخ الإسلام (٢/ ٣١).

في آخر أمره قبل وفاته بشهرين[١]: «إجماع الصَّحابة واتِّفاقهم علىٰ أنَّ كلام الله تعالىٰ منزل، والذي يحقق ذلك تتبع جريانِهم، وأنَّ هذا الأمر كان مقرَّرًا في عقائدهم جازمين، إذ لو تطرَّق إلىٰ أحد منهم في ذلك شكّ أو شبهة لأزالوه بالسُّؤال للنَّبي ﷺ مع ما كانوا فيه من الحميَّة في الدِّين والاحتراز عن الوقوع في الجهالات».

وقال الحافظ النَّووي[٢]: «إنَّ هذا الأمر من أهمّ الأمور في الدِّين، وعليه بنيان قواعد شرائع المسلمين، فلمَّا أهملوا ذلك ولم يتعرَّضوا إليه - بالتأويل - دلَّ علىٰ اتِّفاقهم، مع ما قلنا.

ولا يمكن إطباق جميع الصَّحابة وهم نقلة هذا العلم وأصول الدِّين وأصحاب العربيَّة واللِّسان والفصاحة علىٰ استعمال المجاز في صور لا تعد ولا تحصىٰ».

وقال الحافظ النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **منكرًا تحريفات الأشاعرة**[٣]: «العجب أن كتب الأشاعرة مشحونة بأنَّ كلام الله منزَّل علىٰ نبيِّه ﷺ، ومكتوب في المصاحف، ومتلو بالألسنة علىٰ الحقيقة، ثم يقولون: المنزَّل هو العبارة، والمكتوب غير الكتابة، والمتلوّ غير التلاوة، ويشرعون في مناقضات ظاهرة، وتعقُّبات باردة ركيكة».

وقال الحافظ النَّووي[٤]: «نحن من ديننا التمسك بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة

---

(١) جزء فيه ذكر اعتقاد السَّلف في الحروف والأصوات (ص٢٩).

(٢) جزء فيه ذكر اعتقاد السَّلف في الحروف والأصوات (ص٣٨).

(٣) جزء فيه ذكر اعتقاد السَّلف في الحروف والأصوات (ص٣٩).

(٤) جزء فيه ذكر اعتقاد السَّلف في الحروف والأصوات (ص٦٧، ٦٨).

نبينا ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث المشهورين، ونؤمن بجميع أحاديث الصفات لا نزيد علىٰ ذلك شيئًا ولا ننقص منه شيئًا، كحديث قصة الدجال وقوله فيه: «**وإن ربكم ليس بأعور**»، وكحديث النزول إلىٰ سماء الدُّنيا، وكحديث الاستواء علىٰ العرش، وإنّ القلوب بين أصبعين من أصابعه، وإنّه يضع السموات علىٰ إصبع والأرضين علىٰ إصبع، ونقول بتصديق حديث المعراج وبصحيح ما فيه من الروايات، وندين أنّ الله مقلب القلوب، وما أشبه هذه الأحاديث جميعها كما جاءت بها الرواية من غير كشف عن تأويلها، وأن نمرها كما جاءت».

ونقل لنا التابعون عقيدة السلف «الصحابة» في القرآن، قال عمرو بن دينار المكّي - وهو من ثقات التابعين -: «أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود».

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الضياء المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٤٣هـ)**[١]: «قد أدرك عمرو بن دينار من الصحابة غير واحد، منهم:

عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزُّبير، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو شريح الخزاعي، والمسور بن مخرمة، وسعد بن عائذ المعروف بـ«القرظ» مؤذِّنُ رسول الله ﷺ بقباء، وأبو هريرة، والسائب بن يزيد الكنديّ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

والحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطَّبري اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صنَّف

---

(١) اختصاص القرآن بعوده إلىٰ الرَّحيم الرَّحمن (ص٢).

كتابه الماتع «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» بأدلَّة القرآن والسُّنّة وإجماع الصَّحابة والتَّابعين، وقال في مقدِّمة كتابه[١]: «أوضح حجَّة ومعقول: كتاب الله الحقّ المبين، ثم قول رسول الله ﷺ، وصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السَّلف الصَّالحون، ثم التمسُّك بمجموعها، والمقام عليها إلىٰ يوم الدِّين».

وسلك هذا المنهج في كتابه الذي لم يُصنَّف مثله في الاعتقاد في أنواع مسائل العقيدة التي شرحها.

من ذلك ما نقله من إجماع الصَّحابة والتَّابعين في صفة الكلام.

حيث قال[٢]: «قالوا كلُّهم: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر.

فهؤلاء خمس مائة وخمسون نفسًا أو أكثر من التَّابعين، وأتباع التَّابعين، والأئمَّة المرضيِّين، سوىٰ الصَّحابة الخيرين علىٰ اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام.

وفيهم نحو من مائة إمام ممَّن أخذ النَّاس بقولهم، وتديَّنوا بمذاهبهم، ولو اشتغلت بنقل أقوال المحدِّثين لبلغت ألوفًا كثيرة، ولكنِّي اختصرت».

وقول علماء السُّنَّة في الإيمان بنصوص الأسماء والصِّفات علىٰ ظاهرها، هو معنىٰ قول السَّلف: «أمرُّوها كما جاءت».

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة (ص١٠).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة (ص١٤١).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أما سؤاله عن إجراء القرآن علىٰ ظاهره، فإنه إذا آمن بما وصف الله عَزَّوَجَلَّ به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تكييف؛ فقد اتبع سبيل المؤمنين.

ولفظ «الظاهر» في عرف المتأخرين قد صار فيه اشتراك، فإن أراد بإجرائه علىٰ الظاهر الذي هو من خصائص المخلوقين حتىٰ يشبه الله بخلقه فهذا ضال؛ بل يجب القطع بأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. وقد قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء. يعني أن موعود الله في الجنة من الذهب والحرير والخمر واللبن تخالف حقائقه حقائق هذه الأمور الموجودة في الدنيا؛ فالله تعالىٰ أبعد عن مشابهة مخلوقاته بما لا يدركه العباد، ليست حقيقته كحقيقة شيء منها.

وأما إن أراد بإجرائه علىٰ الظاهر الذي هو الظاهر في عرف سلف الأمة، بحيث لا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يلحد في أسماء الله تعالىٰ ولا يفسر القرآن والحديث بما يخالف تفسير سلف الأمة وأهل السنة، بل يجري ذلك علىٰ ما اقتضته النصوص وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة فهذا مصيب في ذلك وهو الحق».

ومن الإجماع المنقول عن التَّابعين الذين تلقَّوا الدِّين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اعتقادهم أنَّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية.

---

(١) التِّسعينيَّة (٢/ ٥٤٦).

قال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كان الإجماع من الصَّحابة والتَّابعين من بعدهم، ممَّن أدركناهم أنَّ الإيمان قول وعمل ونيَّة، لا يجزي واحد من الثَّلاثة بالآخر».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الإيمان قول، ولا قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنيَّة، ولا قول وعمل ونيَّة إلَّا بسُنَّة».

والمنقول عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنَّ الإيمان يزيد وينقص، قال الصَّحابي عُمَير بن حبيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو ممَّن بايع تحت الشَّجرة: «الإيمان يزيد وينقص، قيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عَزَّ وَجَلَّ وحمدناه وسبَّحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا وضيَّعنا ونسينا فذلك نقصانه».

والتَّابعون ومن أخذ عنهم من تابعي التَّابعين كلّهم يعتقدون أنَّ الإيمان قول وعمل، يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية.

قال عبد الرزَّاق: سمعت سفيان الثَّوري وابن جريج ومعمرًا يقولون[(٣)]: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص».

وقال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «الإيمان قول وعمل، أخذناه ممَّن قبلنا قول وعمل، وأنَّه لا يكون قول إلا بعمل»، قيل لابن عيينة: يزيد وينقص؟ قال: فأيُّ شيء إذًا؟

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٥/ ٨٨٦ –رقم ١٥٩٣)، الإبانة (٢/ ٨٢٦ –رقم ١١١٩).

(٢) رواه الآجري في الشَّريعة (١/ ٦٣٩ – رقم ٢٥٨) بإسناد حسن.

(٣) رواه الآجري في الشَّريعة (١/ ٦٠٦ – رقم ٢٤٢) بإسناد صحيح.

(٤) رواه الآجري في الشَّريعة (١/ ٦٠٤ – رقم ٢٣٩)، بإسناد صحيح.

وقال العلَّامة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥١٦هـ)**[١]:

«اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة علىٰ أن الأعمال من الإيمان؛ لقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال: ٢، ٣]، فجعل الأعمال كلها إيمانًا، وكما نطق به حديث أبي هريرة[٢]. وقالوا: إنَّ الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية علىٰ ما نطق به القرآن في الزِّيادة، وجاء في الحديث بالنُّقصان في وصف النِّساء».

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٦٠هـ)**[٣]:

«الأعمال - رحمكم الله - بالجوارح تصديق عن الإيمان بالقلب واللِّسان، فمن لم يُصدِّق الإيمان بعمله بجوارحه؛ مثل الطَّهارة، والصَّلاة، والزَّكاة، والصِّيام، والحجّ، والجهاد، وأشباه لهذه، ورضي من نفسه بالمعرفة والقول؛ لم يكن مؤمنًا، ولم تنفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبًا لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقًا منه لإيمانه».

ومن تلقَّىٰ دينه عن التَّابعين عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ كان علىٰ الحقّ، وقد

---

(١) شرح السّنَّة (١/ ٣٨، ٣٩).

(٢) عن النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وستُّون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطَّريق**»، متَّفق عليه.

(٣) الشَّريعة (١/ ٦١٤).

وَرَدَ المعينَ النقيَّ من الشَّريعة، ومن تلقَّىٰ دينه عن خلافهم فقد ضلَّ في أهواء وبدع المضلِّين.

قال العلَّامة أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الله أبىٰ أن يكون الحقّ والعقيدة الصَّحيحة إلَّا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنَّهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف، وقرنًا عن قرن، إلىٰ أن انتهوا إلىٰ التَّابعين، وأخذه التَّابعون من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلىٰ معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ النَّاس من الدِّين المستقيم، والصِّراط القويم، إلَّا هذا الذي سلكه أصحاب الحديث».

❁ ❁ ❁

(١) الحجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤).

الفصل الثاني

طبقات الصحابة

طبقات الصَّحابة

القرون الثَّلاثة الأولىٰ هم خير النَّاس، وخير هذه القرون القرن الأول، وهو قرن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومن المفيد هنا ذكر ألفاظ ومخارج حديث النبيّ ﷺ: «خير أمَّتي القرن الذي بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر قوم يشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويفشو فيهم السِّمَنُ».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «هذا الحديث قد روي من حديث عمران بن حصين، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وعائشة، والنعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فأما حديث عمران: فمتفق عليه، واختلف في لفظه، فأكثر الروايات: أنه ذكر بعد قرنه قرنين، ووقع في بعض طرقه في الصحيح: «**ثم الذين يلونهم**» ثلاث مرات، ولعل هذا غير محفوظ؛ فإن عمران قد شك فيه، وقال: «لا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا».

وأما حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأخرجاه في الصحيحين، ولفظه: «**خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**». وفي لفظ لهما: سئل النبي ﷺ: أي

(١) تهذيب سنن أبي داود (٣/ ١٦٤-١٦٦).

الناس خير؟ قال: «**قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، فلم يختلف عليه في ذكر «**الذين يلونهم**» مرتين.

وأما حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فرواه مسلم في صحيحه، ولفظه: «**خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم**»، والله أعلم، أذكر الثالث أم لا؟ قال: «**ثم يخلف قوم يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا**». فهذا فيه قرن واحد بعد قرنه، وشك في الثالث، وقد حفظه عبد الله بن مسعود وعمران وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

وأما حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فرواه مسلم أيضًا عنها قالت: سأل رجل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: «**القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث**».

وأما حديث النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فرواه ابن حبان في صحيحه، ولفظه: عنه عن النبي ﷺ قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم تسبق أيمانهم شهادتهم، وشهادتهم أيمانهم**». فقد اتفقت الأحاديث على قرنين بعد قرنه، إلا حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فإنه شك فيه. وأما ذكر القرن الرابع فلم يذكر إلا في رواية في حديث عمران رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لكن في الصحيحين له شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي ﷺ، قال: «**يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم.**

ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم».

فهذا فيه ذكر قرنين بعده، كما في الأحاديث المتقدمة.

ورواه مسلم، فذكر ثلاثة بعده، ولفظه: «**يأتي علىٰ الناس زمان يبعث منهم البعث، فيقولون: انظروا هل تجدون فيكم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيوجد الرجل، فيفتح لهم به، ثم يبعث البعث الثاني، فيقولون: هل فيكم من رأىٰ أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيفتح لهم، ثم يبعث البعث الثالث. فيقال: انظروا، هل ترون فيهم من رأىٰ من رأىٰ أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيفتح لهم. ثم يكون البعث الرابع. فيقال: انظروا، هل ترون فيهم أحدًا رأىٰ من رأىٰ أحدًا رأىٰ أصحاب النبي ﷺ؟ فيوجد الرجل فيفتح له**»».

وقول النَّبي ﷺ: «**خير النَّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»؛ يوجب علينا تحرير طبقة القرون الثَّلاثة؛ لنعرف الفضل للقرون الثَّلاثة، ونأخذ من خيريتهم ما يكون سببًا في خيرنا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الاعتبار في القرون الثَّلاثة بجمهور أهل القرن، وهم وسطه.

وجمهور الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتىٰ أنَّه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفر قليل.

وجمهور التَّابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصَّحابة في إمارة ابن الزُّبير وعبد الملك.

وجمهور تابعي التَّابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأمويّة وأوائل الدَّولة العبَّاسيَّة».

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٥٧).

والصَّحابة أنفسهم يتفاضلون في فضل الصُّحبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الصُّحبة اسم جنس، تقع علىٰ من صحب النَّبي ﷺ قليلًا أو كثيرًا، لكن كل منهم له من الصُّحبة بقدر ذلك، فمن صحبه سنة أو شهرًا أو يومًا أو ساعة أو رآه مؤمنًا فله من الصُّحبة بقدر ذلك».

وأفضل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم من قام بهم الإسلام، وهم أوَّل النَّاس إسلامًا بمكَّة، أسلموا وقت القلَّة والشدَّة والأذىٰ، فصبروا علىٰ إسلامهم، وكانوا سببًا في هداية النَّاس وقيام الإسلام.

وأوَّل الصَّحابة إسلامًا الصدِّيق أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومن حين أسلم دعا غيره للإسلام، فأسلم علىٰ يديه ستّة من العشرة المبشَّرين بالجنَّة.

والصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أوَّل خطيب في الإسلام، جهر بالدَّعوة للتَّوحيد في المسجد الحرام.

وكان أوَّل من أسلم من الغلمان عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن النِّساء خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وهكذا تتابع النَّاس في الإسلام، وكان السَّابقون دعاة وهداة إليه.

وباعتبار تفضيل العموم المهاجرون أفضل من الأنصار، لأنَّهم جمعوا بين الهجرة والنُّصرة[(٢)].

وبهجرة النبي ﷺ إلىٰ المدينة هو والمهاجرون أقام دولة الإسلام بالمدينة،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٦٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٥٢).

وآخىٰ بين المهاجرين والأنصار، وجاهدوا المشركين، وكان ذلك التأسيس هو السَّبب في قيام الإسلام، كما قال النَّبي ﷺ في دعائه يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**»، رواه مسلم[1].

والمهاجرون طبقات، قال العلَّامة أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «المهاجرون كانوا علىٰ طبقات، وكان بعضهم أهل الهجرة الأولىٰ، وهم الذين هاجروا قبل الحديبية، وبعضهم أهل الهجرة الثَّانية، وهم الذين هاجروا بعد الحديبية قبل فتح مكَّة، وكان بعضهم ذا هجرتين، وهما الهجرة إلىٰ الحبشة، والهجرة إلىٰ المدينة».

فالسَّابقون الأوَّلون من المهاجرين أفضل من المهاجرين بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكَّة، وكلهم من المهاجرين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «عبد الرَّحمن بن عوف كان من السَّابقين الأوَّلين، وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وهو فتح الحديبية.

وخالد هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أسلموا في مدَّة الهدنة بعد الحديبية وقبل فتح مكَّة، فكانوا من المهاجرين التَّابعين، لا من المهاجرين الأوَّلين».

وعامَّة الصَّحابة هم المهاجرون والأنصار، وقد أثنىٰ الله عليهم جميعًا خيرًا،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسِّير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (ص٧٨١، ٧٨٢ –رقم ٤٥٨٨).

(٢) تفسير القرآن (٢/ ٢٨٣).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٣٨٩).

فقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩].

قال الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أما المهاجرون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: فإنهم آمنوا بالله ورسوله، وصدقوا الإيمان بالعمل، صبروا مع النبي ﷺ في كل شدة، آثروا الذل في الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ العز في غير الله، وآثروا الجوع في الله علىٰ الشبع في غير الله، عادوا في الله القريب والبعيد، وهاجروا مع الرسول ﷺ، وفارقوا الآباء والأبناء والأهل والعشائر، وتركوا الأموال والديار، وخرجوا فقراء، كل ذلك محبة منهم لله تبارك وتعالىٰ ولرسوله ﷺ، كان الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ آثر عندهم من جميع من ذكرناه بإيمان صادق، وعقول مؤيدة، وأنفس كريمة، ورأي سديد، وصبر جميل بتوفيق من الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

وأما الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: فهم قوم اختارهم الله عَزَّ وَجَلَّ لنصرة دينه واتباع نبيه، فآمنوا به بمكة، وبايعوه، وصدقوا في بيعتهم إياه، فأحبوه، ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وأرادوا أن يخرجوه معهم إلىٰ المدينة محبة منهم له، فسألهم النبي ﷺ تركه إلىٰ وقت، ثم خرجوا إلىٰ المدينة، فأخبروا إخوانهم بإيمانهم فآمنوا وصدقوا، فلما هاجر إليهم الرسول ﷺ استبشروا بذلك، وسروا بقدومه

---

(١) الشَّريعة (ص٤٥٧، ٤٥٨).

عليهم، فأكرموه، وعظموه، وعلموا أنها نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ عليهم، ثم قدم المهاجرون بعدهم، ففرحوا بقدومهم، فأكرموهم بأحسن الكرامة، ووسعوا لهم الديار، وآثروهم علىٰ الأهل، والأولاد، وأحبوهم حبًّا شديدًا، وصاروا إخوة في الله عَزَّوَجَلَّ، وتآلفت القلوب بتوفيق من المحبوب بعد أن كانوا أعداءً، قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]، ثم قال عَزَّوَجَلَّ للجميع: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فأجمعوا جميعًا علىٰ محبة الله عَزَّوَجَلَّ، ومحبة رسوله ﷺ، وعلىٰ المعاونة علىٰ نصرته، والسمع والطاعة له في العسر واليسر، والمنشط والمكره، لا تأخذهم في الله لومة لائم، فنعت الله المهاجرين والأنصار في كتابه في غير موضع منه بكل نعت حسن جميل، ووعدهم الجنة خالدين فيها أبدًا، وأخبرنا أنه قد رضي عنهم ورضوا عنه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]».

وباعتبار العموم نعتقد أنَّ أهل بيعة الرِّضوان، الذين بايعوا النَّبي ﷺ علىٰ الجهاد في الحديبية؛ أفضل الصَّحابة، وأفضل الخلق، قال النَّبي ﷺ لهم يوم الحديبية: «أنتم اليوم خير أهل الأرض»، رواه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وهؤلاء خير أهل الأرض لإيمانهم بالله عَزَّوَجَلَّ، واتباعهم للرَّسول ﷺ وصحبته، ولصدقهم في بيعتهم لرسول الله ﷺ علىٰ الجهاد، ورضاهم بالصُّلح

طاعة لله، قال تعالىٰ واصفًا حالهم: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أخبر سبحانه عن رضاه عن المؤمنين بدخولهم تحت البيعة لرسوله ﷺ، وأنَّه سبحانه علم ما في قلوبهم حينئذ من الصِّدق والوفاء، وكمال الانقياد، والطَّاعة، وإيثار الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ علىٰ ما سواه، فأنزل الله السَّكينة والطُّمأنينة، والرِّضىٰ في قلوبهم، وأثابهم علىٰ الرِّضىٰ بحكمه، والصَّبر لأمره، فتحًا قريبًا، ومغانم كثيرة يأخذونها».

وفتح مكَّة كان سببًا في إسلام أهل مكَّة، وصارت مكَّة بذلك دار إسلام، من أجل ذلك قال النَّبي ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**».

وكان فتح مكَّة سببًا في إسلام بقية القبائل، ووفدت جميع القبائل إلىٰ النَّبي ﷺ تعلن إسلامها وتتلقَّىٰ عنه الدِّين وتنذر قومها بعد رجوعهم إليهم.

وظهر التَّوحيد في جزيرة العرب ونبذ النَّاس الشِّرك، وكل ما يُعبد من دون الله، وأقام مسلمة الفتح شرائع الإسلام وشعائره، واندحر الشَّيطان حتىٰ يئس أن يُعبد في جزيرة العرب.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «كان هؤلاء المذكورون - مسلمة الفتح - من أحسن النَّاس إسلامًا، وأحمدهم سيرة، لم يُتهموا بسوء، ولم يتهمهم أحد من أهل العلم بنفاق، كما اتهم غيرهم، بل ظهر منهم من حسن

---

(١) زاد المعاد (ص٤٣٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٥٤).

الإسلام وطاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وحب الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، وحفظ حدود الله؛ ما دلَّ علىٰ حسن إيمانهم الباطن وحسن إسلامهم».

وقد أثنىٰ الله علىٰ مسلمة الفتح ووعدهم الله الجنَّة، فقال سبحانه: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

ومسلمة الفتح جاهدوا مع النبي ﷺ في غزوة حنين، وابتلي بعضهم بالعجب لكثرة المسلمين، وبعد تثبيت الله لهم نصرهم الله علىٰ الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٦].

وشهد مسلمة الفتح مع النبي ﷺ غزوة الطائف وتبوك.

قال تعالىٰ في شأن الصَّحابة الذين حضروا غزوة تبوك مع النبي ﷺ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

قال العلامة محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية[1]: «شاهد لكل من حضر مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك من أصحابه بالجنَّة، فيكونون مضمومين إلىٰ العشرة المشهود لهم بها، وكل من شهد غزوة تبوك من أصحاب رسول الله ﷺ فهو معه في الجنَّة علىٰ ما كان فيه شهادة هذه الآية له، وهي حق».

(١) نكت القرآن الدالَّة علىٰ البيان (١/ ٥٦٧، ٥٦٨).

ومسلمة الفتح يشملهم فضل الصَّحابة الذين اتَّبعوا السَّابقين الأوَّلين بإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أما من بعد هؤلاء السَّابقين الأوَّلين، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية؛ فهؤلاء دخلوا في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]، وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] ».

المفاضلة بين الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معيارها مجموع فضائل كل واحد منهم، فقد يكون أحدهم أفضل بنوع من الفضائل ويفضله غيره لمجموع فضائله، فالفضيلة بنوع لا تستلزم الفضيلة مطلقًا. والمهاجرون أفضل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا؛ لأنَّهم جمعوا بين الهجرة والنُّصرة.

ويتفاضل الصَّحابة بحسب سبقهم في الإسلام، وبحسب فضل كل واحد منهم في العلم والدِّين والجهاد، وغناه في الإسلام.

حواري النَّبي ﷺ الزُّبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأمين الأمَّة أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أكمل الصَّحابة مصاهرة للنَّبي ﷺ تزوَّج بابنتيه، لكن باعتبار مجموع الفضائل خير الصَّحابة أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قد يتأخَّر إسلام الرَّجل، ويكون

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٦١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٦٢).

أفضل من بعض من تقدّمه بالإسلام، كما تأخَّر إسلام عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإنَّه يقال: إنَّه أسلم تمام الأربعين، وكان ممَّن فضله الله علىٰ كثير ممَّن أسلم قبله، وكان عثمان وطلحة والزُّبير وسعد وعبد الرَّحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أسلموا قبل عمر علىٰ يد أبي بكر، وتقدمهم عمر».

ومن أفضل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ العشرة المبشَّرون بالجنَّة، قال العلَّامة ابن أبي العزّ الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «اتَّفق أهل السنَّة علىٰ تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم؛ لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم».

ومن أفضل السَّابقين الأوَّلين أهل الشّورىٰ الستَّة، الذين اختارهم الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للولاية بعده.

وخاصة الصَّحابة وصفوتهم وأفضلهم علىٰ الإطلاق الخلفاء الأربعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعد النَّبي ﷺ؛ فلهم سنَّة متَّبعة بأمر النَّبي ﷺ.

عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، قلنا: يا رسول الله! كأنَّها موعظة مودِّع فأوصنا، فقال: «**عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين من بعدي، تمسَّكوا بها، وعضوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعة ضلالة**»، رواه أحمد وأبو داود[2].

وصفوة الصفوة هما الصدِّيق والفاروق رضي الله عن جميع الصَّحابة، عن

---

(١) شرح العقيدة الطَّحاويَّة (٢/ ٧٣٣).

(٢) صححه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث مختصر ابن الحاجب (١/ ١٣٧).

حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»(١).

وكان النَّبي ﷺ يختصّ الصدِّيق والفاروق بمدارسة أحوال المسلمين.

قال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ يَسْمُر عند أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأمر من أمور المسلمين، وأنا معه».

وقد أخذ بمرجعيَّة الصدِّيق والفاروق حبر الأمَّة وترجمان القرآن، قال عبد الله بن أبي يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا سُئل عن شيء، وكان في كتاب الله، قال به، فإن لم يكن في كتاب الله، وكان عن رسول الله ﷺ فيه شيء، قال به، فإن لم يكن فيه شيء؛ قال بما قال به أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان اختصاصهما بالنَّبي ﷺ فوق اختصاص غيرهما.

وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أكثر اختصاصًا، فإنَّه كان يسمر عنده عامة اللَّيل يحدِّثه في العلم، والدِّين، ومصالح المسلمين».

وهذه الخصوصيَّة عرف فضلها أبو تراب أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنَّه كان يُبشِّر بها الفاروق بحسن الثَّواب ورفعة الدَّرجة عند الله، وبعد طعن أبي لؤلؤة المجوسي للفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وُضع عمر علىٰ سريره، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فتكنَّفه النَّاس يدعون ويُصَلُّون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فترحَّم علىٰ

(١) رواه التِّرمذي (ص٤٧ – رقم ١٦٩)، وقال: حديث حسن.

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٠٠).

عمر، وقال: ما خَلَّفْتَ أحدًا أَحَبَّ إليَّ أن ألقىٰ الله بمثل عمله منك، وايم الله! إن كنت لأَظُنُّ أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنّي كنت كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»(١).

والخلفاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أعلم الصَّحابة، وتفاضلهم في العلم بنحو ترتيبهم في الخلافة، ومن علماء الصَّحابة معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، امتدح النبيُّ ﷺ علمه في فقه الأحكام، وامتدح النبيُّ ﷺ علميَّة أبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال له: «**ليهنك العلم أبا المنذر**»، واتَّخذ النبيّ ﷺ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكتابة الوحي، وشهد العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل القرآن للنَّبي ﷺ.

وامتدح الفاروق ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في علمه، وقال: «كنيّف مليء علمًا».

وكان حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرجعًا للصَّحابة في فقه الواقع، بما اختصَّه به النّبيّ ﷺ من تعليمه ذلك، وابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أدركته بركة دعاء النَّبي ﷺ له بالفقه في الدِّين وعلم التَّفسير فصار حبر الأمَّة وترجمان القرآن.

وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حفظ للأمَّة حديث رسول الله ﷺ ببركة دعاء النَّبي ﷺ.

وكل من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ له فضله بحسب سابقته وصحبته وجهاده وعلمه وغناه في الإسلام.

وظهر فضل علم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل وفاة النبي ﷺ، حيث فهم من قول

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النَّبي ﷺ، باب مناقب عمر (ص٦١٩ – رقم ٣٦٨٥)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر (ص١٠٥٢ – رقم ٦١٨٧).

النبيِّ ﷺ: «**إنَّ عبدًا خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدُّنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، متَّفق عليه، ما لم يفهمه سائر الصَّحابة، وكان المرجع للصَّحابة في حادثة وفاة النبيِّ ﷺ، وفي بيان معنىٰ كلمة التَّوحيد وحقّها في جهاد المرتدِّين، وفي إنفاذ لواء رسول الله ﷺ في جهاد الرُّوم، وهكذا في عموم المقامات والأحكام.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ونظائر هذه المقامات للصدِّيق كثيرة، يفقِّههم فيما خفي عليهم أو ذهلوا عنه من معاني الكتاب والسُّنَّة، كتلاوة قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، حين قُبض النبيُّ ﷺ، وفي روايته لهم أحاديث لم يعرفوها؛ كحديث دفن النبي ﷺ وغيره، وكجوابه لهم فيما يُشكل عليهم من معاني القرآن والحديث، وبيان أنَّ ظاهره حقّ، وأنَّ من ظنَّ أنَّ ظاهره ليس بحقّ فهو المخطئ في ذلك، وأنّه لم يوجد له فتوىٰ ولا أمر ولا كلام يخالف شيئًا من النُّصوص كما وُجد لغيره.

ولهذا حكىٰ غير واحد من العلماء إجماع أهل السُّنَّة والجماعة علىٰ أنَّه أعلم الصَّحابة، فهو أعلمهم وأشجعهم وأجودهم وأدْيَنهم باتِّفاق أهل المعرفة من المسلمين، وأعظم علمه وإيمانه التَّصديق بالنُّصوص النبويَّة خبرًا وأمرًا، واتِّباعها، وأنَّه لا يعارضها بشيء من تأويلاته وآرائه».

والصِّدِّيق أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل القوم وسيِّد الصَّحابة في حكم وشهادة سادات آل البيت.

---

(١) جواب الاعتراضات المصريَّة علىٰ الفتيا الحمويَّة (ص٧٨، ٧٩).

قال عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كان أبو بكر في كل خير مقدمًا».

والصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أفضل الخلق بعد الأنبياء بنصّ سيد آل البيت محمد ﷺ ومن اتَّبعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله ﷺ: «**لو كنت متَّخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتَّخذت أبا بكر خليلًا**»؛ يدلُّ علىٰ أنَّه ليس في الأرض أحد لا من الرِّجال ولا من النِّساء أفضل عنده من أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك ما ثبت في الصَّحيح عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنَّه قال**: خير هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر، ثم عمر».

والنبيُّ ﷺ أحال علىٰ الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، واختاره مرجعًا للمسلمين بعده؛ فإنَّه قال للمرأة المستفتية: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»، رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في زمن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يكونوا يتنازعون في مسألة إلا فصلها أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وارتفع النِّزاع».

ومن خصائص فضائل الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلهام الله له للحقّ، فما رآه الشَّيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجِّه.

قال النَّبيّ ﷺ: «**إنَّه كان في الأمم قبلكم مُحدَّثون، فإنْ يكن في هذه الأمَّة فعمر بن الخطَّاب**»، رواه البخاريُّ ومسلم.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كنا نتحدَّث أن السَّكينة تنطق علىٰ لسان عمر».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٩٥، ٣٩٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٠٥).

وهذا قول جماعة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقال الزُّهري: أخبرني حمزة عن أبيه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائم، شربت** - يعني اللَّبن - **حتىٰ أنظر إلىٰ الرِّيِّ يجري في ظفري، أو في أظفاري، ثم ناولته عمر**».

قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «**العلم**»[(١)].

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)]: «لو وُضع علم عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في كفَّة ميزان، وجُعل علم أهل الأرض في كفَّة؛ لرجح علم عمر».

وقال إبراهيم النَّخعي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «والله إنِّي لأحسب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذهب بتسعة أعشار العلم».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]: «هو أعلم الأمَّة بعد الصدِّيق علىٰ الإطلاق».

وأفضل الصَّحابة علىٰ الإطلاق في معيار الصَّحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنَّا نُخيِّرُ بين النَّاس في زمان رسول الله ﷺ، فنخيِّرُ أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٥)].

قال العلَّامة موفَّق الدِّين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر، (ص٦١٨ - رقم ٣٦٨١).

(٢، ٣، ٤) إعلام الموقِّعين (٣/ ١٥٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ (ص٦١٣، ٦١٤ - رقم ٣٦٥٥).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هو أحقّ خلق الله بالخلافة بعد النَّبي ﷺ لفضله وسابقته، وتقديم النَّبي ﷺ له في الصَّلاة علىٰ جميع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وإجماع الصَّحابة علىٰ تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم علىٰ ضلالة».

وأفضل الصَّحابة بعد الصدِّيق والفاروق؛ ذو النُّورين عثمان بن عفَّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قال عبد الرَّحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنِّي قد نظرت في أمر النَّاس، فلم أرهم يعدلون بعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

وأمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صهر رسول الله ﷺ، ومن العشرة المبشَّرين بالجنَّة، والذي أعطاه النَّبي ﷺ الرَّاية يوم خيبر، وشهد له بأنَّه يحبُّه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، رواه مسلم.

وأبو الحسن رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من سادات الصَّحابة العلماء، قال النَّبي ﷺ في أصحابه: «**أقضاكم عليّ**».

وقد عهد إليه النبيُّ ﷺ أن لا يحبّه إلَّا مؤمن، ولا يبغضه إلَّا منافق.

عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولايته خلافة نبوَّة، بنصّ النَّبي ﷺ في قوله: «**خلافة النبوَّة بعدي ثلاثون عامًا**»، رواه أبو داود.

ومن مناقبه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رعاية أقدار سادات الصَّحابة؛ فإنَّه قال علىٰ منبر الكوفة: «لا أوتين بأحد يفضلني علىٰ أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إلا جلدته حد المفتري».

فاعتقاد المسلم أنّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خير الناس هو من تصديقه لخبر الله

(١) لمعة الاعتقاد (ص١٩٢)، متون التَّوحيد والعقيدة، ط - دار الآثار - القاهرة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع النَّاس الإمام (ص١٢٤١ - رقم ٧٢٠٧).

عَزَّوَجَلَّ وخبر رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ، وفضائل عامتهم وخاصتهم معلومة، رضي الله عنهم جميعًا.

قال العلامة أبو زكريا يحيىٰ بن إبراهيم السلماسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٥٠هـ)**(١):

أجمعوا(٢) علىٰ أنّ أفضل الناس الأنبياء والرسل، وأفضل الناس بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام، أصحابهم، وأفضل أصحابهم أصحاب محمد ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأفضل الصحابة المهاجرين العشرة، الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وأفضل العشرة: الخلفاء الأئمة الأربعة، وأفضلهم أبو بكر الصدّيق، ثم الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضىٰ - رضي الله عنهم -.

قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]، نزلت الآية في أبي بكر الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث أنفق ماله بمكة ونصر النبي ﷺ، وهو أول من آمن من الرجال.

وقد وردت في فضائل الأربعة الآيات الكثيرة، قال الله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ إلىٰ آخر الآيتين، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال ﷺ: «**إنَّ الله اختارني من العالمين واختار لي أصحابًا، واختار لي من**

(١) منازل الأئمة الأربعة (ص١٣٦، ١٣٧).

(٢) الأئمة الأربعة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد.

أصحابي أربعة هم خير أصحابي: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ» - رضي الله عنهم أجمعين -، وقد جاء مثل ذلك من الأخبار الصحيحة ما لا يعد كثرة ولا يحصىٰ».

فنتولَّىٰ جميع الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ لإسلامهم واتِّباعهم لرسول الله ﷺ وصحبته، ونصرة دينه، والدَّعوة إليه.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «أرجو لمن سلم عليه أصحاب النَّبي ﷺ الفوز غدًا لمن أحبهم؛ لأنَّهم كانوا عمادًا للدِّين، وقادة للإسلام، وأعوان رسول الله ﷺ، وأنصاره، ووزراء علىٰ الحقّ، واتِّباع أصحاب رسول الله ﷺ هي السُّنَّة، ولا يذكرون إلا بخير، ويترحَّم علىٰ أوَّلهم وآخرهم».

❁ ❁ ❁

(١) السُّنَّة للخلَّال (١/ ٤٨٢).

الفصل الثالث

فضائل الصحابة

وخصال خيريتهم

فضائل الصحابة

في هذا الفصل أذكر أمهات فضائل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وما هو معلوم عنهم من خصال الخير، ولا يمكنني أن أحيط بذكر جميع فضائلهم وخصائصهم ومناقبهم، ولكن حسبي أن أُبيِّن جملة من أهم ذلك، تذكيرًا بفضلهم، وبرًّا بهم، وموالاةً لهم، ولمن صحبوه؛ خير البرية محمد ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من المعلوم بالضرورة لمن تدبَّر الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أنَّ خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال، والاعتقاد، وغيرها من كل فضيلة - أنّ خيرها: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنّهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة».

وبمدارسة مناقب وفضائل خير السَّلف صدِّيق الأمة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نعرف سبق السَّلف للخلف، وأهم ما فاقوا به الخلق جميعًا بعد رسول الله ﷺ.

قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في فضائل أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كُنْتَ أول القوم إسلامًا، وأخلصهم إيمانًا، وأشدُّهم يقينًا، وأخوفهم لله عَزَّ وَجَلَّ،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٥٧، ١٥٨).

وأعظمهم غنًىٰ في دين الله، وأحوطهم علىٰ رسول الله ﷺ، وأحدبهم علىٰ الإسلام، وآمنهم علىٰ أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم شورىٰ، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا ورحمة وفضلًا[(١)].

وهذه الخصال العظيمة التي سبق بها الصدِّيق والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من بعدهم هي من حقائق توحيدهم وتألههم لله، فكان هديهم هو ما امتلأ به قلبهم من شجرة التوحيد الراسخة، فكانت جوارحهم متألِّهة لله بعقيدة التَّوحيد.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في ثمرات التَّوحيد**[(٢)]: «ثمرتها ما توجبه الأعمال الصَّالحة من الآثار الحميدة، والصِّفات الممدوحة، والأخلاق الزكيَّة، والسَّمْت الصَّالح، والهَدْي والدَّلِّ المرضيّ. فيستدلُّ علىٰ غرس هذه الشَّجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور».

ومن أعظم فضائل أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ورعه التَّام، وفضيلته هذه مع سائر فضائله شاركه الصَّحابة فيها، لكنّه كان في ذلك أمكن وأفضل.

قال الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ليس فيكم من تُقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر»، رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «لا يكون هناك مثل أبي بكر، لما اجتمع

---

(١) خليفة رسول الله ﷺ (٢/ ٦١١).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٣٤٨).

(٣) فتح الباري (١٢/ ١٨٥).

فيه من الصِّفات المحمودة من قيامه في أمر الله، ولين جانبه للمسلمين، وحسن خلقه، ومعرفته بالسِّياسة، وورعه التَّام، ممَّن لا يوجد فيه مثل صفاته».

سلف الأمَّة خير النَّاس بمنطوق من لا ينطق عن الهوىٰ، قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، متَّفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «من نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل؛ علم يقينًا أنَّهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنَّهم الصَّفوة من قرون هذه الأمَّة التي هي خير الأمم وأكرمها علىٰ الله».

وقال الحافظ ابن عبد البرّ رَحِمَهُ اللَّهُ **مجملًا بيان فضائل الصَّحابة**[2]: «الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أولو العلم والدين والفضل وخير أمة أُخرجت للناس، وخير القرون، ومن قَدْ رضي الله عنهم، وأخبر بأنهم رضوا عنه، وأثنىٰ عليهم بأنّهم الرحماء بينهم، الأشدَّاء علىٰ الكفار، الركَّع السجَّد، وأنهم الذين أوتوا العلم، قال مجاهد وغيره في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ**﴾ [سبأ: ٦] قال: أصحاب محمد ﷺ إلىٰ كثير من ثناء الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم واختياره إياهم لصحبة نبيه ﷺ».

وقال الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ **عن الصَّحابة**[3]: «هم فوقنا: في كل علم،

---

(١) العقيدة الواسطية (ص٦٠)، ط - دار الصميعي.

(٢) التَّمهيد (٤/ ٢٦٥).

(٣) الرسالة، رواية الحسن بن محمد الزعفراني، مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٥٨)، وإعلام الموقعين (١/ ١٧٤).

وعقل، ودين، وفضل، وكل سبب ينال به علم، أو يُدرك به هدًى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا».

وبعد هذا الإجمال، أذكر فضائل الصحابة وخصال الخير التي كانت فيهم، تذكيرًا بفضلهم وأداءً لحقهم من الشكر الواجب لهم، فإنّهم أدَّوا الدين إلينا، وكانوا السبب في إسلامنا.

❁ ❁ ❁

١- بِرُّ القلوب

فضيلة الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ التي سبقوا بها من بعدهم هي صلاح نيَّاتهم، وصحَّة إراداتهم، وبركة علومهم التي تهدي إلىٰ الحق بلا تكلف.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أصحاب محمد ﷺ كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلُّفًا».

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «أخبر عنهم بكمال بر القلوب، مع كمال عمق العلم، وهذا قليل في المتأخِّرين، كما يقال: «من العجائب فقيه صوفي، وعالم زاهد»، ونحو ذلك.

فإن أهلَ برِّ القلوب وحسن الإرادة وصلاح المقاصد يُحمدون علىٰ سلامة قلوبهم من الإرادات المذمومة، ويقترن بهم كثيرًا عدم المعرفة، وإدراك حقائق أحوال الخلق التي توجب الذم للشر والنهي عنه، والجهاد في سبيل الله، وأهل التعمق في العلوم قد يدركون من معرفة الشرور والشبهات ما يوقعهم في أنواع الغي والضلالات، وأصحاب محمد ﷺ كانوا أبر الخلق قلوبًا وأعمقهم علمًا.

ثم إن أكثر المتعمقين في العلم من المتأخرين يقترن بتعمقهم التكلف المذموم من المتكلمين والمتعبدين، وهو القول والعمل بلا علم، وطلب ما لا

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ١٣٨).

يُدرك، وأصحاب محمد ﷺ كانوا - مع أنَّهم أكمل الناس علمًا نافعًا وعملًا صالحًا - أقل الناس تكلفًا، يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف ما يهدي الله بها أمة، وهذا من منن الله علىٰ هذه الأمة، وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلفات والشطحات ما هو من أعظم الفضول المبتدعة والآراء المخترعة لم يكن لهم في ذلك سلف إلا رعونات النفوس المتلقاة ممن ساء قصده في الدين».

برُّ قلوب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان عظيمًا في إخباتهم لله، ووجلهم من عظمة الله، ورجائهم لرحمة الله، وخوفهم من غضبه، وامتلائها من ذكر الله، والفرح بالله، والتبتل إليه، والأنس بعبوديته، والزَّكاء بنور الوحي، والبصيرة بهدي القرآن.

نعت الصحابة الأكمل الذي هو سبب كل خير فيهم برُّ قلوبهم، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أصحاب محمد ﷺ أبرّ الأمَّة قلوبًا».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «برّ القلب هو كثرة خيره».

وبرّ القلب وكثرة خيره سببه صلاحه، فيثمر أنواع الخير، قال النبيُّ ﷺ: «**ألا وإنّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله**»، متَّفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأعظم ما كان من برِّ قلوب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ استواء سرّهم وعلانيتهم.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «إنَّ الأعمال نتائج السَّرائر الباطنة، فمن كانت

---

(١) طريق الهجرتين (٢/ ٧٣٢).

(٢) التبيان في أيمان القرآن (ص١٦٨).

سريرته صالحةً كان عمله صالحًا، فتبدو سريرته علىٰ وجهه نورًا وإشراقًا وحُسْنًا، ومن كانت سريرته فاسدةً كان عمله تابعًا لسريرته - لا اعتبار بصورته - فتبدو سريرته علىٰ وجهه سوادًا وظلمةً وشينًا.

وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنَّما هو عمله لا سريرته، فيوم القيامة تبدو عليه سريرته، ويكون الحكم والظهور لها».

ومن أعظم برِّ قلوب الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنَّها كانت مستودعًا لحفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن صدورهم التي حفظته جُمع القرآن في مصحف، فأدوه لنا، فحفظوا علينا الدين كله.

ومن أعظم برّ قلوب الصَّحابة حياتها بوعظ القرآن، قال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ [ق: ٤٥]، فقلوبهم الممتلئة من الإيمان بالله وخشيته كانت موعظة القرآن فيهم سببًا لهدايتهم وصلاحهم واستقامتهم علىٰ أمر الله وبحياتهم بنور القرآن أقاموا الإسلام، وبهم قام.

❁ ❁ ❁

٢- تحقيق التوحيد

سبق السَّلف من بعدهم في تحقيق كلمة التَّوحيد «لا إله إلا الله»، وهي حقيقة الدِّين كلّه، فالسَّابقون الأوَّلون رسخ في قلوبهم التألُّه لله وحده، إجلالًا، وهيبة، ومخافة، ومحبَّةً، ورجاءً، وتعظيمًا، وتوكُّلًا، وبذلك سبقوا الخلق في كل فضيلة، في العلم والجهاد وحسن الخلق، والقيام بشعائر الإسلام وشرائعه، والدَّعوة إلىٰ الله علىٰ بصيرة، والقيام بحقِّ الخالق والمخلوق.

سبق الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من بعدهم بإخلاصهم لله وحده لا شريك له، ومسابقتهم إلىٰ إعزاز دين الله وإقامته.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «كان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لكونه أكمل إيمانًا وإخلاصًا وصدقًا ومعرفةً وفراسة ونورًا، أبعد عن هوىٰ النَّفس، وأعلىٰ همَّة في إقامة دين الله، مقدمًا علىٰ سائر المسلمين غير أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، أجمعين».

وأساس تفاضل الناس يرجع إلىٰ تفاضلهم في الإيمان، وأفضل النَّاس في ذلك من بلغ علم اليقين، وخير الناس في ذلك الصَّحابة، وأفضلهم علىٰ الإطلاق أبو بكر الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «أمَّا الصِّدِّيق: فهو الذي كمَّل مقام الصديقية

(١) الفتاوىٰ العراقية (٢/ ٦٢٣).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٢٧، ١٢٨).

لكمال بصيرته، حتىٰ كأنَّه قد باشر بصرُه مما أخبرَ به الرسول ﷺ ما باشر قلبه، فلم يبق بينه وبين إدراك البصر إلا حجاب الغيب، فهو كأنه ينظر إلىٰ ما أخبر به من الغيب من وراء ستوره، وهذا لكمال البصيرة، وهذا أفضل مواهب العبد وأعظم كراماته التي يُكْرَم بها، وليس بعد درجة النبوة إلا هي، ولهذا جعلها سبحانه بعدها فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩]، وهذا هو السِّر الذي سبق به الصديق، لا بكثرة صوم ولا بكثرة صلاة».

تحقيق التصديق هذا الذي أورث أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الفضل والسَّبق، وحظ الصَّحابة ومن بعده من المؤمنين بمقدار تصديقهم وما تحقَّقوا به من الإيمان.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الصدِّيق ليست فضيلته في مجرَّد تحرِّي الصدق، بل في أنَّه علم ما أخبر به النبيُّ ﷺ جملة وتفصيلًا، وصدَّق ذلك تصديقًا كاملًا في: العلم، والقصد، والقول، والعمل».

فكل من كان أقوىٰ يقينًا بالله وإيمانًا بخبره وتصديقًا بكلماته وعملًا ودعوة وجهادًا إلىٰ الله وصبرًا علىٰ ذلك الحق؛ كان من الصدِّيقين الصَّالحين.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

---

(١) منهاج السنة (٤/ ٢٦٦، ٢٦٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أيُّهم كان أعظم يقينًا بآيات الله وصبرًا علىٰ الحقّ فيها كان أعظم إمامة عند الله من غيره».

وتفاضل النَّاس في الإيمان لا يعلمه إلا الله، فبر القلوب وأعمالها لا يحيط بها علمًا إلا الله.

وأعمال الجوارح تتضاعف حسناتها بحسب ما في القلوب من الإخلاص، وبحسب ما يكون من إحسان الأعمال بمتابعة النبي ﷺ في أدائها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قال أبناء يعقوب: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فإن ألوهية الله متفاوتة في قلوبهم علىٰ درجات عظيمة تزيد وتنقص، ويتفاوتون فيها تفاوتًا لا ينضبط طرفاه، حتىٰ قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في حق شخصين: «**هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا**» فصار واحد من الآدميين خيرًا من ملء الأرض من بني جنسه، وهذا تباين عظيم لا يحصل مثله في سائر الحيوان.

وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار من قال: «ما سبقكم أبو بكر بفضل صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه»، وهو اليقين والإيمان، ومنه قوله ﷺ: «**وزنت بالأمة فرجحت، ثم وزن أبو بكر بالأمة فرجح، ثم وزن عمر بالأمة فرجح، ثم رفع الميزان**»».

❁ ❁ ❁

---

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص٣٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٣٨٤، ٣٨٥).

٣- الاتباع للوحي

الانقياد للوحي هو من حقائق التصديق والإيمان به، وهذه فضيلة الصحابة جميعًا، وفضيلة الصدِّيق العظمىٰ التي تتشعَّب منها حقائق الدين وشرائعه وشعائره.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أعظم عمله - الصدِّيق - وإيمانه التَّصديق بالنُّصوص النبويَّة خبرًا وأمرًا، واتِّباعها، وأنه لا يعارضها بشيء من تأويلاته وآرائه».

فالحد الفاصل بين السنِّي والبدعي؛ أنَّ السنِّي يأخذ اعتقاده وعمله من دليل الكتاب والسنَّة بفهم السَّلف، والبدعي يجعل نصوص الكتاب والسنَّة تبعًا لهواه، يضعها في غير مواضعها، أو يُحرِّف معانيها.

قال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة، ومن طلبه ليقوِّي به رأيه فهو صاحب بدعة».

فالسنِّي يستظهر بكتاب الله علىٰ هواه، لا يتخذ كتاب الله وراءه ظهريًّا متبعًا لهواه جاعلًا إياه حاكمًا علىٰ نصوص الوحي.

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **في عالم الضَّلالة**[(٣)]: «يستظهر

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص٧٩).
(٢) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص٨٧).
(٣) الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٣).

بحجج الله علىٰ كتابه».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّ العالم حقًّا يستظهر بكتاب الله علىٰ كل ما سواه، فيقدمه ويحكمه، ويجعله عيارًا علىٰ غيره، مهيمنًا عليه، كما جعله الله تعالىٰ كذلك، فالمستظهر به موفق سعيد، والمستظهر عليه مخذول شقي».

وردّ حديث رسول الله ﷺ أو الاعتراض عليه بالعقل أو الرأي أو الذوق؛ هو من الرغبة عن سنَّته، وقد قال النبي ﷺ: «**من رغب عن سنتي فليس منِّي**»، متفق عليه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الواجب علىٰ المسلم**[(٢)]: «يُسلم لأمر الله، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر، أو فقهها العقل، كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال، وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله، فالمعظم لأمر الله يجري الأوامر والنواهي علىٰ ما جاءت، لا يعللها بعلل توهنها وتخدش في وجه حسنها، فضلًا عن أن يعارضها بعلل تقتضي خلافها، فهذا حال ورثة إبليس، والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء».

وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول[(٣)]: «من رَدّ حديث رسول الله ﷺ فهو علىٰ شفا هلكة».

وقال رجل لابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٣٩، ١٤٠).

(٢) الصواعق المرسلة (٤/ ١٥٦١، ١٥٦٢).

(٣) الفقيه والمتفقه (١/ ٢٨٩).

القرآن، ولا نجد صلاة السّفر، فقال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إنَّ الله بعث إلينا محمدًا، ولا نعلم شيئًا، فإنَّما نفعل كما رأيناه يفعل، رواه مالك.

قال العلامة أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان القُنازعي القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٤١٣هـ)**[١]: «في جواب ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لهذا الرجل من الفقه الوقوف عند السُّنن، وترك الاعتراض علىٰ ما ثبت منها واستفاض به العمل، وهذا سبيل أهل السلامة، وأما من نصب دينه للجدل، فإنه يكثر التنقل، ويعمىٰ قلبه عن الصواب».

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**[٢]: «إنَّكم في زمان كثير فقهاؤه، قليل قرَّاؤه، تُحفظ فيه حدود الله، وتضيَّعُ حروفه، قليل من يسأل كثير من يُعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويُقصرون الخطبة، يُبدون أعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتي علىٰ الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قرَّاؤه، يُحفظ فيه حروف القرآن، وتُضيَّع حدوده، كثير من يسأل قليل من يُعطي، يُطيلون فيه الخطبة، ويقصرون الصَّلاة، يُبَدُّون فيه أهواءهم قبل أعمالهم».

فالسَّلف من طبقة الصحابة فقهاء علماء، عاملون بما علموا، متبعون للسنة، أهواؤهم تبع للوحي، أسخياء كرماء، ومن بعدهم ممن لم يكن علىٰ منهاجهم متعالمون، مضيعون للعمل، كثر فيهم الشحّ والبخل.

قال العلامة أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان القُنازعي القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٤١٣هـ)**[٣]: «قوله: «يبدون فيه أعمالهم قبل أهوائهم»؛ يعني: يبدّون فيه

(١) تفسير الموطأ (١/ ١٩٩).

(٢) رواه مالك (١/ ١٧٣ – رقم ٨٨).

(٣) تفسير الموطَّأ (١/ ٢٢٠).

الحق بما افتُرض عليهم قبل اتِّباعهم لأهوائهم التي تقصر بهم عن الطاعات واكتساب الحسنات».

وسبب استقامة الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ علىٰ السنَّة وسلامتهم من كل بدعة؛ تأميرهم للوحي علىٰ أنفسهم، أما المبتدعة فتجارت بهم الأهواء؛ لاتِّباعهم لها وتقديمها علىٰ الوحي.

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «من أمَّرَ السنَّة علىٰ نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [سورة النور: ٥٤]».

الاستقامة علىٰ صراط الله هداية، وسبب للسير علىٰ الصراط في الآخرة بأمن وأمان وسلامة من تخطُّف الكلاليب التي تهوي من ضلّ في هواه في الدُّنيا في نار جهنم.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

فالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أتوا الله ﴿بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [سورة الشعراء: ٨٩]، سليم من الشِّرك والبدعة والفسق، فكانت قلوبهم مطمئنَّة بالتَّوحيد والسنَّة والطاعة، وكان هذا من اصطفاء الله وتوفيقه وإعانته لهم أن ﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحُجُرات: ٧].

ومن أعظم أسباب افتراق المسلمين؛ عدولهم عن تلقِّي الوحي ومعانيه عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ؛ فإنَّ النبي ﷺ أمر أمَّته بحسم الاختلاف بالاجتماع علىٰ

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢٧٧).

تلقِّي الدِّين ومعانيه عن الصَّحابة، فقد قال ﷺ: «**افترقت اليهود والنَّصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النَّار، إلا ما أنا عليه وأصحابي**».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «- لو - انقاد كل منهم لمن دعاه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وتحاكموا كلُّهم إلىٰ السنَّة وآثار الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لقلَّ الاختلاف، وإن لم يُعدَم من الأرض، ولهذا تجد أقلَّ الناس اختلافًا أهل السنَّة والحديث».

والأساس الذي سبق به الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من بعدهم؛ هو تحقيق الاتباع للنبي ﷺ، وهذا هو المعيار الذي جعله الله أساسًا في صدق المؤمنين باتِّباع سيد المرسلين، قال تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها، وعبوديَّتهم لله أكمل من عبوديَّة من قبلهم.

وأكمل هذه الأمة في ذلك هم أصحاب محمد ﷺ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل».

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أرغب الخلق في السنَّة، وأبعدهم من البدعة، هذا وصف جميعهم، ومن أداه اجتهاده إلىٰ خلاف السنَّة بيَّن له النبي ﷺ خطأه، فانزجر عن مخالفة السنَّة وصار مع الجماعة علىٰ الهدىٰ والحق.

---

(١) إعلام الموقعين (٣/ ١١٧).

(٢) العبودية (ص١١٦)، ط - المكتب الإسلامي، ط - السابعة.

ولهذا لم تعرف البدع في الصَّحابة ولم تنسب إليهم.

والثلاثة نفر الذين سألوا عن عبادة النبي ﷺ، فكأنَّهم تقالُّوها، فقال أحدهم: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأعتزل النساء، فأنكر عليهم النبي ﷺ مخالفتهم للسنَّة، وقال: «**أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له، وإني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» متَّفق عليه.

وقد كان اتباع النبي ﷺ منهج جميع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وذلك هو حقيقة شهادة أنَّ محمَّدًا رسول الله ﷺ.

واتِّباع النبيِّ ﷺ هو من توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وعبوديته؛ قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [سورة النساء: ٨٠]، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «العبودية المحضة لا وجود لها ولا تحقُّق إلا بتجريد متابعة الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم إذ هذه العبودية إنَّما جاءت علىٰ ألسنتهم، وما عُرفت إلا بهم، ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم».

فاتباع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ للنَّبي ﷺ معلوم متيقن من أحوالهم وسيرتهم، وذلك من أفضل مناقبهم.

وقد حكىٰ الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إجماع الصَّحابة علىٰ أنّ من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد[٢].

---

(١) الرسالة التبوكية (ص٥٩).

(٢) الرسالة التَّبوكيَّة (ص٤٠).

وكان اتِّباع سنة النبي ﷺ هو مرجع الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، بها يأخذون، وإليها يتحاكمون، وعنها يصدرون، قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في صلاة الجماعة: «لو أنَّكم صليتم في بيوتكم كما يُصَلِّي هذا المتخلِّف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيِّكم لضللتم»(١).

فقد كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يهتدون ويهدون الخلق بسنة النبيِّ ﷺ، قال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته، رواه مسلم.

ومن نماذج اتِّباع الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ للنَّبي ﷺ مبادرتهم إلىٰ الفطر بعد غروب الشمس إذا كانوا صائمين، وكذلك تأخيرهم للسحور؛ اتِّباعًا لقول النبي ﷺ: «**لا يزال النَّاس بخير ما عجَّلوا الفطر**»، متَّفق عليه، وورد في رواية: «**وأخروا السحور**».

وقد وصف التَّابعون هدي الصَّحابة في ذلك، قال عمرو بن ميمون الأودي رَحِمَهُٱللَّهُ: «كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا»، رواه عبد الرزاق(٢).

واتِّباع النبي ﷺ يُدرك به الناس خيري الدُّنيا والآخرة.

قال العلامة أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان القنازعي القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٤١٣هـ)**(٣): «النبي ﷺ قال: «**لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر**»؛ يعني:

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدىٰ (ص٢٦٤ – رقم ٤٨٨).
(٢) صحَّحه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤/ ١٩٩).
(٣) تفسير الموطَّأ (١/ ٢٩٠).

عجلوا الأكل إذا صاموا في رمضان بعد غروب الشمس، وفي هذا من الفقه: أنّ من وقف عند ما حد الله له فيما فرضه عليه، وفيما بيَّنه له رسول الله ﷺ كان بخير من دنياه، واستوجب الأجر علىٰ ذلك من ربه في آخرته».

والابتداع في الدِّين ومخالفة النبي ﷺ؛ فيها فوات مصالح الدِّين والدنيا.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من البدع المنكرة ما أُحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشُّرب علىٰ من يريد الصيام زعمًا عمن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة، ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس، وقد جرهم ذلك إلىٰ أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا، فأخروا الفطر وعجلوا السحور وخالفوا السنة، فلذلك قلّ عنهم الخير، وكثر فيهم الشر، والله المستعان».

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ آمنوا بالله وأخذوا بالعمل الصالح، فعبدوا الله مخلصين له الدِّين متَّبعين لرسول الله ﷺ.

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إنَّ النبيّ ﷺ مكث في المدينة تسع سنين لم يحج، ثم أذِّن في النَّاس في العاشرة أنَّ رسول الله ﷺ حاجٌّ، فقدم المدينة بشر كثير، **كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله**، رواه مسلم.

وكان اتباع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لنوعي سنة النبي ﷺ الفعلية والتركية.

ومن اتباع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لسنَّة النبيّ ﷺ التركيَّة؛ تركهم للنَّوافل الرَّاتبة

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٩٩).

في السَّفر، ما عدا سنة الفجر وصلاة الوتر.

وفي الصَّحيحين والرواية لمسلم قال حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب: صحبت ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في طريق مكَّة، فصلَّىٰ لنا الظهر ركعتين، ثم أقبل وأقبلنا معه، حتىٰ جاء رحله وجلس وجلسنا معه، فحانت منه التفاتة نَحْوَ حيث صلىٰ، فرأىٰ ناسًا قيامًا، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قلت: يُسبِّحُون.

قال: لو كنت مُسبِّحًا أتممت صلاتي.

يا ابن أخيّ إنِّي صحبت رسول الله ﷺ في السَّفر، فلم يزد علىٰ ركعتين حتىٰ قبضه الله، وصحبت أبا بكر فلم يزد علىٰ ركعتين حتىٰ قبضه الله، وصحبت عمر فلم يزد علىٰ ركعتين حتىٰ قبضه الله، ثم صحبت عثمان فلم يزد علىٰ ركعتين حتىٰ قبضه الله، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٢١][١].

قال العلامة ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التسبيح هو التنفل».

هذه نماذج من سيرة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في اتِّباع النبي ﷺ، وكان ذلك سبب خيريَّتهم، والأمة تُدرك من الخير بحسب اتِّباعها للنبي ﷺ.

والخير الذي تدركه الأمَّة باتِّباعها نبيها ﷺ؛ لا يحيط بوصفه عبارة، فهو سراج منير تهتدي به الأمَّة إلىٰ كل خير.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة المسافرين وقصرها (ص٢٨٠ – رقم ١٥٧٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قد سمىٰ الله الشمس سراجًا وهاجًا وسماه – النبي ﷺ – سراجًا منيرًا، ونعمة الله بالسراج المنير أنعم من نعمته بالسراج الوهاج من وجوه؛ منها أن السراج الوهاج لصلاح بعض الأمور الدنيوية، وهي فانية منقضية والسراج المنير لصلاح الدين والآخرة مع صلاح الدنيا، فإنَّ وجود الشمس لا ينتفع به الآدميون في الدنيا إلا أن يكون لهم اجتماع وتعاون في المصالح وذلك لا يتم إلا بشريعة تقيم بينهم قانون العدل، ولم يطرق الوجود شريعة أعظم من شريعته ﷺ، فما يحصل بها من صلاح الناس في المعاد بعض نعمة منها خير من الدنيا وما فيها، وأما ما يحصل بها من صلاح القلوب والأرواح والأبدان بالعلوم النافعة والأعمال الصالحة والهدىٰ ودين الحق؛ فهذا لا يحصل لا بشمس ولا بنحوها وكذلك ما يحصل بها بعد الموت من السعادة الأبدية التي لا نسبة لخير الدنيا إليها، كما قال ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم ترجع**» وهذا باب يطول وصفه».

❁ ❁ ❁

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التفسير (٥/ ٢٤٩، ٢٥٠).

٤- أرغب في الآخرة وأزهد في الدُّنيا

ومن أسباب خيرية الصَّحابة وفضلهم علىٰ من بعدهم أنهم أرغب في الآخرة وأزهد في الدُّنيا ممَّن بعدهم؛ فالرَّغبة في الآخرة والزهد في الدُّنيا هو السَّبيل إلىٰ الجنة، والرَّغبة في الدُّنيا من أسباب التحاسد والتنافس فيها، ومن أسباب الرُّكون إليها والرِّضا بها عن الجهاد في سبيل الله.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النازعات: ٣٧-٣٩].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنتم اليوم أكثر صلاة، وأشدُّ عبادة من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانوا خيرًا منكم، قيل: لِمَ؟ قال: كانوا أزهد في الدُّنيا، وأرغب في الآخرة منكم.

ورغبة الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الآخرة كانت في كل أعمال البر، وعامة لأمورهم الدينية والدنيوية، فما كان لهم في أمر خيرة إلا اختاروا خير الأمور وأرضاها لله.

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «من استقرأ سير السَّلف وأخبارهم وقف علىٰ صفة صفوة منهم من ذوي الزهادة والعبادة، آثروا الآجل

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٢٤٣).

علىٰ العاجل، وأعرضوا عن زهرة الدُّنيا وزخرفها؛ رغبة في ثواب الله تعالىٰ ورهبة من عقابه».

وكان الصحابة أرغب في الآخرة وأزهد في الدُّنيا، فكان تناولهم لمباحات ومتاع الدُّنيا علىٰ سبيل التعبد لله، ولذلك كانت نفقاتهم اقتصادًا من غير سرف ولا مخيلة.

قال يزيد بن أبي حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أصحاب محمد ﷺ؛ كانوا لا يأكلون طعامًا للتنعُّم واللذَّة، ولا يلبسون ثوبًا للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يَسُدُّ عنهم الجوع ويقوِّيهم علىٰ عبادة ربّهم، ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويُكِنُّهم من الحر والبرد».

ومن المأثور عن الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في التَّرغيب في الآخرة والتَّزهيد في الدُّنيا؛ قول عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ارتحلت الدُّنيا مُدْبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدُّنيا؛ فإنَّ اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل»[(٢)].

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصَّباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»[(٣)].

وخطب عتبة بن غزوان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعد،

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٥٠).

(٢) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الرقاق، باب في طول الأمل (ص١١١٤).

(٣) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «**كن في الدُّنيا كأنَّك غريب**» (ص١١١٤).

فإنَّ الدُّنيا قد آذنت بصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاء، وإنَّما بقي منها صبابة كصبابة الإناء يتصابُّهَا صاحبها، وإنَّكم منتقلون منها إلىٰ دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحَضْرتكم، فإنَّه قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقىٰ من شَفَةِ جهنَّم، فيهوي بها سبعين عامًا لا يُدْرِك لها قعرًا[(١)].

والزهد في الدُّنيا والرَّغبة في الآخرة هذا وصف من هدىٰ الله، وهو من أراد الله أن يدخله جنات النعيم، وييسره لأسباب ذلك.

تلا رسول الله ﷺ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥]، وقال: «**إذا دخل الإيمان القلب انفسح له القلب وانشرح**»، قالوا: يا رسول الله! هل لذلك من أمارة؟ قال: «نعم، الإنابة إلىٰ دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت»، رواه الطبري وابن أبي حاتم وعبد الرزاق[(٢)].

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب الدُّنيا سجن المؤمن (ص١٢٨٥ – رقم ٧٤٣٥).

(٢) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طرق هذا الحديث مرسلة ومتصلة يشدُّ بعضها بعضًا، والله أعلم»، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٥٥).

٥- حضور قرائن الأحوال

ومن فضائل الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ التي خصَّهم الله بها دون من بعدهم؛ ما أدركوه من حضور قرائن الأحوال التي كانت من أسباب صحة الفهم لمعاني القرآن والسنَّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «إنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ سمعوا من النبيِّ ﷺ من الأحاديث الكثيرة، ورأوا منه من الأحوال، وعلموا بقلوبهم من الأمور ما يوجب لهم من فهم ما أراد بكلامه ما يتعذَّر علىٰ من بعدهم.

فليس من سمع ورأىٰ وعلم حال المتكلم كمن كان غائبًا، ولم يرَ ولم يسمع منه، ولكن علم بعض أحواله وسمع بواسطة.

وإذا كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ سمعوا لفظه وفهموا معناه؛ كان الرجوع إليهم في ذلك واجبًا متعينًا».

وقال الحافظ العلائي رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «إنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حضروا التنزيل، وفهموا كلام الرسول ﷺ، واطَّلعوا علىٰ قرائن القضايا، وما خرج عليه الكلام من الأسباب والمحامل التي لا تُدرك إلا بالحضور، وخصّهم الله تعالىٰ بالفهم

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص١٥).

(٢) إجمال الإصابة في أقوال الصحابة (ص٦٤).

الثاقب، وحدّة القرائح، وحسن التصرّف، لما جعل الله فيهم من الخشية والزهد والورع، إلىٰ غير ذلك من المناقب الجليلة».

وقد نقل إلينا الصحابة رضي الله عنهم قرائن أحوال النبيِّ ﷺ، وما أفادتهم من الأحكام، فحفظوا علينا الدين.

قال التابعي أبو معمر عبد الله بن سخبرة الكوفي: سألنا خَبَّابًا: أكان النبيُّ ﷺ يقرأ في الظُّهر والعصر؟ قال: نعم، قلنا: بأيِّ شيءٍ كنتم تعرفون؟ قال: باضطراب لحيته، رواه البخاري.

ونقل إلينا أسامة بن زيد رضي الله عنه إفاضة النبي ﷺ من عرفة، ونزوله في الشعب لقضاء الحاجة، ووضوءه من غير إسباغ.

وكعب بن مالك رضي الله عنه نقل إلينا تبسُّم النبي ﷺ إليه تبسم المغضب لتخلُّفه عن غزوة تبوك، رواه البخاري ومسلم.

فالصحابة رضي الله عنهم نقلوا إلينا قرائن أحوال النبي ﷺ مفصَّلة، وكان ذلك من أسباب حفظ الدِّين ومعرفة أحكامه وفهمه، فكانوا ورثة النبي ﷺ أمناء في أداء سنته.

قال الشاطبي رحمه الله[1]: «إنَّ وارث النبيِّ ﷺ؛ يلزمه إجراء الأحكام علىٰ موضوعاتها في أنفسها وفي لواحقها وسوابقها، وقرائنها، وسائر ما يتعلق بها شرعًا، حتىٰ يكون دين الله بيِّنًا عند الخاصِّ والعامِّ».

❁ ❁ ❁

---

(١) الموافقات (٣/ ٢٨٢).

٦- البيان

الصحابة الذين قام بهم الإسلام ومن عقل لغتهم هي العربية التي أوحىٰ الله بها القرآن؛ وهذا فضل عظيم، فالله اصطفىٰ لغة العرب لوحيه وخاتمة شرائعه لأنها أفصح اللغات وأعظمها بيانًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «باعتبار القوىٰ الثلاث انقسمت الأمم التي هي أفضل الجنس الإنساني، وهم العرب والروم والفرس، فإن هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية وهم سكان وسط الأرض طولًا وعرضًا، فأما من سواهم كالسودان والترك ونحوهم فتبع.

فغلب علىٰ العرب القوة العقلية النطقية، واشتق اسمها من وصفها، فقيل لهم: عرب من الإعراب وهو البيان والإظهار، وذلك خاصة القوة المنطقية.

وغلب علىٰ الروم القوة الشهوية من الطعام والنكاح ونحوهما، واشتق اسمها من ذلك فقيل لهم: الروم، يقال: رمت هذا أرومه إذا طلبته واشتهيته. وغلب علىٰ الفرس القوة الغضبية من الدفع والمنع والاستعلاء والرياسة، واشتق اسمها من ذلك فقيل: فرس، كما يقال: فرسه يفرسه إذا قهره وغلبه.

ولهذا توجد هذه الصفات الثلاث علىٰ الأمم الثلاث حاضرتها وباديتها.

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٥/ ٢٥، ٢٦).

ولهذا كانت العرب أفضل الأمم، وتليها الفرس لأن القوة الدفعية أرفع، وتليها الروم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «العرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر علىٰ البيان والعبارة، ولسانهم أتمّ الألسنة بيانًا وتمييزًا للمعاني».

ومقصود العلماء بذكر هذه الفضيلة هو الحث علىٰ الأخذ عنهم فهمهم للقرآن، والتشبه بالسابقين الأوَّلين خير الناس، وليس المقصود الاختيال بالفضائل.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّ الذي يجب علىٰ المسلم إذا نظر في الفضائل، أو تكلم فيها؛ أن يسلك سبيل العاقل الدَّيِّن، الذي غرضه أن يعرف الخير، ويتحرَّاه جهده، ليس غرضه الفخر علىٰ أحد، ولا الغمص من أحد، فقد روىٰ مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّه أوحي إلي أن تواضعوا، حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ أحد، ولا يبغي أحد علىٰ أحد**»».

ومن صارت العربية لسانه فهو عربي اللسان، ومن وُلد في بلاد العرب فهو عربي.

قال أبو جعفر الباقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وهو من سادات آل البيت القرشيين**[(٣)]: «من وُلد في الإسلام فهو عربي».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «لأنَّ من وُلد في الإسلام فقد وُلد في دار العرب، واعتاد خطابها».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٦٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٧٠).

(٣، ٤) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٧٣)، ط - دار الفضيلة.

٧- استخلاف الله لهم

ومن أعظم فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ التي سبقوا بها من بعدهم استخلاف الله لهم في مشارق الأرض ومغاربها في أسرع وقت، وكان نصر الله لهم وتمكينهم بسبب إيمانهم وصلاحهم الذي فاقوا به جميع الخلق.

قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما كانوا أقومَ الناس بعد النبيِّ ﷺ بأوامر الله عَزَّ وَجَلَّ، وأطوعهم لله؛ كان نصرهم بحسبهم، وأظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيَّدهم تأييدًا عظيمًا، وحكموا في سائر العباد والبلاد، ولما قصَّر الناس بعدهم في بعض الأوامر؛ نقص ظهورهم بحسبهم».

واستخلاف الله عَزَّ وَجَلَّ وتمكينه لهم كان سببه صدقهم وإخلاصهم في نصرة الدين، نصروا الله فنصرهم، قاموا بالتوحيد واتبعوا الوحي وسعوا لتكون كلمة الله هي العليا، وتوكلوا علىٰ الله، وأيقنوا بنصر الله لمن ينصره، فاستخلفهم الله، وكانوا قلّة مع كثرة الكافرين وقوتهم المادية.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٤٤، ٤٤٥).

استخلف الله الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فأقاموا حكم الله في الخلق، وكان هذا من عبوديتهم لله في جهادهم وفي حكمهم وفيما ولوا، وكانوا سببًا في هداية الناس إلىٰ الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

❁ ❁ ❁

٨- تلاوة القرآن

الدين كله في تلاوة القرآن، والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم خير من تلاه حق تلاوته.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «تلاوة الكتاب هي: اتِّباعه والعمل به، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [سورة البقرة: ١٢١]، قال: يحلُّون حلاله، ويحرمون حرامه، ويؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه».

وقال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «دَرَجَ السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتعلَّمون القرآن، ويصدِّقون به، ويُطبِّقون أحكامه تطبيقًا إيجابيًّا عن عقيدة راسخة ويقين صادق، قال أبو عبد الرحمن السُّلميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: حدَّثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن؛ عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيرهما، أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتىٰ يتعلَّموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

وهذا النوع من التلاوة هو الذي عليه مدار السَّعادة والشَّقاوة، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ

(١) العبودية (ص٧٥).

(٢) مجالس شهر رمضان (ص٨٤).

عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧]، فبيَّن الله في هذه الآيات الكريمة ثواب المتَّبعين لهداه الذي أوحاه إلىٰ رسله، وأعظمه هذا القرآن العظيم، وبيَّن عقاب المعرضين عنه.

أما ثواب المتَّبعين له فلا يضلُّون ولا يشقون، ونفي الضلال والشقاء عنهم يتضمَّن كمال الهداية والسَّعادة في الدُّنيا والآخرة.

وأما عقاب المعرضين عنه المتكبِّرين عن العمل به؛ فهو الشَّقاء والضَّلال في الدُّنيا والآخرة».

❁ ❁ ❁

٩- المباركون

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أعظم الخلق بركة، أعمالهم بالنسبة لأعمارهم حصل بها الخير الكثير في الوقت القليل، هدىٰ الله بهم الأمم في مشارق الأرض ومغاربها، وأظهر الله بهم دينه في أنحاء المعمورة في مدَّة يسيرة، لم تكن لأحد من قبلهم، ولا يلحقهم في ذلك أحد بعدهم، وتلك هي حقيقة البركة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [سورة فاطر: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قد قال بعض النَّاس: إنَّ المراد به البركة في العمر، بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير، قالوا: لأن الرزق والأجل مقدَّران مكتوبان، فيقال لهؤلاء: تلك البركة، وهي الزيادة في العمل والنفع».

والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **دعا لهم النَّبي** ﷺ بالبركة، فبُوركوا ببركة **دعائه** ﷺ لهم، ودعاؤه لهم بالبركة كان في الدِّين والدُّنيا، وما كان من الدُّعاء بالبركة في الدُّنيا فالمقصود منه استعماله في نفع الدِّين وجعله سببًا في إدراك الآخرة.

من الصَّحابة الذين دعا لهم النبيُّ ﷺ بالبركة في الدِّين؛ عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال النبي ﷺ: «**اللهم فقِّهه في الدِّين، وعلِّمه التأويل**».

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيميَّة (٥/ ٣٠٣).

ومن الصَّحابة الذين دعا لهم النبيُّ ﷺ بالبركة في دنياهم؛ أنس بن مالك، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال النبيُّ ﷺ في دعائه له: «**اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**»، متفق عليه.

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «هذا من أعلام نبوته ﷺ في إجابة دعائه، وفيه فضائل لأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه دليل لمن يفضل الغني على الفقير، ومن قال بتفضيل الفقير أجاب عن هذا بأنَّ هذا قد دعا له النبيُّ ﷺ بأن يُبارك له فيه، ومتى بُورك فيه لم يكن فيه فتنة، ولم يحصل بسببه ضرر، ولا تقصير في حق، ولا غير ذلك من الآفات التي تتطرَّق إلى سائر الأغنياء، بخلاف غيره.

وفيه: هذا الأدب البديع، وهو أنَّه إذا دعا بشيء له تعلق بالدُّنيا أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة ونحوهما.

وكان أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولده رحمة وخيرًا ونفعًا بلا ضرر، بسبب دعاء رسول الله ﷺ».

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أدركتهم بركة دعاء النبي ﷺ لهم بالبركة؛ فكانوا أعظم الخلق بركة.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على مُتُونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الجهاد ما بقينا أبدًا

---

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص١٧٩٨، ١٧٩٩).

والنبيُّ ﷺ يجيبهم ويقول:

«اللهم إنه لا خير إلا خيرُ الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة»(١)

الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أعظم الخلق بركة، حيثما كانوا انتفع بهم الخلق، بعلومهم، وبأنواع إحسانهم البدني والمالي، وذلك لزكاء نفوسهم ونفعهم للخلق، وحبهم للناس ما يحبون لأنفسهم.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «النَّفْسُ المعطيةُ هي النفَّاعة المحسنة، التي طَبْعُها: الإحسان، وإعطاء الخير اللَّازم والمتعدِّي، فتعطي خيرها لنفسها ولغيرها، فهي بمنزلة «العين» التي ينتفع الناس بشربهم منها، وسقي دوابِّهم وأنعامهم وزروعهم، فهم ينتفعون بها كيف شاءوا، فهي ميسَّرة لذلك، وهكذا الرجل المبارك ميسَّرٌ للنفع حيث حلَّ، فجزاء هذا أن ييسِّره الله لليسرىٰ، كما كانت نفسه ميسَّرة للعطاء».

فالنَّفس المعطية هي المحسنة إلىٰ نفسها وإلىٰ غيرها بأنواع الإحسان، نفس زكية مباركة، إحسانها من بركتها وخيرها، وهذا من أفضل أنواع الكمال الذي كان عليه النبي ﷺ وورثته من الصحابة وأتباعهم بإحسان.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «الرسول ﷺ أعلم وأحرص علىٰ الهدىٰ، وأقدر علىٰ بيانه، وكذلك أصحابه من بعده وأتباعهم، وهذه صفات

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق (ص٤٧٠ – رقم ٢٨٣٥).

(٢) التبيان في أيمان القرآن (ص٨٩).

(٣) نقض المنطق (ص١١٦، ١١٧)، باختصار.

الكمال والعلم والإرادة والإحسان».

وعلوم الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مباركة، هي نور الوحي، وهدىٰ القرآن والسنَّة، تلقَّوها من معينها الصافي من المعلِّم الأوَّل صلوات الله وسلامه عليه، لم تشبها بدعة ولا ضلالة، فكانت نقيَّة.

علومهم مباركة، هدىٰ الله بهم الأمم من ظلمات الكفر إلىٰ نور الإسلام.

علوم الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مباركة، عباراتهم وألفاظهم متلقاة من مشكاة الوحي، جوامع كلم علىٰ نحو ما اهتدوا به من كلمات القرآن وأحاديث النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «أصحاب محمد كانوا - مع أنهم أكمل الناس علمًا نافعًا وعملًا صالحًا - أقل الناس تكلُّفًا، يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف، ما يهدي الله بها أمة، وهذا من منن الله علىٰ هذه الأمة، وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلّفات والشَّطحات، ما هو من أعظم الفضول المبتدعة، والآراء المخترعة».

❁ ❁ ❁

---

(١) نقض المنطق (ص١١٤).

١٠- الطائفة المنصورة

الطائفة المنصورة هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أتباع النبي ﷺ، نصرهم الله لاتِّباعهم لهداه، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [سورة محمد: ٧].

ونصر الله للصحابة كان بتثبيتهم عند لقاء عدوهم، وكان بإمداد الله لهم بالملائكة، وبما كان يلقيه الله في قلوب أعدائهم من الرعب.

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقاتلون بإيمانهم، كانوا يقاتلون أعداءهم وهم أقل عددًا وعتادًا، وينصرهم الله لأنهم نصروه.

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منصورين في غزواتهم كلها، إلا من غزوة أحد، مع ما كان لهم من النصر في أول الأمر، لتجري فيهم سنة الله في ربط الأسباب بمسبباتها، فمن أخذ بأسباب النصر نصره الله.

ظهور الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ مشارق الأرض ومغاربها كان في أقل مدة، لم يحصل نظيره لغيرهم، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف: ٩]، فكان ظهورهم بنصر الله لهم، وكان ظهورهم بحق، فأقاموا التوحيد، واضمحل بهم الشرك والفساد.

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منصورين بالحجة كما كانوا منصورين بالسيف؛ لأنهم كانوا أعلم الخلق بكتاب الله وأتبعهم له.

الصحابة كانوا منصورين؛ لأن جهادهم العلمي وكذلك القتالي كان عن عدل، فمنع الله بهم أعظم الظلم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣]، وبتمكين الله لهم نشر الله رحمته علىٰ البلاد والعباد، وانتُصف للرعية.

استخلف الله الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ فأقاموا في البلاد والعباد حكم الله، وكان ذلك دليل صدق جهادهم، ورحمتهم بالخلق، فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أخرجوا العباد من عبادة العباد إلىٰ عبادة رب العباد.

كانت دولة الإسلام مملكة عظيمة، جماعة واحدة، ومتىٰ خلفت الأمة سلفها بأسباب النصر أظهرهم الله.

❁ ❁ ❁

١١- الأخلاق العليَّة

مكارم أخلاق الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عظيمة، منها ما جبلهم الله عليها، كما قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «**فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**»، رواه البخاري ومسلم.

ومادة مكارم أخلاق الصحابة العظيمة؛ مستمدَّة من نور القرآن والاهتداء به، الدالِّ علىٰ كل خير المحذِّر من كل شرّ، فالنبي ﷺ عندما ذكر أنّ شعب الإيمان بضع وستُّون، وأنَّ أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، قال: «**والحياء شعبة من الإيمان**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ليبيِّن أنَّ الإيمان يدعو إلىٰ مكارم الأخلاق.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الخير كلُّه سببه النور والحياة؛ فإنَّ النُّور يكشف عن حقائق الأشياء، ويبيِّنُ مراتبها، والحياة هي المصحِّحة لصفات الكمال، الموجبة لتسديد الأقوال والأعمال. وكلُّ ما تصرَّف من الحياة فهو خير كله، كالحياء الذي سببه كمال حياة القلب، وتصوُّرُه حقيقة القبح ونفرتُه منه، وضدُّه الوقاحة والفحش، وسبب موت القلب وعدم نفرته من القبيح».

وكان في العرب في الجاهلية أخلاق وسجايا كريمة من الشجاعة والكرم.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٥).

ولئن كان في بعض العرب السلب والنهب والعدوان والظلم، فقد كان فيهم من لا يجور ولا يظلم الخلق بالعدوان والأذىٰ، فبعد فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا قدم وفد بني الحارث بن كعب علىٰ رسول الله ﷺ مسلمين، وقال لهم رسول الله ﷺ: «**بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟**» قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرَّق، ولا نبدأ أحدًا بظلم[(١)].

وحلف المطيِّبين اجتمع فيه سادات العرب في مكة علىٰ منع الظلم ونصرة المظلوم.

وأخلاق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أبهرت الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فقد كان الحياء خلق جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأشدهم حياءً عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأذن له، وهو علىٰ تلك الحال، فتحدَّث، ثم استأذن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأذن له، وهو كذلك، فتحدَّث، ثم استأذن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجلس رسول الله ﷺ وسَوَّىٰ ثيابه، وقال رسول الله ﷺ: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**».

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «فيه فضيلة ظاهرة لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجلالته عند الملائكة، وأنَّ الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة».

ومن نماذج مكارم أخلاق الصحابة في السَّخاء؛ أنَّ الزُّبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٧٨٤).

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص١٧٥٤).

كان له ألف مملوك يؤدُّون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلىٰ منزله ليس معه شيء، وما يُدْخِلُ بيته من خراجهم درهمًا[١].

وشهرة الصَّحابة بالكرم والصَّدقة وصنائع المعروف؛ سار بذكرها من عرف فضائلهم.

قال هشام بن عروة عن القاسم بن محمد: سمعت ابن الزُّبير يقول: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وجودهما مختلف؛ أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلىٰ الشيء حتىٰ إذا اجتمع عندها وضعته مواضعه، وأما أسماء فكانت لا تدَّخر شيئًا لغد[٢].

تحدَّث عن أخلاق الصَّحابة من أدركهم وصاحبهم، قال قبيصة بن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صحبت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما رأيت أقرأ لكتاب الله منه، ولا أفقه ولا أحسن مداراة منه، وصحبت طلحة فما رأيت أعطىٰ لجزيل من غير مسألة منه، وصحبت معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما رأيت أحلم منه، وصحبت عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فما رأيت رجلًا أبين - أو قال: أنصع طرفًا - منه، ولا أكرم جليسًا منه، وصحبت المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلو أنَّ مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر؛ لأخرج من أبوابها كلها[٣].

ومن أخلاق الصحابة العليَّة التعفُّف، هاجر عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) محض المرام في فضائل الزُّبير بن العوَّام (ص١٧٠).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٤٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٣، ٧٤).

من مكَّة إلىٰ المدينة، وقطع طمعه عما في أيدي أهل المدينة من الأموال، وقال: دلُّوني علىٰ السُّوق، فدلُّوه، فاتَّجر وصار من أغنياء الصحابة.

وخلق التعفُّف مادَّته من قوَّة التوكُّل علىٰ الله، والرضا عن الله، وقطع الطمع عما في أيدي النَّاس.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فالقلب عبده؛ ولهذا يقال:

(العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع)

وقال القائل:

(أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرًّا)

ويقال: الطمع غلٌّ في العنق، قيد في الرِّجل، فإذا زال الغلُّ من العنق زال القيد من الرِّجل.

ويروىٰ عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قال: الطمع فقر واليأس غنًىٰ، وإن أحدكم إذا يئس من شيء استغنىٰ عنه.

وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه، فإنَّ الأمر الذي ييأس منه لا يطلبه، ولا يطمع فيه ولا يبقىٰ قلبه فقيرًا إليه ولا إلىٰ من يفعله، وأما إذا طمع في أمر من الأمور ورجاه فإنَّ قلبه يتعلق به، فيصير فقيرًا إلىٰ حصوله، وإلىٰ من يظن أنه سبب في حصوله، وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك، قال الخليل ﷺ:

---

(١) العبودية (ص٨١، ٨٢).

﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ١٧].

فالعبد لا بد له من رزق، وهو محتاج إلىٰ ذلك، فإذا طلب رزقه من الله صار عبدًا لله، فقيرًا إليه، وإذا طلبه من مخلوق صار عبدًا لذلك المخلوق، فقيرًا إليه».

ومن المأثور عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في التعفُّف؛ أنَّ رسول الله ﷺ كان يُعطي الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ العطاء، فيقول: أعطه من هو أفقر إليه مني، فيقول له رسول الله ﷺ: «**ما جاءك من هذا المال، وأنت غير مُشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك**»، متفق عليه.

قال العلامة أبو المظفر يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ: **(ت: ٥٦٠هـ)**[(١)]: «في هذا الحديث من الفقه أنَّه لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متهافتين علىٰ الدُّنيا، ولا كانوا يريدون بأعمالهم فيها إلَّا وجه الله عَزَّوَجَلَّ».

وأبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من سادات الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الورع، سأله الأحنف بن قيس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما تقول في العطاء؟ قال: خذه، فإنَّ فيه اليوم معونة، فإذا كان ثمنًا لدينك فدعه[(٢)].

ومكارم أخلاق الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ العظيمة خصوصًا الشجاعة والكرم إذا كانت لله عَزَّوَجَلَّ وفي طاعته، كانت سببًا في صلاح الدين والدُّنيا وإقامتهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[(٣)]: «لما كان صلاح بني آدم لا يتم في

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ١٠٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم (ص٤٠٢، ٤٠٣ –رقم ٢٣٠٧).

(٣) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٣٥٠).

دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بيّن الله سبحانه أنه من تولىٰ عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولىٰ عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ۝٣٨﴾ [سورة محمد: ٣٨]».

ومن أفضل خصال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ التواضع، وهذا من تقواهم وحسن هديهم، قال تعالىٰ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص: ٨٣].

قال زاذان: كان عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يمشي في الأسواق وحده، وهو والٍ يُرشِد الضالَّ، ويُعين الضَّعيف، ويمرّ بالبيَّاع والبقَّال فيفتح عليه القرآن، ويقرأ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ [سورة القصص: ٨٣]، ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة[١].

وكان من أحسن أخلاق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الورع، وهذه الخصلة التي ظهر بها أعظم الفرق بين السلف والخلف.

---

(١) رموز الكنوز (٥/ ٥٨٠).

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: «إنَّكم لتعملون أعمالًا هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدُّها علىٰ عهد رسول الله ﷺ من الموبقات»، رواه البخاري.

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قالت**: كان لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ غلام يخرجُ له الخَراجَ، وكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يأكل من خَراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهَّنْتُ لإنسان في الجاهلية، وما أُحسِنُ الكهانة، إلَّا أني خدعته، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يده فقاء كل شيء في بطنه(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنَّ أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إنَّما قاء لما ثبت عنده من النَّهي عن حلوان الكاهن».

وكل من كان أمكن في الدين والتقوىٰ والبر؛ كان أحسن خلقًا، قال النبي ﷺ «**البر حسن الخلق**»، وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أكمل الناس خلقًا؛ لأنهم أتقىٰ الناس.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»، رواه البخاري في الأدب المفرد(٣).

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «يدخل في هذا المعنىٰ الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بُعث ليتممه ﷺ».

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية (ص ٦٤٤ – رقم ٣٨٤٢).

(٢) فتح الباري (٧/ ١٩٥).

(٣) قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا حديث مدني صحيح». التمهيد (٢/ ٣٣٤).

(٤) التمهيد (٢/ ٣٣٤).

١٢- ما كانوا متكلفين

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لتعظيمهم وإجلالهم لله عَزَّ وَجَلَّ ما كانوا يتكلَّفون في القول على الله بغير علم، ولم يكونوا يخوضون فيما لا يحيطون به علمًا من أمور الغيب التي استأثر الله بعلمها.

وذلك لأنَّ القول على الله بغير علم من أكبر الكبائر، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة الأعراف: ٣٣].

ومنهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ القويم في التورع عن القول على الله بغير علم، والرجوع إلى نصوص القرآن والسنة؛ كان السبب في سلامتهم من التكلف ومن الإحداث في الدين، ومن القول على الله غير الحق.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]: «من عرض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله ﷺ، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ﷺ فليقض بما

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٤١ – رقم ٣٠٣٣)، والدارمي (١/ ٦١)، والنسائي (٨/ ٢٣٠ – رقم ٥٣٩٧)، والحاكم (٣/ ٩٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

قال النسائي: هذا الحديث جيد. السنن (٨/ ٢٣٠).

وقال ابن حجر: موقوف صحيح. موافقة الخبر الخَبر (١/ ١١٩)، وقال ابن مفلح: إسناد جيد. أصول الفقه (١٣/ ١٣١٣).

قضىٰ به الصالحون».

وقال عبد الله بن أبي يزيد: كان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]: إذا سُئل عن الأمر وكان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن فكان عن رسول الله ﷺ أخبره به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فإن لم يكن قال فيه برأيه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن منهج الصحابة العلمي**[(٢)]: «هذا السلوك كان هو سلوك الصحابة والتَّابعين، ومن درج علىٰ آثارهم من الأئمة: أول ما يطلبون النازلة من القرآن، فإن أصابوا حكمها فيه لم يعدوه إلىٰ غيره، وإن لم يصيبوه فيه طلبوها من سنة رسول الله ﷺ، فإن أصابوها لم يعدوها إلىٰ غيرها، وإن لم يصيبوها طلبوها من اتفاق العلماء».

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع ما أوتوه من العلم والزكاء والتقوىٰ؛ يتورَّعون عن الفتوىٰ، كل واحد منهم ودَّ لو أنَّه كُفي بغيره، فلم يكونوا يسارعون إلىٰ الفتوىٰ رياءً ليقال: عالم، مع ما كانوا عليه من الخشية من الخطأ والقول علىٰ الله بغير علم.

قال عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ: أدركت عشرين ومئة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، يُسْأَلُ أحدهم عن المسألة فيردُّها هذا إلىٰ هذا، وهذا إلىٰ هذا، حتىٰ ترجع إلىٰ الأول، ما منهم من أحد إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه الفُتْيا.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتشاورون في العلم طلبًا للصواب.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٤٢)، والدارمي (٦٨)، والحاكم (١/ ١٢٧)، وجوَّد إسناده ابن مفلح في أصول الفقه (٣/ ١٣١٤).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٨٣٤، ٨٣٥).

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كان أصحاب رسول الله ﷺ تصعب عليهم المسائل، ولا يجيب أحدهم في مسألة حتىٰ يأخذ رأي أصحابه، مع ما رُزقوا من السَّداد والتوفيق مع الطَّهارة، فكيف بنا الذين غطَّت الخطايا والذنوب قلوبنا».

ومن حسنت نيَّته ورُزق التَّوفيق من الله طلب العلم النَّافع وهو صراط الله المستقيم واتَّبعه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

فمن ضلَّ عن طلب علم الصراط المستقيم، وضلَّ في طلب جهالات وضلالات السبل؛ هذا من المشاقين لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وهو من المخالفين لسبيل المؤمنين.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أعرف الناس بالله عَزَّوَجَلَّ أتبعهم للطريق الموصل إليه».

وقال الشيخ أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن منهج الصَّحابة**[٣]: «كانوا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ينهون عن التعرض للغوامض، والتعمق في المشكلات، والإمعان في ملابسة المعضلات، والاعتناء بجمع الشبهات، وتكلف الأجوبة عما لم يقع من السؤالات، ويرون صرف العناية إلىٰ الاستحثاث علىٰ البر والتقوىٰ، وكف الأذىٰ، والقيام بالطاعة حسب الاستطاعة.

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٢٨٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٦).

(٣) منازل الأئمَّة الأربعة (ص١٥٤).

وما كانوا ينكفون رضوان الله عليهم أجمعين عما تعرض له المتأخرون عن عي وحصر وتبلد في القرائح - هيهات - كانوا أذكىٰ الناس قرائح وأذهانًا، وأرجحهم إيمانًا، ولكنهم استيقنوا أن اقتحام الشبهات داعية الغوائل وسبل الضلالات، وكانوا يحاذرون في حق عامة المسلمين ما هم الآن به مبتلون، وإليه مدفوعون».

❁ ❁ ❁

١٣- القائمون بأمر الله

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم القائمون بأمر الله؛ ففي الصحيحين من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**لا يزال من أمَّتي أمَّةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله، وهم علىٰ ذلك**».

قال العلامة المحدِّث الفقيه الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «قوله: «قائمة بأمر الله»، أي: متمسكة بدينها، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣]؛ أي: متمسكة بدينها، وهم قوم آمنوا بموسىٰ وعيسىٰ ومحمد عليهم السلام».

وأساس الفضل الذي سبق به الصحابة من بعدهم إقامة الدين، وفضل من بعدهم يُعرف بمقدار ما أقاموه من الدِّين، قال تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «نحن علينا أن نتبع ما أُنزل إلينا من ربنا من الكتاب والحكمة، ونلزم الصِّراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله

---

(١) شرح السنة (١٤/ ٢١٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٥١٤، ٥١٥).

عليهم، من النبيين، والصدِّيقين، والشهداء، والصَّالحين، ونعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرق، ونأمر بما أمر الله به، وهو «المعروف»، وننهىٰ عما نهىٰ عنه وهو «المنكر»، وأن نتحرَّىٰ الإخلاص لله في أعمالنا؛ فإنّ هذا هو دين «الإسلام»، قال الله تعالىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١١٢]».

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أقوم الخلق بدين الله، لكمال توحيدهم وتعظيمهم لله عَزَّ وَجَلَّ، ولكمال اتِّباعهم للنبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتِّباع أمره، وإحياء سنَّته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعث به، والجهاد علىٰ ذلك بالقلب واليد واللسان؛ فإنّ هذه طريقة السَّابقين الأوَّلين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتَّبعوهم بإحسان».

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بهم قام الإسلام وبه قاموا، كان جهادهم وصبرهم علىٰ أذىٰ الكافرين، وصبرهم علىٰ الدَّعوة للإسلام؛ سببًا في ظهور الإسلام.

ومن الصَّحابة من كان إسلامه فتحًا للإسلام والمسلمين، وكان إسلامه سببًا في كفّ أذىٰ المشركين وحماية الإسلام والمسلمين من عدوان الكافرين.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٢).

والإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ والاتِّباع للنبي ﷺ والتوفيق من الله كان سببًا في إقامة

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٠٤، ٤٠٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر (ص ٦٤٨، رقم ٣٨٦٣).

الصَّحابة للدِّين، وأقومهم في ذلك بعد الصديق الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «قد كان لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الباب السياسات المحكمة، ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية، فإنَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الذي استحالت ذنوب الإسلام بيده غربًا، فلم يفر عبقري فريه، حتىٰ صدر الناس بعطن، فأعز الإسلام، وأذل الكفر وأهله، وأقام شعار الدِّين الحنيف، ومنع من كل أمر فيه تذرع إلىٰ نقض عرىٰ الإسلام، مطيعًا في ذلك الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وقَّافًا عند كتاب الله، ممتثلًا لسنة رسول الله ﷺ، محتذيًا حذو صاحبيه، مشاورًا في أموره للسابقين الأوَّلين؛ مثل: عثمان، وعليّ، وطلحة، والزُّبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم، ممن له علم أو فقه، أو رأي، أو نصيحة للإسلام وأهله».

❁ ❁ ❁

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٢٢٤، ٢٢٥).

١٤- الناصحون

كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنصح الخلق في خلوص نياتهم لله، وفي الصدق بالقيام بأمر الله، والنصيحة للخلق.

قال العلامة ابن شيخ الحزاميين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «علامة الصادق إذا توجَّه لله عَزَّوَجَلَّ عليه أمر؛ مثل: صلاة، أو صيام، أو حج، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو غير ذلك من الأوامر أو توجه عليه نهي مثل: غض نظر، أو اجتناب طعام شبهة، أو تعرية سمع عن الفواحش والخنا، أو توجه هو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ابتداءً بعمل من الأعمال المندوبة أو المستحبَّة: أن يبذل في ذلك العمل جهده وطاقته، كما ينصح العبد البارُّ الناصح لسيده إذا بعثه في مُهمٍّ، فإنَّه يجتهد علىٰ أن يأخذ لسيده أحسن الحوائج وأظرفها، وكذلك يكون عند المناهي يبذل جهده وطاقته في التَّوَقِّي عن دقائقها ورقائقها، فهذا الناصح لله عَزَّوَجَلَّ في أعماله، لم يتخلَّف منه في ذلك العمل جهد، بل عمل ذلك العمل لله بجسمه ونفسه وعقله وقلبه وروحه، وهذا الناصح هو الصادق».

وهذه النَّصيحة لله عَزَّوَجَلَّ بطاعته كانت أوضح علامات الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنَّهم تحقَّقوا بالإسلام لله، الذي هو حقيقته الخضوع لله والانقياد له بفعل

(١) مدخل أهل الفقه واللسان إلىٰ ميدان المحبَّة والعرفان (ص٦٦، ٦٧).

أوامره واجتناب نواهيه تعظيمًا لله، وخوفًا ورجاءً له.

وفي غزوة بدر دعا النبي ﷺ على المشركين، ثم استعرض أصحابه المجاهدين، فقالوا له: لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ عليه السلام ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: ٢٤].

ومن النصيحة للمسلمين أن تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولا تبغيهم الشر، ولا الغش، ولا الضرر، ولا الكيد، والظلم، ولا المضارة بدينهم ولا دنياهم، ولا تبغيهم الغوائل.

ومن النصيحة للمسلمين إعانتهم علىٰ الخير، وتذكيرهم به، وتحذيرهم من الشرّ، ونصحهم فيه.

قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أما نصيحة المسلمين، فجماعها إرشادهم إلىٰ مصالحهم من تعليم ما يجهلونه من أمر الدين، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، والترحم علىٰ صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، كما أرشد الله تعالىٰ إليه في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [سورة النحل: ١٢٥]» وهذه الأنواع من النصيحة كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أقوم الخلق بها.

❁ ❁ ❁

---

(١) شرح السنة (١٣/ ٩٥).

١٥- الأمناء

لا تزكية لأمانة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أعظم من تزكية الله لهم في ذلك، حيث جعلهم الله شهداء علىٰ الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

ومن أعظم تزكية الله عَزَّ وَجَلَّ للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في أمانتهم؛ اصطفاء الله لهم للأمانة في حفظ الدِّين وتبليغه للأمة.

فالأمانة في أداء علم الوحي هو أعظم فضائل الصحابة، وهو من خير مناقبهم، وأحسن شمائلهم، حيث حفظوا القرآن والسنة وأدُّوها إلىٰ الأمَّة، فلا يزال الدِّين محفوظًا بأمانة الصَّحابة في أدائه.

وفي الصَّحيحين، واللفظ لمسلم من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ أهل اليمن قدموا علىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: ابعث معنا رجلًا يُعلِّمْنَا السُّنَّة والإسلام، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجَرَّاح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: «**هذا أمين هذه الأمَّة**».

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قال العلماء: الأمانة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -، لكنّ النبيّ ﷺ خصَّ بعضهم بصفات غلبت عليهم، وكانوا بها أخصَّ».

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص١٧٦٥).

والنبيُّ ﷺ في حجَّة الوداع أشهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ أدائه لأمانة تبليغ الدين، وهذه شهادة سيُسأل عن أدائها كل مسلم، لا تختص بعلم وشهادة الصَّحابة، ففي الصحيحين من حديث أسماء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ في خطبة النبي ﷺ بعد صلاة الكسوف أنه قال: «**أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم قريبًا من فتنة المسيح الدجَّال، يُقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدىٰ، فأجبناه واتَّبَعْنَاهُ، وهو محمد، فيقال: نَمْ صالحًا، قد علمنا إن كنت لموقنًا به، وأمَّا المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**».

وكما كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمناء في حفظ ألفاظ القرآن فقد كانوا أمناء في حفظ معانيه من التحريف أو التأويل، فقد أنكر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شرب الخمر علىٰ قدامة بن مظعون متأوِّلًا قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ [سورة المائدة: ٩٣].

والنبيُّ ﷺ أدَّىٰ إلينا الدِّين كاملًا ولم يكتم منه شيئًا، فاحذر أن تستدرك علىٰ من نصح للأمة وتبتدع في دين الله، قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً؛ فقد زعم أنَّ محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا».

ووصف أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من اتخذ العلم غرضًا

(١) الاعتصام (١/ ٦٢).

للدنيا بغير المأمون، وقال عن صفته: يستظهر بحجج الله علىٰ كتابه.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ العالم حقًّا يستظهر بكتاب الله علىٰ كل ما سواه، فيقدِّمه ويحكِّمه ويجعله عيارًا علىٰ غيره، كما جعله الله تعالىٰ كذلك، فالمستظهر به موفق سعيد، والمستظهر عليه مخذول شقي، فمن استظهر علىٰ الشيء فقد جعله خلف ظهره مقدمًا عليه ما استظهره به، وهذا حال من اشتغل بغير كتاب الله عنه، واكتفىٰ بغيره عنه، وقدَّم غيره وأخَّره».

وأساس الأمانة التي ائتمن الله عليها عباده كلمة التَّوحيد، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨]، قال الحافظ أبو المظفر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «أي: حافظون، وقيل: أصل الأمانة أنَّ كلمة التَّوحيد ائتمن الله تعالىٰ المؤمنين عليها».

وأقوم الخلق بحفظ التَّوحيد وتحقيقه هم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، بشهادة الله عَزَّ وَجَلَّ لهم، حيث قال سبحانه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [سورة الفتح: ٢٦].

وأمانة التكليف هي الجامعة لأنواع الأمانات، ولم يقم أحد بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ كما قام به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فالصحابة خير الناس كما قال النبي ﷺ.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٣٩، ١٤٠).

(٢) تفسير القرآن (٥/ ٥٠).

قال العلامة أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الأمانة: كُلُّ ما يوكل إلىٰ الإنسان حفظه، ويُخلَّىٰ بينه وبينه، ومن هنا سُمِّي التكليف أمانة».

وعلماء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ متحققون بمعنىٰ الأمانة، راعون لها.

قال زاذان: قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عدَّدها، وأعظم ذلك الودائع.

قال زاذان: فأتيت البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقلت: ألا ترىٰ إلىٰ ما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ قال: كذا.

قال: صدق، أما سمعت يقول الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [سورة النساء: ٥٨][٢].

وقال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إن الطاعات أمانات عند العباد علىٰ معنىٰ أنها بينهم وبين ربهم أدَّوها أو لم يؤدُّوها».

وسيرة الصحابة في حفظ الأمانة أفصحت عن وفور إيمانهم وتقواهم وورعهم وخشيتهم لله، ورغبتهم في الآخرة، وزهدهم في الدنيا.

قال أبو إسحاق الفزاري[٤] عن ابن عيينة: أُوتي عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بتاج كسرىٰ، فرأىٰ ما فيه، قال: إنَّ الذي أدَّىٰ هذا لأمين، حق أمين، فقال رجل - عليُّ بن أبي

---

(١) المفهم (١/ ٣٥٦).

(٢) رواه ابن أبي الدُّنيا، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناد جيد»، البداية والنهاية (٢٠/ ٣٦).

(٣) تفسير القرآن (٢/ ٢٥٩).

(٤) السير (ص٢٥١).

طالب -: يا أمير المؤمنين، إن شئت حدَّثتك، قال: أجل، قال: أنت أمين الله فيهم، فهم مؤدون إليك ما أدَّيت إلىٰ الله، فإذا رتعت رتعوا، قال: صدقت.

ومن أعظم الأمانات في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أمانة البريد، ولم يكن للناس يومئذ طرق بريدية ووسائل اتصالات كاليوم، كان الولاة يستعملون الأمناء في البريد، وكان البريد فيه أمور عظيمة من عزل الأمراء وتعيينهم، وتسيير الجيوش، وقسمة الأموال، وغيرها.

وكان محمد بن مسلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بريد الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «كان من سادات الصحابة، وكان هو بريد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ عُمَّاله، وهو الذي شاطرهم عن أمره، وله وقائع عظيمة، وصيانة، وأمانة بليغة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

والخلفاء الراشدون كانوا خير أمناء علىٰ بيت مال المسلمين.

وقال الحافظ ابن عبد البرّ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسير في الفيء مسيرة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القسم، وإذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئًا إلا قسمه، ولا يترك في بيت المال منه إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، ويقول: يا دنيا غري غيري. ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء ولا يخص به حميمًا ولا قريبًا ولا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات، وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: قد جاءتكم موعظة من ربكم، فأوفوا الكيل

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٦٢).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٥٣٥، ٥٣٦).

والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظٍ، إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا، حتىٰ نبعث إليك من يستلمه منك، ثم يرفع طرفه إلىٰ السماء فيقول: اللهم إنك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك».

ومن المأثور عن الصحابة في الحث علىٰ الأمانة والتحذير من الغدر والخيانة؛ قول قيس بن سعد بن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المكر والخديعة في النار**»، لكنت من أمكر الناس»، رواه ابن عدي[1].

وإنما حسنت أمانة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لصحيح إيمانهم، فالأمانة سلوك المسلم فيما يأتي ويذر، ويأخذ ويعطي، صدق في الكلام، ووفاء في الوعد، وأمان لمن يعامله أو يجاوره أو يسافر معه أو يزامله، كل ذلك اقتضاه إيمانه، فهو مؤمن.

❁ ❁ ❁

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: «إسناده لا بأس به»، فتح الباري (٤/ ٣٥٦).

١٦- جماعة واحدة

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا جماعة واحدة، ائتلفوا في الولاء لله عَزَّوَجَلَّ والاتباع للرسول ﷺ، فكانوا جماعة واحدة في الخير متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، وكان من أسباب اتفاقهم اعتصامهم بالوحي، فأورثهم ذلك الصواب والائتلاف، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جماعة واحدة تقوم بالدين مع رسول الله ﷺ، يتكاملون في ذلك، لا يتخلفون عن فروض الدين.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن الآية تكون قد اشتملت علىٰ بيان حكم النَّافرين والقاعدين، وعلىٰ بيان اشتراكهم في الجهاد والعلم، فالنَّافرون أهل الجهاد، والقاعدون أهل التَّفَقُّه، والدِّينُ إنَّما يتمُّ بالجهاد والعلم، فإذا اشتغلت طائفة بالجهاد وطائفة بالتَّفَقُّه في الدِّين، ثم يُعَلِّم أهل الفقه المجاهدين إذا رجعوا إليهم؛ حصلت المصلحة بالعلم والجهاد».

فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا جماعة واحدة في عهد النبي ﷺ.

---

(١) بدائع الفوائد (٤/ ١٦٣٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المسلمون كلهم من جنس واحد، كلهم يجاهد في سبيل الله.

ولم يكن من المسلمين البالغين القادرين علىٰ الجهاد إلا مَن يخرج في الغزو، وكلٌّ منهم يغزو بنفسه وماله، أو بما يُعطاه من الصدقات أو الفيء، أو ما يجهزه به غيره».

وظهور الجماعة في ائتلاف الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في صلاتهم المفروضة؛ أمر معلوم، وقد رأىٰ الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تفرقهم في صلاة القيام في رمضان فجمعهم علىٰ إمام واحد.

قال عبد الرحمن بن عبد القاريِّ: خرجت مع عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليلة في رمضان إلىٰ المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرِّقون، يُصلِّي الرَّجُلُ لنفسه، ويصلِّي الرجل فيُصلِّي بصلاته الرَّهْط، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إنِّي أرىٰ لو جمعت هؤلاء علىٰ قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم علىٰ أُبَيِّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم خرجت معه ليلة أخرىٰ، والناس يصلُّون بصلاة قارئهم، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نِعْمَ البدْعَةُ هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوَّلَهُ، رواه البخاري.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جماعة واحدة في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ وولاتهم بالمعروف، كما أمرهم الله في قوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

---

(١) الحسْبَة (ص٩٧).

وقال الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واصفًا ائتلاف الصحابة علىٰ طاعة ولاتهم بالمعروف عندما دخل عليه رهط الشورىٰ الذين جعل فيهم الخلافة بعده: «إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أجد عند الناس شقاقًا»، رواه ابن سعد[١].

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حريصين علىٰ اجتماع الكلمة في الفقه والعلم؛ فإنّ عليّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حرص أن تكون فتاويه وأحكامه جارية علىٰ ما يوافق فقه الخلفاء قبله.

قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اقضوا كما كنتم تقضون، فإنِّي أكره الخلاف، حتىٰ يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي»، رواه البخاري.

قال العلامة أبو المظفر يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٦٠هـ)**[٢]: «قوله: «حتىٰ يكون الناس جماعة»؛ يعني: يكون الناس جماعة، هي التي يشتمل علىٰ قولي وقولهم، وأنّ موافقتي لهم فيما حكموا به يصير إجماعًا مني ومنهم إذ لم يكن يتمُّ الإجماع إلَّا بأن يوافقهم عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ أقضيته».

وكان من حرص الصحابة علىٰ لزوم الجماعة والتحذير من مفارقتها؛ إنكارهم علىٰ من اعتزل منفردًا عنهم.

قال الشّعبي: خرج ناس من أهل الكوفة إلىٰ الجبَّانة يتعبَّدون، واتخذوا مسجدًا، وبنوا بنيانًا، فأتاهم عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقالوا: مرحبًا بك يا أبا

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بإسناد صحيح»، فتح الباري (٧/ ٨٧).

(٢) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (١/ ٢٧١).

عبد الرحمن، لقد سرَّنا أن تزورنا، قال: ما أتيتكم زائرًا، ولست بالذي أترك حتىٰ يُهدم مسجد الجبَّان، إنَّكم لأهدىٰ من أصحاب رسول الله ﷺ؟!

أرأيتم لو أنَّ الناس صنعوا كما صنعتم، من كان يجاهد العدوَّ، ومن كان يأمر بالمعروف، وينهىٰ عن المنكر، ومن كان يقيم الحدود، ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلِّموا من أنتم أعلم منهم، واسترجع، فما برح حتىٰ قلع أبنيتهم وردَّهم(١).

ومن المأثور عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الحث علىٰ لزوم الجماعة؛ قوله: «ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة».

والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وقع بينهم اقتتال في معركة الجمل وصفّين، اشتبه فيه الحق علىٰ الطَّائفتين، وكانت طائفة عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أولىٰ الطائفتين بالحق، والنبي ﷺ أثبت للطائفتين الإسلام مع ما وقع بينهما من الاقتتال، فقال في سبطه الحسن بن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**إنَّ ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين**»، رواه البخاري، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الحجرات: ٩].

وحُقنت دماء المسلمين بالصلح الذي كان سيده الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، واجتمعت كلمة المسلمين كما كانت، وسمىٰ المسلمون تلك السنة بعام الجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «السلف قاتل بعضهم بعضًا من أهل الجمل وصفين، ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ

(١) شرح السنة (١٠/ ٥٤، ٥٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩]، فقد بيّن الله تعالىٰ أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم علىٰ بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل، ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدين، لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض، ويتوارثون، ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك».

وأما مواساة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لبعضهم البعض؛ فهذا لا يلحقهم أحد في فضله، وذلك من أعظم أسبابه تحقيق التوحيد في احتساب الثواب من الله في ذلك، وتحقيق الأخوة في الله، وذلك من أوثق عرىٰ الإيمان، وما كانوا عليه من حسن الأخلاق والسجايا من السخاء، وحسن الثقة بالله في الخلف.

وقد أثنىٰ الله علىٰ الأوس والخزرج أنصار الله لمواساتهم للمهاجرين، وبذلهم أموالهم لهم، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

وروىٰ أحمد من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال المهاجرون: يا رسول الله! ما رأينا مثل قوم قَدِمْنا عليهم، أحسنَ مواساة في قليل، ولا أحسن بذلًا في كثير، لقد كَفَوْنا المُؤْنَةَ، وأشركونا في المَهْنأ، حتىٰ لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: «**لا، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله لهم**».

١٧- الربانيون

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ربانيو هذه الأمة، تربىٰ التَّابعون والأمة كلّها بعلومهم وعقائدهم ونسكهم وأخلاقهم وسمتهم وهديهم.

علماء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم فقهاء الأمة، قال تعالىٰ: ﴿**وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ**﴾ [سورة آل عمران: ٧٩]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كونوا علماء فقهاء»(١).

وقال **العلامة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «قيل: سُمِّي العلماء ربَّانيِّين؛ لأنَّهم يَرُبُّون العلم، أي: يقومون به، يُقال لكل من قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربَّه، يَرُبُّه، فهو رَبٌّ له.

وقيل: سُمُّوا الرَّبَّانيِّين لأنَّهم يُرَبُّون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها».

وقد أخذ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بربانية النبي ﷺ التي أمر بها بالاجتماع علىٰ الحق، وتألف النَّاس علىٰ الإسلام، والأخذ بأيسر الأمور فيما لم يكن إثمًا؛ ففي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيّ ﷺ بعثه ومعاذًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ اليمن، فقال: «**يَسِّرَا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وتطاوعا ولا تختلفا**».

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به.

(٢) شرح السنة (١/ ٢٨٣).

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «في هذا الحديث: الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنهي عن التَّنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلىٰ التبشير.

وفيه: تأليف من قَرُبَ إسلامه وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ ومن تاب من المعاصي، كلهم يتلطف بهم، ويدرجون في أنواع الطاعة قليلًا قليلًا، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف علىٰ التدريج، فمتىٰ يسر علىٰ الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايد منها، ومتىٰ عسرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم أو لا يستحليها.

وفيه: أمر الولاة بالرفق واتفاق المتشاركين في ولاية ونحوها، وهذا من المهمات؛ فإن غالب المصالح لا يتم إلا بالاتفاق، ومتىٰ حصل الاختلاف فات.

وفيه: وصية الإمام الولاة، وإن كانوا أهل فضل وصلاح كمعاذ وأبي موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فإن الذكرىٰ تنفع المؤمنين».

ومن أعظم خصال ربانية الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، قال تعالىٰ في صفة الربانيين: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المائدة: ٦٣].

ومن أعظم خصال ربانيَّة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ تألف النَّاس علىٰ الإسلام، وغرس خصال الخير وعقائد وشرائع الإسلام فيهم بالتعليم والصبر، بما يكون

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص١٣٣٨).

سببًا لهداية الخلق للإسلام.

وهذه الربَّانيَّة تلقَّاها الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من مُعلم الخير محمد ﷺ.

عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**: ما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا علىٰ الإسلام إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلىٰ قومه، فقال: يا قوم! أسلموا، فإنَّ محمدًا يعطي عطاءً لا يخشىٰ الفاقة، رواه البخاري ومسلم.

قال أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن كان الرَّجُلُ ليُسْلِمُ ما يريد إلا الدُّنيا، فما يُسلم حتىٰ يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها، رواه مسلم.

قال العلامة ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «هذا يحض علىٰ تحصيل القلوب بكل ما يستطاع أولًا، وأنَّها إذا حصلت رُجي لها أن تعي الحق، ويعود ما كان نافرًا إلىٰ الطمأنينة وقبول الهدىٰ، وفي هذا الحديث أيضًا نهي عن التنفير عن مقاصد التائبين، والاقتناع منهم بما يظهرونه، ثم التلطُّف في غرس الإخلاص في قلوبهم بالتدريج والتعليم، رجاء أن يصيروا إلىٰ ما يحب المؤمن».

وهذا المنهج الربَّاني هو من اتِّباع المرسلين في الدعوة، قال نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٠-١٣].

قال قتادة رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «علم أنَّ القوم أصحاب دنيا، فحرَّكهم بها ليؤمنوا».

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٣٧).

(٢) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٦/ ٥٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كما أن العقوبات شرعت داعية إلىٰ فعل الواجبات، وترك المحرمات، فقد شُرِع أيضًا كل ما يعين علىٰ ذلك؛ فينبغي تيسير طريق الخير والطاعة، والإعانة عليه والترغيب فيه بكل ممكن؛ مثل أن يبذل لولده أو أهله أو رعيته ما يُرَغِّبهم في العمل الصالح من مال أو ثناء أو غيره.

فإنَّ الله تعالىٰ بعث محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا، وكان يؤلف الناس بالنَّفع والمال علىٰ الإسلام وشرائعه، ويثني علىٰ من أحسن فيه، كما أثنىٰ علىٰ غير واحد من أصحابه، ويدعو أيضًا لمن أتىٰ بما يستحق الدعاء، كما قال الله تعالىٰ له: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، ولهذا قال الفقهاء: ينبغي للإمام إذا قبض الصدقة أن يدعو لمن أعطاها؛ مثل أن يقول: آجرك الله فيما أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت، وجعله لك طهورًا.

وكذلك أيضًا ذكر فضائل الأعمال الصالحة وثوابها ومنفعتها في الدنيا والآخرة، فإنّ الكتاب والسنَّة مملوءة من ذلك، وهذا أنفع في الحقيقة لمن استجاب له من الرهبة بالعقوبة الدُّنيويَّة فقط، وإنَّما يُصار إلىٰ العقوبة الدُّنيوية إذا ظلم الخلق بالنكول عن هذه الطَّريقة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٦].

ولأجل الرغبة في مصالح الدِّين شُرعت المسابقة بالخيل والإبل، والمناضلة بالسِّهام، وأخْذ السَّبَق فيها، لما فيه من الترغيب في إعداد القوَّة ورباط

(١) السِّياسة الشَّرعيَّة (ص١٨١-١٨٣).

الخيل للجهاد في سبيل الله، حتىٰ قال النبي ﷺ فيما رواه أهل السنن: «**لا سبق إلا في خفّ أو حافر أو نصل**»، وكان النَّبيُّ ﷺ يسبِّق بين الخيل هو وخلفاؤه الرَّاشدون، ويخرجون الأسباق من بيت المال للسَّابقين، وكذلك إعطاء المؤلفة قلوبهم».

ومن نماذج تألف النَّاس علىٰ الإسلام؛ عطاء النبي ﷺ لحكيم بن حزام، وكان ذلك سببًا في شدَّة إسلامه وتماسك إيمانه وقوَّة إخلاصه حتىٰ ترك أخذ العطاء تعففًا، أعطاه رسول الله ﷺ في المؤلفة قلوبهم، فقال: يا رسول الله! إن كنت إنَّما أعطيتني استئلافًا علىٰ الإسلام، فقد والله دخل الإسلام قلبي ما دونه شيء، وإن كنت تعطينيه علىٰ غير ذلك آخذ به، ورجوت بركته، فقال النبي ﷺ: «**خذه بارك الله لك فيه**».

❁ ❁ ❁

١٨- خلفاء الرسول ﷺ في أمته

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورثة الرَّسول ﷺ، وخلفاؤه في أمَّته، حازوا بذلك أعلىٰ الدَّرجات عند الله.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «كيف لا يكون أفضل الخلق عند الله من جعلهم وسائط بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته وتعريف أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، ومراضيه ومساخطه، وثوابه وعقابه، وخصَّهم بوحيه، واختصهم بتفضيله، وارتضاهم لرسالته إلىٰ عباده، وجعلهم أزكىٰ العالمين نفوسًا، وأشرفهم أخلاقًا، وأكملهم علومًا وأعمالًا، وأحسنهم خِلْقَة، وأعظمهم محبة وقبولًا في قلوب الناس، وبرأهم من كل وَصْمٍ وكل عيب وكل خلق دنيء؟!

وجعل أشرف مراتب الناس بعدهم مرتبة خلافتهم ونيابتهم في أممهم فإنهم يخلفونهم علىٰ منهاجهم وطريقتهم من نصيحتهم الأمة وإرشادهم الضال وتعليمهم الجاهل ونصرهم المظلوم وأخذهم علىٰ يد الظالم وأمرهم بالمعروف وفعله ونهيهم عن المنكر وتركه، والدعوة إلىٰ الله بالحكمة للمستجيبين، والموعظة الحسنة للمعرضين الغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعارضين».

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٢١٥، ٢١٦).

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خلفوا الرسول ﷺ بالقيام بالوحي الذي أداه إليهم علمًا وعملًا ودعوة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم، وهم القائمون بما بعثوا به علمًا وعملًا ودعوة للخلق إلىٰ الله علىٰ طريقهم ومنهاجهم، وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة، وهي مرتبة الصديقية، ولهذا قرنهم الله تعالىٰ في كتابه بالأنبياء فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩] فجعل درجة الصديقية تلي درجة النبوة، وهؤلاء هم الربانيون وهم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين الرسول ﷺ وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه، وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون علىٰ الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك».

ولقيام الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بواجب حفظ الشرع وتبليغه لم يحتج أن يبعث الله نبيًّا بعد نبينا محمد ﷺ، فكان النبي ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، وكان صحابته هم خلفاء الرسول في أمَّته، يحفظون عليهم دينهم ويؤدونه إليهم ويجددون دعوته.

❁ ❁ ❁

(١) طريق الهجرتين وباب السَّعادتين (٢/ ٧٦٤).

١٩- الطائفة الطيِّبة

الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانت قلوبهم طيِّبة، أوعية خير، آمنت بالوحي، وزكت به، وحفظت علم الوحي، وقامت به وأدَّته إلىٰ النَّاس، فبهم حُفظ الدِّين وعنهم تلقيناه، وبهم قام الإسلام، وأضاءت الدُّنيا بنور الإسلام.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «ذكر النبي ﷺ أقسام الخلائق بالنسبة إلىٰ دعوته وما بعثه الله به من الهدىٰ في قوله ﷺ: «**مثل ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فسقىٰ الناس وزرعوا، وأصاب طائفة أخرىٰ إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به**».

فشبه العلم الذي جاء به بالغيث؛ لأن كلًّا منهما سبب الحياة، فالغيث سبب حياة الأبدان، والعلم سبب حياة القلوب، وشبه القلوب القابلة للعلم بالأرض القابلة للغيث، كما شبَّه سبحانه القلوب بالأودية في قوله تعالىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [سورة الرعد: ١٧].

(١) الرسالة التَّبوكيَّة (ص٦١-٦٣).

وكما أن الأرضين ثلاثة بالنسبة إلىٰ قبول الغيث:

إحداها: أرض زكية قابلة للشرب والنبات، فإذا أصابها الغيث ارتوت منه، ثم أنبتت من كل زوج بهيج، فهذا مثل القلب الزكي الذكي، فهو يقبل العلم بذكائه، ويثمر فيه وجوه الحكم ودين الحق بزكائه، فهو قابل للعلم مثمر لموجبه وفقهه وأسرار معادنه.

والثانية: أرض صلبة قابلة لثبوت الماء فيها وحفظه فهذه ينتفع الناس بورودها والسقي منها والازدراع، وهذا مثل القلب الحافظ للعلم، الذي يحفظه كما سمعه».

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم الطائفة الطيِّبة التي آمنت بالوحي، وأخذت به فزكَّت عقائدها وأقوالها وأعمالها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «من المستقر في أذهان المسلمين أن ورثة الرسل هم الذين قاموا بالدين علمًا وعملًا ودعوةً إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ والرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[(٢)]، فهؤلاء أتباع الرسول حقًّا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكىٰ الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة علىٰ الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص: ٤٥] فالأيدي: القوة في أمر الله، والأبصار:

---

(١) نقض المنطق (ص٧٨-٨٠).

(٢) أي: إلىٰ ما دعا إليه.

البصائر في دين الله، فبالبصائر يُدرَك الحق ويُعرف، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه.

فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين والبصر والتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورزقت فيها فهمًا خاصًّا كما قال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد سُئل: «هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه»، فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الذي أنبتته الأرض الطيبة، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية، وهي التي حفظت النصوص، فكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها بالقبول، واستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها، وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات، ورووها كلٌّ بحسبه، ﴿قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وهؤلاء الذين قال فيهم النبيُّ ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها، فرب حامل فقه وليس بفقيه، ورب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه**». وهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حبر الأمة وترجمان القرآن مقدار ما سمعه من النبي ﷺ لا يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه: «سمعت ورأيت»، وسمع الكثير من الصحابة، وبورك له في فهمه والاستنباط منه حتىٰ ملأ الدنيا علمًا وفقهًا».

وكان من فقه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الفهم لمعاني الوحي؛ استنباط أحكام

السنَّة من معاني القرآن؛ كاستنباط تحريم الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها بالسنة من تحريم الجمع بين الأختين في القرآن، لمعنىٰ تحريم الجمع بين الأختين، وهو خشية قطيعة الرحم.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قضىٰ رسول الله ﷺ بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها، وهذا التحريم مأخوذ من تحريم الجمع بين الأختين، لكن بطريق خفيٍّ، وما حرَّمه رسول الله ﷺ مثل ما حرَّمه الله، ولكن هو مستنبط من دلالة الكتاب.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أحرص شيء علىٰ استنباط أحاديث رسول الله ﷺ من القرآن، ومن ألزم نفسه ذلك، وقرع بابه، ووجَّه قلبه إليه، واعتنىٰ به بفطرة سليمة، وقلب ذكي، رأىٰ السنة كلها تفصيلًا للقرآن وتبيينًا لدلالته وبيانًا لمراد الله منه، وهذا أعلىٰ مراتب العلم».

ومن خيرية الصحابة سلف الأمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ عنايتهم بالفهم لمعاني الشَّريعة، واجتهادهم في استنباط أحكامها، وبذلك حفظوا للأمَّة دينها ودنياها، وهذا مما تحققوا به من معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٣]، فكان ما استجد من المسائل والأحكام الفقهية ردوه إلىٰ معاني الشَّريعة وأفادوا الأمَّة في فقهها، ولم يبتدعوا في دين الله ما لم يأذن به الله، ولم يضاهوا شرع الله بأحكام المخلوقين.

قال الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقد استعمله

---

(١) زاد المعاد (ص٧٨٧).

علىٰ القضاء: «اعرف الأشباه والأمثال، وقِسِ الأمور».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قد مدح الله سبحانه أهل الاستنباط في كتابه، وأخبر أنهم أهل العلم.

ومعلوم أنَّ الاستنباط إنَّما هو استنباط المعاني والعلل، ونسبة بعضها إلىٰ بعض، فيعتبر ما يصحُّ منها بصحة مثله، ومُشبِهه، ونظيره، ويلغي ما لا يصح».

❁ ❁ ❁

(١) إعلام الموقعين (١/ ٤٤٨).

٢٠- حزب الله

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اجتمعوا علىٰ اتِّباع النبي ﷺ في توحيد الله، فكانوا أولياءه علىٰ الحق والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والإسلام، وفي نصرة الحق الذي بُعث به.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٦].

وكانت كلمة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مجتمعة علىٰ اتِّباع النبي ﷺ، وذلك أساس اتِّفاق كلمتهم، وقد آخىٰ النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وائتلفت قلوبهم علىٰ أُخوةِ الإسلام كما أمرهم الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ١٠].

وألَّف الله عَزَّوَجَلَّ بين قلوب الصحابة علىٰ الولاء في الله، والحب والبغض في الله، فحقَّقوا أوثق عرىٰ الإيمان، وعلم الله ما في قلوبهم من صدق الأخوَّة في الله فجمع قلوبهم علىٰ التَّوحيد والإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٦٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، أي: جمعها علىٰ الإيمان بك، وعلىٰ طاعتك، ومناصرتك، ومؤازرتك».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (ص٥٩٧).

والصحابة وآل البيت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا كانوا جماعة واحدة، وكانوا بطانة النبي ﷺ، فالتفريق بينهم وموالاة أحدهم دون الآخر هو داعية الفتنة والشرِّ، فالواجب موالاتهم والترضي عليهم جميعًا.

عن أسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** كان نبي الله ﷺ يأخذني فيقعدني علىٰ فخذه، ويقعد الحسن بن عليّ رضي الله عنهما علىٰ فخذه الأخرىٰ، ثم يضمّنا ثم يقول: «**اللهم إنِّي أحبُّهما فأحبَّهما**»(١).

حزب الله هم من قال الله فيهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، فهم محمد ﷺ وصحبه، كانوا معه علىٰ اتباعه، وكانوا في ذلك عصبة الحق، وحزب الله، وأولياءه، قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ صاروا مع النبي ﷺ في الولاء لله، والبراءة من الشرك والكفر والكافرين، فكانوا جماعة واحدة، وحزبًا لله في موالاته، فبرءوا من الكافرين مع أنهم كانوا: أقوامهم، وعشيرتهم، وذويهم، وقراباتهم، وأهليهم.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٧٦٨ – رقم ١٣٥٢) بإسناد صحيح.

وحزب الله حقًّا وصدقًا هم من اجتمعوا علىٰ الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ واتِّباع الرَّسول ﷺ وموالاة المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٠]، فأول المؤمنين من هذه الأمة هم النبي ﷺ وأصحابه، فمن آمن بالله واتبع النبي ﷺ وتولىٰ الصحابة وعنهم أخذ الدين؛ فهو من حزب الله.

حزب الله هم علىٰ ما عليه النبي ﷺ والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن خالفهم فهو من حزب الضَّلالة.

قال النبي ﷺ: «افترقت اليهود والنَّصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمَّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا ما أنا عليه وأصحابي».

فقول النبي ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابي»؛ هو تبيين للفرقة النَّاجية وحزب الله، فمن اتَّبعهم ووالاهم فهو من حزب الله، من الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

حزب الله هم من اتبع الصَّحابة بإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وقد عاش الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والاتِّباع للنَّبي ﷺ، ففي غزوة أحد حثَّ أنس بن النضر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الصَّحابة علىٰ جهاد الكفَّار حين ظنَّ بعضهم أنَّ النبي ﷺ قُتل، وقال: قوموا فموتوا علىٰ ما مات عليه رسول الله ﷺ.

حزب الله هم فئة النبي ﷺ التي كان يأوي إليها الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في حياته هداية ونصرة وولاءً، وهي الأخذ بسنته بعد وفاته ﷺ.

قال النبي ﷺ: «أنا فئة المسلمين»[(١)].

فكن أيُّها المسلم من حزب الله باتِّباع النبي ﷺ والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وموالاتهم.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ في جانب، فاحذر أن تكون من الجانب الآخر، فإنَّ ذلك يفضي إلىٰ المشاقَّة والمحادَّة، وهذا أصلها، ومنه اشتقاقها، فإنَّ المشاقَّة أن يكون في شقٍّ ومن يخالفه في شقٍّ، والمحادَّة أن يكون في حدٍّ وهو في حدٍّ.

ولا تستسهل هذا؛ فإنَّ مبادئه تَجُرُّ إلىٰ غايته، وقليله يدعو إلىٰ كثيره!

وكن في الجانب الذي فيه الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وإن كان النَّاس كلُّهم في الجانب الآخر، فإنَّ لذلك عواقب هي أحمد العواقب وأفضلها، وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته».

وحزب النبي ﷺ والصَّحابة باقون إلىٰ يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين علىٰ الحقِّ، لا يضرُّهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتىٰ تقوم السَّاعة**»، رواه البخاري ومسلم.

وقال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنَّ آله ﷺ أتباعه إلىٰ يوم القيامة»، رواه البيهقي.

فحزب الله هم أولياء محمد ﷺ في اتِّباعه في شرع الله، فهؤلاء حزب الله وأولياؤه، وهم آل محمد ﷺ.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في التولي يوم الزحف (ص٣٨١، ٣٨٢- رقم ٢٦٤٦)، والترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الفرار من الزحف (ص٤١٠ – رقم ١٧١٦)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) الفوائد (ص١٦٧).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «من كان منهم من أقاربه فهو من أوليائه وآله، من لم يكن منهم من أقربائه فهو من أوليائه لا من آله، فقد يكون الرجل من آله وأوليائه كأهل بيته والمؤمنين به من أقاربه، ولا يكون من آله ولا من أوليائه، وقد يكون من أوليائه وإن لم يكن من آله، كخلفائه في أمته الداعين إلىٰ سنَّته الذابِّين عنه الناصرين لدينه، وإن لم يكن من أقاربه.

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنَّ أوليائي المتقون**»».

❁ ❁ ❁

(١) جلاء الأفهام (ص٣٤٠، ٣٤١).

٢١- الأمة الوسط

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ خيار الأمَّة، وأعدل الخلق، كانوا آخذين بالحنيفية السمحة من غير إفراط ولا تفريط، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «يدل علىٰ وجوب اتباع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، ووجه الاستدلال أنه تعالىٰ أخبر أنَّه جعلهم أمَّة خيارًا عدولًا، هذا حقيقة الوسط، فهم خير الأمم، وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل - عليهم الصلاة والسلام - علىٰ أممهم يوم القيامة، والله تعالىٰ يقبل شهادتهم عليهم، فهم شهداؤه، ولهذا نوه بهم، ورفع ذكرهم، وأثنىٰ عليهم؛ لأنَّه تعالىٰ لما اتخذهم شهداء أعلم خلقه من الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء، وأمر ملائكته أن تصلي عليهم، وتدعو لهم وتستغفر لهم.

والشاهد المقبول عند الله الذي يشهد بعلم وصدق، فيخبر بالحق مستندًا إلىٰ علمه به، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٦] ».

وقال عمير بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممن سبقني منهم، فما رأيت قوْمًا أيسر سيرةً ولا أقَلَّ تشديدًا منهم»(٢).

---

(١) بدائع التفسير (١/ ١٥٨).

(٢) رواه الدارمي (ص١٢٨ – رقم ١٣٦).

وقد امتدح الله وسطية الصحابة فقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ وسطًا في سماع القرآن والمواعظ، يخشعون لذكر الله، وتوجل قلوبهم، ويزداد بذلك إيمانهم، وتطمئن قلوبهم إلىٰ ذكر الله، ولم يكونوا كالمبتدعة الذين تذهب عقولهم ويصيبهم الغشيان، ولم يكونوا من المعرضين عن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ [سورة الأنفال: ٢-٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلىٰ ذكر الله، لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الثَّبات والسُّكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك، ولهذا فازوا بالقدح المعلىٰ في الدنيا والآخرة».

وسيرة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ مرضية في التيسير في غير الإثم، قال البخاري

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٩٤).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كانت الأئمة بعد النبيِّ ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السُّنَّة لم يتعدَّوْه إلىٰ غيره اقتداءً بالنبي ﷺ».

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتناصحون بينهم بالوسطية، فقد رأىٰ سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عزوفًا عن زوجه وإقبالًا شديدًا علىٰ طاعة ربه، فقال له: «إنَّ لنفسك عليك حقًّا، ولربك عليك حقًّا، ولضيفك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه»[(٢)].

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم الأمة الوسط، لأنَّهم اهتدوا بالقرآن والسُّنَّة، ولم تتجار بهم الأهواء، ومن كان متَّبعًا لهدىٰ الله كان وسطيًّا بلا إفراط ولا تفريط.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إنَّ ما بعث الله عَزَّ وَجَلَّ به رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة هو هدىٰ الله الذي جاء من عند الله، وبه يُعرف سبيله، وهو حجَّته علىٰ عباده».

وقال شيخ الإسلام[(٤)]: «إنَّ عامة ما عند السَّلف من العلم والإيمان؛ هو ما استفادوه من نبيهم ﷺ، الذي أخرجهم الله به من الظُّلمات إلىٰ النور، وهداهم به إلىٰ صراط العزيز الحميد».

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (ص١٢٦٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم علىٰ أخيه ليفطر في التطوع (ص٣١٦ – رقم ١٩٦٨).

(٣) نقض المنطق (ص١٣٨، ١٣٩).

(٤) نقض المنطق (ص١٣٠).

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذوا بوصية النبي ﷺ في التيسير، فقد بعث النبي ﷺ معاذًا وأبا موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ اليمن وقال لهما: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا**» متَّفق عليه.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان فيهم انبساط في أوقات السعة والراحة وإجمام النفس، لكنّهم في أوقات الجد رجال.

قال بكر بن عبد الله: كان أصحاب النبيِّ ﷺ يتبادحون بالبطِّيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرِّجال[(١)].

ومن المأثور عن الصحابة في الوسطية قول الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يكن حبك كلفًا، ولا بغضك تلفًا»[(٢)].

وهذا لا شك أنَّه خرج من مشكاة النبوَّة حيث قال النبي ﷺ: «**أحبب حبيبك هونًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما**»، رواه أحمد وهو حديث حسن.

ومن المأثور عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الوسطية في أمور الدنيا؛ قول حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)]: «ليس خياركم من ترك الدُّنيا للآخرة، ولا من ترك الآخرة للدُّنيا، ولكن خياركم من أخذ من كلٍّ».

ومن المأثور عن علماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحث علىٰ الوسطية في العبادات والطَّاعات؛ قول أبيِّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)]: «احرصوا أن تكون

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٤٠-رقم ٢٦٦)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢/ ٧٤٤ - رقم ١٣٢٢)، وصححه العلامة الألباني.

(٣) شرح السنة (١٤/ ٢٩١).

(٤) التُّحفة العراقية في الأعمال القلبيَّة، لشيخ الإسلام (ص٤٣٥).

أعمالكم إن كانت اقتصادًا أو اجتهادًا علىٰ منهاج الأنبياء وسنتهم».

وهذه وصية كل علماء الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الحث علىٰ لزوم السنَّة في الأعمال؛ لأنَّ العمل المبتدع مردود، والمبتدع آثم لتعبُّده بخلاف الشَّرع، والبدعة تُبعده من الله لا تقرِّبه إليه.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «القَصْدُ في السنَّةِ؛ خير من الاجتهاد في البدعة»، رواه الدَّارمي.

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «عليك بتقوىٰ الله، والاستقامة، اتَّبع ولا تَبْتَدع»، رواه الدارمي.

وقال أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «اقتصاد في السُّنَّة؛ خيرٌ من اجتهاد في بدعة»[(١)].

وقال الأوزاعي رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «خمس كان عليه أصحاب النبيِّ ﷺ: لزوم الجماعة، واتِّباع السُّنَّة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، وجهاد في سبيل الله».

❁ ❁ ❁

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (ص٤١).

(٢) شرح السنة (١/ ٢٠٩).

٢٢- المعيار على الإسلام

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ارتضاهم الله معيارًا على الإسلام، قال الله عَزَّ وَجَلَّ للمنافقين: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٥].

وكان النبيُّ ﷺ إذا بعث جيشًا أَمَّر عليهم أميرًا، وقال: «**إذا لقيت عدوًّا من المشركين فادعهم إلىٰ ثلاث خلال: ادعهم إلىٰ الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلىٰ التحول من دارهم إلىٰ دار المهاجرين، وأخبرهم أَنَّهم إن فعلوا أنَّ لهم ما للمهاجرين وأنَّ عليهم ما عليهم، فإن اختاروا المقام في دارهم فاعلمهم أَنَّهم كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله كما يجري على المسلمين، وليس لهم في الفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن لم يجيبوك إلىٰ الإسلام فادعهم إلىٰ أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن فعلوا فاقبل منهم ودعهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم**»، رواه مسلم من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه.

فقد جعل النبي ﷺ الانحياز إلىٰ فئة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والجهاد معهم معيارًا للزوم جماعة المسلمين.

وقوله ﷺ: «أنَّ لهم ما للمهاجرين، وأنَّ عليهم ما عليهم»؛ لا يدلُّ علىٰ اختصاص المهاجرين من الصَّحابة بهذا المعيار، فالأنصار من الصَّحابة كذلك جعلهم الله أعلامًا علىٰ الإسلام والإيمان، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ

وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [الحشر: ٩]، وقال النبي ﷺ في الأنصار: «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق**»، رواه مسلم.

والذي يدلُّ علىٰ أنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ معيار علىٰ الإسلام؛ أن الله جعل من آمن بالله وهاجر وجاهد معهم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ من فئة المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾ [سورة الأنفال: ٧٥].

والله عَزَّوَجَلَّ جعل لمز الصَّحابة نفاقًا، وصار ذلك معيارًا فيمن لمز المؤمنين؛ لأنَّ الصحابة سلف المؤمنين، وأوَّل الأمة إيمانًا.

قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩ ﴾ [التوبة: ٧٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «إنَّ النبيَّ ﷺ لما حضَّ علىٰ الإنفاق عام تبوك جاء بعض الصحابة بصُرَّة كادت يده تعجز من حملها، فقالوا: هذا مراء، وجاء بعضهم بصاع، فقالوا: لقد كان الله غنيًّا عن صاع فلان، فلمزوا هذا وهذا، فأنزل الله ذلك.

وصار عبرة فيمن يلمز المؤمنين المطيعين لله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ».

وخاطب الله أهل الملل بأنَّهم إن آمنوا بمثل ما آمن به النبيُّ ﷺ والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ فقد اهتدوا قال تعالىٰ: ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وهذا غاية في تزكية إيمان الصحابة، فقد جعل الائتمام بهم

(١) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٤٣٢).

واتِّباعهم علامة فارقة بين المؤمنين والكافرين، والمهتدين والضالين.

قال شيخنا العلامة المجدِّد محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ ما خالف ما عليه النبيُّ ﷺ فهو ضلال؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علَّق الاهتداء بأن يؤمنوا بمثل ما آمن به الرسول ﷺ وأمَّته».

والذي يدلُّ علىٰ أنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معيار علىٰ الإسلام؛ هو أمر الله للمنافقين بأن يصدقوا في إيمانهم، وأن يكون إيمانهم كإيمان الصحابة صادقًا وعن تحقيق لاعتقادهم بألوهية الله وما بعث به رسوله ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يقول الله تعالىٰ: وإذا قيل للمنافقين ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾، أي: كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والجنة والنَّار، وغير ذلك، مما أخبر المؤمنين به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر، وترك الزواجر ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعنون - لعنهم الله - أصحاب رسول الله ﷺ، قاله أبو العالية والسُّدِّي في «تفسيره» بسنده، عن ابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

نعم كان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ معيارًا علىٰ الإسلام، فقد كان المنافقون في تردد أحوالهم وتلون مواقفهم يقسمون بالأيمان الكاذبة أنَّهم مع الصَّحابة، قال

---

(١) تفسير سورة البقرة (٢/ ٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٨٦).

تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥٣].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطَّبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يقول المؤمنون تعَجُّبًا منهم ومن نفاقهم وكذبهم واجترائهم علىٰ الله في أيمانهم الكاذبة بالله: أهؤلاء الذين أقسموا لنا بالله إنَّهم لمعنا وهم كاذبون في أيمانهم لنا».

وقال الطَّبري[٢]: «﴿فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾ يقول: فأصبح هؤلاء المنافقون عند مجيء أمر الله بإدالة المؤمنين علىٰ أهل الكفر قد وُكِسوا في شرائهم الدُّنيا بالآخرة، وخابت صفقتهم وهلكوا».

والله عَزَّوَجَلَّ جعل رضاه وبلوغ جنته في اتِّباع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بإحسان، وأي دلالة أعظم من هذه علىٰ أنَّ الصحابة معيار علىٰ الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «رضي عن السَّابقين مطلقًا، ورضي عمن اتَّبعهم بإحسان، وذلك متناول لكل من اتَّبعهم إلىٰ يوم القيامة، كما ذكر

---

(١) جامع البيان (٨/ ٥١٥).

(٢) جامع البيان (٨/ ٥١٧).

(٣) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٤٤٠).

ذلك أهل العلم.

قال ابن أبي حاتم: قرئ علىٰ يونس بن عبد الأعلىٰ، أنا ابن وهب، حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، قال: من بقي من أهل الإسلام إلىٰ أن تقوم الساعة».

❁ ❁ ❁

٢٣- التائبون

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خير خلق الله، ذكر الله ذنوبهم في القرآن ليبيِّن لنا طبيعتنا البشرية: «**كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوَّابون**»، وليبيِّن لنا السَّبيل إليه بالفرار منه إليه.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ الله تعالىٰ لم يذكر ذنوب الأنبياء في القرآن ليعيِّرهم بها، ولكن ذكرها ليبيِّن موقع النعمة عليهم بالعفو، ولئلَّا ييأس أحد من رحمته».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ليست التوبة نقصًا، بل هي من أفضل الكمالات، وهي واجبة علىٰ جميع الخلق».

وما وقع من بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في غزوة أحد من المخالفة لأمر رسول الله ﷺ بترك جبل الرُّماة، وكان سببًا في ظهور الكافرين علىٰ المؤمنين بعد أن كان النصر لهم، أصابهم بسببه همٌّ وغمٌّ من تلك المعصية، واستعتبهم الله، فتابوا. وكذلك من تولىٰ عن القتال من المؤمنين تاب الله عليهم، قال

---

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٣/ ٢٢).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٤٥٤).

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٥].

وكان من حكمة الله في المعصية التي ترتبت عليها الهزيمة؛ تعريف الصحابة والمسلمين بعدهم سوء عاقبة المعصية، وإظهار سنة الله في خلقه بمداولة الأيام بين المسلمين والكافرين، وظهور المنافقين، وانقسام النَّاس إلىٰ مؤمن، وكافر مظهر كفره، ومنافق مبطن كفره مظهر إسلامه، واستخراج عبودية خلقه في السرَّاء والضرَّاء، وليتخذ من اصطفىٰ الله من عباده شهداء، وليُهلك الله الكافرين بظلمهم(١).

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤١].

ومن حكمة الله في ابتلاء صفوة خلقه من رسله وعباده بالذنوب ما تؤول إليه أحوالهم بعد التوبة، فإنَّهم يكونون بذلك أكمل من حالهم قبل الذنب.

وسيرة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ معلومة في المبادرة إلىٰ التوبة بعد وقوع الذَّنب، والتَّائب من الذنب كمن لا ذنب له، بل يُبدِّل الله سيئات المذنب حسنات.

ومن أمثلة ونماذج ما هو معلوم عن الصَّحابة من التوبة إلىٰ الله، حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «كنت أضرب غلامًا لي، فسمعت من خلفي صوتًا: «**أعلم أبا مسعود أنَّ الله أقدر عليك منك عليه**»، فالتفتُّ فإذا هو النبي ﷺ،

(١) زاد المعاد (ص٤٠١، ٤٠٢).

فقلت: يا رسول الله! هو حرٌّ لوجه الله، قال: «**أما إنَّك لو لم تفعل للفحتك النَّارُ - أو: لمَسَّتْك النَّارُ -**»، متفق عليه.

ومن عرف سيرة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وما كانوا عليه من إقامة الإسلام والمسارعة للخيرات والتَّوبة من الزلَّات لم يبق في قلبه غلٌّ لهم، بل كان من أوليائهم، يعتقد موالاتهم دين.

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أرجو لمن سلم عليه أصحاب النبي ﷺ الفوز غدًا لمن أحبهم، لأنَّهم كانوا عمادًا للدين، وقادة للإسلام، وأعوان رسول الله ﷺ وأنصاره، ووزراءه على الحق، واتِّباع أصحاب رسول الله ﷺ هي السنَّة، ولا يذكرون إلا بخير، ويترحم على أوَّلهم وآخرهم».

وما وقع من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من القتال في الجمل وصفِّين، غُلبوا عليه، فقتلة عثمان سعوا في اقتتال الفئتين خشية أن يصطلح الجميع فيقتصوا منهم.

وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نفسه كره القتال في معركة الجمل، قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يوم الجمل[٢]: «وددت أنِّي متُّ قبل هذا بعشرين سنة».

وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ندمت على مسيرها إلى البصرة، وقالت: «**ما ظننت أن الأمر سيبلغ ما بلغ**».

وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد معركة الجمل، قام بإزالة الشحناء من قلوب عموم المؤمنين، وقال[٣]: «إنِّي لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزُّبير ممن قال الله:

(١) السنَّة للخلال (١/ ٤٨٢).

(٢) رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٥٦٦) بإسناد صحيح.

(٣) فضائل الصحابة، للإمام أحمد (٢/ ٩٣٢).

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [سورة الحجر: ٤٧]».

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ما يقع من صالحي البشر من الزلَّات والهفوات، ترفع لهم به الدرجات، وتبدَّل لهم السيِّئات حسنات، فإنَّ الله يحب التوَّابين ويحب المتطهِّرين.

ومنهم من يعمل سيئة تكون سبب دخول الجنة.

ولو لم يكن العفو أحب إليه لما ابتلىٰ بالذنب أكرم الخلق عليه، وكذلك فرحه بتوبة عبيده، وضحكه من علم العبد أنَّه لا يغفر الذنوب إلا الله، فافهم هذا فإنَّه من أسرار الربوبية، وبه ينكشف سبب مواقعة المقربين الذنوب».

والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، قال تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة: ١١٩]، وهذا دالٌّ علىٰ أنَّه مغفورة ذنوبهم، ويوافونه بأسباب رضاه، فلا يميل أحد عليهم بالسبِّ إلا وهو مكذِّب أو جاهل بخبر الله عن رضاه عنهم وشهادته لهم بالجنَّة.

وكانت أم المؤمنين تُذكِّر بالحق الواجب للصَّحابة بالاستغفار لهم وتحذر من ظلمهم وأذيَّتهم وسبِّهم، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا: «أُمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم»، رواه مسلم[٢].

ومذهب سادات آل البيت العلماء كمذهب علماء الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، كلُّهم يذكرون الصَّحابة بالجميل، ويستغفرون لهم، ويعرفون لهم فضلهم، وحقَّ صحبتهم لرسول الله ﷺ.

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٧٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب التَّفسير، باب في تفسير آيات متفرِّقة (ص١٣٠٧ – رقم ٧٥٣٩).

قال مجاهد عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لا تسبوا أصحاب محمد، فإنَّ الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنَّهم سيقتتلون»، رواه أحمد.

فالواجب علىٰ المسلم نحو الصَّحابة وعموم المسلمين الاستغفار لهم، قال تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [سورة محمد: ١٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «الكلام فيما وقع بين الصَّحابة، المعنىٰ المقتضي لذلك يَعُمُّ الصحابة وسائر طبقات الأمَّة، إذ كل طبقة متأخِّرة ينبغي أن تستعمل من الطبقة المتقدِّمة معنىٰ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]».

وما وقع بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ من الخلاف والقتال أصلحه الله بالحسن بن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال فيه النبي ﷺ: «**إنَّ ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين**»، رواه البخاري.

فبعد الإصلاح الذي قضاه الله كونًا وشرعًا، لا يحل لأحد أن يستطيل علىٰ من سبق، بل الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم.

والقتال الذي وقع بين معاوية وعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، كل فريق معه حق، معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ طالب بالقصاص من قتلة ابن عمِّه عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو وليُّ دمه، وعليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أولىٰ بالحق، وكان غير قادر علىٰ القصاص من قتلة عثمان،

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية (ص١٦١).

لأنَّهم كانوا في عسكره، وكانت لهم شوكة.

قال الحافظ النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «اعلم أنَّ الدماء التي جرت بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظنِّ بهم، والإمساك عمَّا شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنَّهم مجتهدون متأوِّلون، لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنَّه المحقُّ، ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلىٰ أمر الله. وكان بعضهم مصيبًا، وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ؛ لأنَّه اجتهد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو المحقَّ المصيب في تلك الحروب. هذا مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتىٰ إنَّ جماعة من الصحابة تحيَّروا فيها فاعتزلوا الطَّائفتين، ولم يقاتلوا، ولم يتيقَّنوا الصَّواب».

وسابقة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالإسلام، وجهادهم في سبيل الله، ونصرتهم لله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ، وحفظهم للدِّين وأدائه للأمة كلها، وبذلهم أموالهم في سبيل الله، وحسناتهم العظيمة التي لا يقدر قدرها إلا الله، كلها كفارات لذنوبهم، فإنهم أجابوا داعي الله واستجابوا له، فأجابهم الله بما وعدهم.

قال تعالىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (ص١٦٧٥).

وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٣-١٩٥].

والواجب علىٰ المسلم الأخذ بوصية النبي ﷺ في معاملة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حيث قال: «**اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**».

وقال شهاب بن خراش رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أدركت من أدركت من صدر هذه الأمَّة، وهم يقولون: اذكروا مجلس أصحاب رسول الله ﷺ ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرِّشوا عليهم الناس».

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «الإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلىٰ أجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين المتَّبعين لهم بإحسان، الذين مدحهم الله تعالىٰ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]، مع ما أمر به النبي ﷺ بإكرام أصحابه وأوصىٰ بحقهم وصيانتهم وإجلالهم».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما شجر بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من خلاف وقتال(٣): «إنِّي لست من حربهم في شيء».

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨٥).

(٢) الإمامة (ص٣٧٣).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٤٤٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل نزر، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة والنُّصرة، والعلم النافع والعمل الصَّالح».

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥).

٢٤- المحفوظون

من أعظم فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حفظ الله لهم هدايةً ونصرًا ورزقًا وتدبيرًا، وكفايتهم من أنواع الشُّرور، والعناية بأحوالهم بتثبيتهم على الصبر على الإسلام والجهاد في سبيل الله، وتبليغ دين الله إلى الخلق جميعًا. فالصَّحابة أسلموا وكانوا قلَّة، فرماهم الكفَّار عن قوسٍ واحدةٍ، وأصابت الصحابة الضرَّاء وأذى القريب والبعيد، ولم يزالوا صابرين على أمر الله محتسبين، وكلما أحاطت بهم الخطوب واشتدَّ بهم أذى الكفَّار ثبَّتهم الله بالوحي الذي جاء بتأييدهم على مواقفهم، وتقوية قلوبهم في جهاد الكفار، ومن أعظم تلك المقامات تثبيتًا على الإسلام واستعتابًا لأسباب ظهور الكفَّار، وحثًّا على النهوض من تلك الكبوة، وهداية لأسباب تأييد الله ونصره؛ ما جاء من الوحي في غزوة أحد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٩]، قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُعزِّي أصحاب محمد ﷺ كما تسمعون، ويحثُّهم على قتال عدوِّهم، وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوِّهم، وفي سبيل الله»(١).

وفي الحديبية بايع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ النبيَّ ﷺ على الجهاد، وصدَّ المشركون

(١) تفسير ابن المنذر (١/ ٣٩٢).

النبي ﷺ والصحابة عن العمرة، وأجابهم النبي ﷺ إلىٰ ذلك علىٰ أن يعتمر في السَّنة التالية، ورأىٰ الصحابة في ذلك غضاضة، لكنَّهم انقادوا إلىٰ أمر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وثبَّتهم الله في هذا الموقف بما ألقاه في قلوبهم من الطمأنينة لحكم الله، وكان القرآن الذي أوحي إلىٰ النبي ﷺ بشارة لهم بما يكون لهم من العز والنصر في المستقبل.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ثم أخبرهم بأنه هو الذي أرسل رسوله ﷺ بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدِّين كلِّه، فقد تكفَّل الله لهذا الأمر بالتَّمام والإظهار علىٰ جميع أديان أهل الأرض، ففي هذا تقوية لقلوبهم، وبشارة لهم وتثبيت، وأن يكونوا علىٰ ثقة من هذا الوعد الذي لابُدَّ أن ينجزه، فلا تظنوا أنَّ ما وقع من الإغماض والقهر يوم الحديبية نصرة لعدوِّه، ولا تخليًا عن رسوله ﷺ ودينه، كيف وقد أرسله بدينه الحقِّ ووعده أن يظهره علىٰ كل دين سواه».

ومن تثبيت الله عَزَّوَجَلَّ للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حثُّهم علىٰ تجديد الإيمان وزيادته والتزوُّد من التقوىٰ وملازمة السير إلىٰ الله.

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحديد: ١٦] إلَّا أربع سنين، رواه مسلم.

۞ ۞ ۞

(١) زاد المعاد (ص٤٣٩).

٢٥ - شهادة الوحي لهم بصريح الإيمان

من أعظم فضائل الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ، إن لم يكن أفضلها على الإطلاق، شهادة النبي ﷺ لهم بصريح الإيمان، وهي شهادة من لا ينطق عن الهوىٰ.

وهذه الفضيلة هي الأساس لقبول الأعمال، وهي الموجبة لدخول الجنة.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء أناس من الصحابة ﷺ إلىٰ النبيِّ ﷺ فسألوه: إنَّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن نتكلم به، قال: «**وقد وجدتموه؟** » قالوا: نعم، قال: «**ذاك صريح الإيمان**»، رواه البخاري ومسلم.

قال العلامة أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «قوله ﷺ: «**ذاك صريح الإيمان**»، معناه: أنَّ صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم، والتصديق به، وليس معناه أنَّ الوسوسة نفسها صريح الإيمان، وذلك أنَّها إنَّما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيمانًا صريحًا».

والله تعالىٰ شهد للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ بالإيمان، وهي شهادة محفوظة، قرآن يتلوه المسلمون ليغرس في قلوبهم العلم بإيمان الصحابة، وليوجب علىٰ كل مسلم موالاتهم، وأداء شهادة الله لهم بالإيمان للخلق كافة.

---

(١) شرح السنة (١/ ١١٠).

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهذه أعظم تزكية لمن مات من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وقد كان يصلي إلىٰ جهة بيت المقدس قبل أن يدركوا نسخ ذلك بالتوجه إلىٰ جهة الكعبة.

وفيه تزكية للصحابة الصَّادقين بأن يحفظ الله عليهم إيمانهم وإن حصل نسخ في بعض أحكام الشَّريعة.

وكان النبي ﷺ شاهدًا لشهداء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، في حضرته، وتلك شهادة بمنازلهم التي يصيرون إليها في الآخرة، شهادة من لا ينطق عن الهوىٰ، ومن وافقه الوحي، ولم ينكره عليه.

عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** كان رسول الله ﷺ يجمع بين الرَّجلين من قتلىٰ أحد في ثوب، ثم يقول: «**أيُّهم أكثر أخذًا للقرآن؟**» فإذا أشير له إلىٰ أحدهما قدَّمه في اللَّحد، وقال: «**أنا شهيد علىٰ هؤلاء يوم القيامة**»، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم»، رواه البخاري.

قال العلامة ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «المعنىٰ: أنا شهيد فعيل بمعنىٰ فاعل شاهد.

والذي أراه أنَّه دلَّ بهذا الكلام علىٰ أنَّ الشهداء في وقته وبحضرته فوق الشهداء بعد ذلك».

وقد شهد النبي ﷺ لأعيان الصحابة بالإيمان، من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم، رأيت الناس يُعرضون**

---

(١) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (٨/ ٣٤٥).

وعليهم قمص، منها ما يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومَرَّ عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **وعليه قميص يجرُّهُ»**، قالوا: ماذا أَوَّلْتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الدِّين**»، رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «قال أهل العبارة: القميص في النَّوم معناه: الدِّين، وجرُّه يدل علىٰ بقاء آثاره الجميلة، وسننه الحسنة في المسلمين بعد وفاته ليقتدىٰ به».

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: رأيت في المنام كأنَّ في يدي قطعة إستبرق، وليس مكان أُريد من الجنة إلا طارت إليه، فقصصْتُهُ علىٰ حفصة، فقصَّتْهُ حفصة علىٰ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**أرىٰ عبد الله رجلًا صالحًا**».

❁ ❁ ❁

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص١٧٤٩).

٢٦- الدعاة إلى الله

من آمن بالنبيِّ ﷺ من الصَّحابة دعا قومه وعشيرته، ومن حوله إلىٰ الإسلام، رغبة فيما عند الله من الثَّواب، ورحمة بالمخلوقين لعتق رقابهم من النَّار، وسعيًا في أن تكون كلمة الله هي العليا، ودفعًا لفساد الشِّرك والكفر بتكثير سواد الحقِّ.

وقد أثنىٰ الله علىٰ دعاة الخير من هذه الأمَّة، وأوَّل من شملهم هذا الثَّناء من هذه الأمة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(١): « ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ٥]، قال الضحَّاك: هم خاصَّة الصحابة، وخاصَّةُ الرُّواة، يعني: المجاهدين والعلماء».

والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اهتدوا بنبيِّهم ﷺ في الدَّعوة إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ من أوَّل ما أوحي إليه الأمر بالدَّعوة وإبلاغ الدِّين، حيث قال الله له: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [سورة المدثر: ١-٢].

وابتدأت الدعوة من بيت النبوَّة، فإنَّ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أول من آمن به من النِّساء، وذهبت به إلىٰ ورقة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان ذلك سببًا في إسلامه، وفي

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٤٥).

شرح ورقة بن نوفل للوحي الذي رآه النبي ﷺ.

وممن ابتدأهم النبي ﷺ بالدَّعوة عمه أبا طالب، حيث قال له: «**أنت أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلىٰ الهدىٰ، وأحقُّ من أجابني إليه وأعانني عليه**»، فقال أبو طالب: أيّ ابن أخي! إنِّي لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت[1].

وقد قام بالتَّبليغ عن الرَّسول ﷺ كل من سمع منه من أزواجه ومواليه وخدمه وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا يدلُّ علىٰ تلازم تبليغ المرسل إليهم ما دعاهم وبلَّغهم الرسول لهم.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٦].

قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «"مُرْسَل": بالفتح: فهو الذي ابتعثه الله تعالىٰ برسالته إلىٰ الخلق كافَّة، ويقال له: "المُرسِل"، بكسر العين، لأنَّه لا يعمّ بالتبليغ مشافهة، فلم يكن بدٌّ من الرسل يقولون عنه ويبلِّغون كما بلَّغ عن ربِّه، قال النبيُّ ﷺ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «**تسمعون ويُسمع منكم، ويُسمع ممن يسمع منكم**».

قال ابن العربي في «شرح الترمذي» وقال في «أحكام القرآن» في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٤]، في هذا مسألة بديعة، وهي: أنَّ الله تعالىٰ أمر نبيه ﷺ بتبليغ ما أُنزل عليه من القرآن

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام (١/ ٢٨٣).

(٢) جامع الآثار في السِّير ومولد المختار (٣/ ١٦٢).

وتعليم ما علمه من الدين، فكان إذا قرأه علىٰ واحد أو ما اتفق سقط عنه الفرض، وعلىٰ من سمعه أن يبلغه إلىٰ غيره، وليس يلزم ﷺ أن يذكره لجميع الصَّحابة».

والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من حين يُسلم الواحد منهم يدعو النَّاس خصوصًا قومه وأصدقاءه إلىٰ الإسلام، عبودية وطاعة لله، ورغبة في إيصال الخير للناس.

فأبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من أسلم من الرِّجال دعا من حوله وأصدقاءه بمكة إلىٰ الإسلام فأسلم علىٰ يديه ستة من العشرة المبشرين بالجنة.

وأسلم بدعوة أبي بكر خلق كثير، قال ابن إسحاق: كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا مَأْلفًا لقومه، محبَّبًا سهلًا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلًا تاجرًا، ذا خُلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلىٰ الله وإلىٰ الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه[(١)].

وكان من أوَّل من أسلم بمكة سعيد بن زيد العدوي وزوجه فاطمة بنت الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان إسلامهما سببًا في إسلام الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، رواه البخاري.

ومن جاء من المدنيين إلىٰ الحجِّ، ووافىٰ النبي ﷺ بالعقبة وأسلم، عاد إلىٰ المدينة ودعا قومه للإسلام حتىٰ أسلم عامة النَّاس بالمدينة.

والنَّفر الذين لقيهم رسول الله ﷺ عند العقبة في موسم الحج كلُّهم من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك،

---

(١) السيرة النبويَّة لابن هشام (١/ ٢٨٥).

وقطبة بن عامر بن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رئاب، وعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)].

قال الحافظ ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «وانصرفوا إلىٰ المدينة، فدعوا إلىٰ الإسلام، حتىٰ فشا فيهم، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ».

وبعد قيام الإسلام بالمدينة، قويت شوكة المسلمين، وكان جهادهم للكفار من أسباب تبليغ الدعوة والدِّين.

وبعد صلح الحديبية كانت هذه الهدنة وخلطة المسلمين بالكافرين سببًا في إسلام من كتب الله له الهداية من الكافرين.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: «إنَّ هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح، فإنَّ النَّاس أَمِنَ بعضهم بعضًا، واختلط المسلمون بالكفَّار، وبادؤوهم بالدَّعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم علىٰ الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان مختفيًا بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا سمَّاه الله ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [سورة الفتح: ١]».

وبعث النبيُّ ﷺ عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ خيبر، وقال: «**ادعهم إلىٰ الإسلام**»، وذكر له فضل هداية الناس للإسلام فقال: «**لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من حمر النَّعم**»، رواه البخاري ومسلم.

وبعد فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجًا.

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص٦٧).

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير (ص٦٨).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٣٦٧).

٢٧- بلوغ فضلهم مستحيل

من أعظم فضائل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علوُّ مرتبتهم، فلا يبلغ أحد رتبتهم مهما عمل من خير، ففضلهم لا يُلحق.

وبعض من تأخر إسلامه من الصَّحابة وقعت بينه وبين أحد السَّابقين الأوَّلين كعبد الرحمن بن عوف خصومة وعدوان باللسان، فقال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»، رواه البخاري ومسلم.

قال العلامة ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «في هذا الحديث ما يدل على تشديد التحريم لنيل الصحابة بسب أو قذَع أو أذًى؛ ولقد أتى في هذا النطق ما يخبر أن درجاتهم لا تبلغ تقليل، وأنَّ أحدهم لا يقال له قليل؛ حتى إن أحدنا لو أنفق مثل الأرض ذهبًا لما بلغ من جنس الإنفاق ما يكون مقداره مدًّا واحدًا من الصحابة أنفقه أحدهم ولا نصف ذلك المُدِّ، وهذا إنما ضربه رسول الله ﷺ مثلًا في النفقات، فيقاس عليه: الصلوات والصيام والحج والجهاد وسائر العبادات؛ فإنَّها في معناه.

* **وأما قوله** ﷺ: «**لو أنَّ أحدكم**» بكاف الخطاب للحاضر المواجه؛ فإنَّه خطاب في هذه الصورة لأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فينصرف التحذير منه ﷺ لسائر

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٧٠، ٧١).

الصحابة؛ ممن رآه ﷺ من أن يسب أفاضل الصحابة الذي تخصصوا بصحابته وكثرة ملازمته، والهجرة معه، والقدم في الإسلام، هذا يكون أشد في النهي عن ذكر الصحابة إلا بالخير لمن جاء بعدهم، لأنَّه إذا كان من شمله اسم الصحابة ولحقته بركتها وحظي بهذا الاسم الكريم لا يبلغ عمله لو أنفق مثل أحد مُدَّ أحد القدماء من الصحابة والفضلاء ولا نصف المُدِّ، فكيف لمن جاء بعدهم!».

وقال ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أشار إلىٰ أن لحاق مرتبتهم وبلوغ شأنهم في الفضل ممتنع يستحيل».

ومعنىٰ قول النبي ﷺ عن السَّابقين الأوَّلين من الصحابة: «لو أنفق أحدكم ملء جبل أحد ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»، هو ما دلَّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومَنْ فعل ذلك بعد ذلك، وما ذاك إلا لعلمه بقصد الأول، وإخلاصه التَّام، وإنفاقه في حال الجَهْد والقلَّة والضيق، وفي الحديث: «**سبق درهم مائة ألف**».

ولا شكَّ عند أهل الإيمان، أنَّ الصِّدِّيق أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ له الحظُّ الأوفر من هذه الآية، فإنَّه سيِّد مَنْ عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنَّه أنفق ماله كلَّه ابتغاء وجه الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها».

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٧١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٦٨).

ولقول النبي ﷺ في الصحابة: «لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»، صار السَّلف يقولون من العبارات الجامعة لهذا المعنىٰ «لا يقاس بالصحابة أحد».

قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]: «لا تسُبُّوا أصحاب محمد، فَلَمَقَام أحدهم ساعةً خير من عمل أحدكم عُمُرَه».

وقيل لابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: معاوية خير أو عمر بن عبد العزيز؟! قال: تراب دخل في أنف معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله ﷺ خير أو أفضل من عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

وقال ياقوتة العلماء المعافىٰ بن عمران رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يقاس بأصحاب محمد ﷺ أحد»[(٣)].

وقول السَّلف «لا يعدل بالصَّحابة أحد»، أو «لا يُقاس بالصَّحابة أحد» هو من معنىٰ قول النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»، متَّفق عليه.

فالصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خير النَّاس، لا يدرك أحد شأوهم، والنقص في الخلف الذين لم يتبعوهم بإحسان.

وقال النبي ﷺ للصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **يوم الحديبية: «أنتم اليوم خير أهل الأرض»**، رواه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصَّحابة (١/ ٦٧ – رقم ١٥)، بإسناد صحيح.

(٢، ٣) الشَّريعة للآجري (ص٧٩٢).

٢٨- طواعيتهم لله

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أشد الناس طواعية لله في ترك ما نهىٰ الله عنه وأسرعهم مبادرة في ذلك، وقد تركوا كل أعمال الجاهلية بعد إسلامهم.

وفي الصَّحيحين عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح، وأُبيَّ بن كعب، وسهيل بن بيضاء، ونفرًا من أصحابه عند أبي طلحة، وأنا أسقيهم، حتىٰ كاد الشراب يأخذ منهم، فأتىٰ آتٍ من المسلمين فقال: أما شعرتم أنَّ الخمر قد حُرِّمت؟ فما قالوا: حتىٰ ننظر ونسأل، فقالوا: يا أنس! أكفِئ ما بقي في إنائك، فوالله ما عادوا فيها، وما هي إلا التمر والبُسْر، وهي خمرهم يومئذ.

ومن أمثلة طواعية الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ ونهيه؛ أنّه لم يتقدم لهم نهي عن الدعاء بالاستغفار لقرابتهم الكافرين، فنهاهم الله عَزَّ وَجَلَّ عن ذلك فانتهوا، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله، حتىٰ يتقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا، فأمَّا قبل أن يُبيّن لكم كراهة ذلك بالنهي عنه فلم

---

(١) بواسطة تفسير القرآن العظيم.

تضيِّعوا نهيه إلىٰ ما نهاكم عنه، فإنه لا يُحكم عليكم بالضّلال، فإنَّ الطاعة والمعصية إنما يكونان من المأمور والمنهي، وأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعًا أو عاصيًا فيما لم يؤمر به ولم ينه عنه».

وسيرة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ زكية، ما كان مثلهم، ولا يكون مثلهم، ديانة وتقوىٰ، وورعًا، وعبادة، ونسكًا، ولزومًا لأمر الله ونهيه في كل الأحوال، ووقوفًا عند حدود الله، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وإحسانًا للخلق. فهم خير الناس.

وإذا ذكرنا طاعات الصحابة من الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والصحبة لنبيه ﷺ والاتباع للوحي وصلاتهم وصدقاتهم وإحسانهم، ذكرنا من أعظم ما استوجبوا به دخول الجنة؛ الجهاد في سبيل الله، فبه قام الإسلام وعزّ وظهر، وبه هدىٰ الله الخلق.

عن أم حرام بن مِلْحان رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**أوّل جيش من أمتي يغزون البحر قد أَوْجَبُوا**»، قالت أم حرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «**أنت فيهم**»، ثم قال ﷺ : «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**»، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**»، رواه البخاري.

وقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا للفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مبشرًا له بفضائله قبل وفاته: «فتح الله عَزَّوَجَلَّ بك الفتوح، ومصَّرَ بك الأمصار، وفعلَ بك وفعلَ بك».

وإذا ذكرنا طاعات الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فمن أفضلها وأعظمها ثوابًا وغنًىٰ في الإسلام تعليم العلم، وبذلك قامت دولة الإسلام، وهُدي الخلق، وكانوا أهدىٰ وأتقىٰ وخير الأمم.

كان تعليم العلم وإقراء القرآن وتبيين سنَّة النبي ﷺ دأب علماء الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من حين أسلموا، قال البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أول من قدم علينا مصعب بن عُمير وابن أمِّ مكتوم، وكانوا يُقرئونَ الناس. رواه البخاري.

وقال الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «اللهم إنّي أُشْهِدُك علىٰ أمراء الأمصار، وإنِّي إنَّما بعثتهم عليهم ليعدلوا، وليعلِّموا الناس دينهم، وسنَّة نبيِّهم، ويَقسموا فيهم فيئهم، ويرفعوا إليَّ ما أشْكَلَ عليهم من أمرهم»؛ رواه البخاري.

صار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خير الناس بالبر الذي في قلوبهم، والعمل الصالح الذي سابقوا إليه، وشعب الإيمان التي تحققوا فيها وحازوا خصالها.

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ : «**نمتُ فرأيتُني في الجنَّة فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت : من هذا؟ فقالوا: هذا حارثة بن النُّعمان**»، فقال رسول الله ﷺ : «**كذلك البِرُّ، كذلك البِرُّ**»، وكان أبرَّ النَّاس بأمِّهِ[(١)].

وكل من أدرك الصحابة عرف لهم فضلهم ونعتهم بخصال الخير وأعمال البر التي كانت فيهم، وذكروا فضائلهم التي كانوا بها خير الناس.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنّهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فتعلمنا القرآن والعلم والعمل.

كانت مجالس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مجالس خير وبركة، فالصحابي إما في ذكر أو عبادة، أو تعليم، أو جهاد، أو سعي في معاشه، فقد قام الصحابة بمصالح الدين والدنيا، وحفظوا علىٰ الناس دينهم ودنياهم.

---

(١) رواه أحمد والنسائي، جامع السُّنَّة (٣/ ١٥١٩)، وصححه جامعه.

إذا ذُكر الصحابة عرفنا ما كانوا عليه من الطاعات، قال النبي ﷺ لبني سَلِمةَ: «**دياركم تكتب آثاركم**»، رواه البخاري.

وعن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ احتجر حجرة، فكان يُصلِّي فيها، ففطن به أصحابه، فكانوا يُصلُّونَ بصلاته. رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «كأنَّهم كانوا قد صَلَّوا العشاء، وانصرفوا من المسجد، فرجعوا إليه للصلاة خلف النبي ﷺ».

وقام النبي ﷺ ثلاث ليال في رمضان، فقام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معه، ثم لم يخرج إليهم بقية ليالي رمضان خشية أن يُكتب عليهم، رواه البخاري.

وكان من خير طاعات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الحرص علىٰ ما ينفعهم وينفع الإسلام، والابتعاد عما لا فائدة ولا خير فيه.

روىٰ أحمد وأبو داود من طريق قيس بن بشر، أخبرني أبي - وكان جليسًا لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: كان بدمشق رجل من أصحاب النبي ﷺ يُقال له: ابن الحنظلية[2]، وكان رجلًا متوحِّدًا، قلَّ ما يجالس الناس، إنَّما هو في صلاة، فإذا فرغ فإنَّما هو تسبيح وتكبير حتىٰ يأتي أهله، فمَرَّ بنا ونحن عند أبي الدرداء، فقال له أبو الدرداء: كلمةً تنفعنا ولا تَضُرُّك، فحدّث أحاديث عن رسول الله ﷺ.

كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أزكىٰ وأتقىٰ الخلق، كان الولاة والرعية صالحين،

(١) فتح الباري (٦/ ٣٠٤).

(٢) هو سهل بن الربيع، وقيل ابن عبيد، وقيل بن عمرو بن عدي، وقيل غير ذلك. والحنظلية أمُّه. الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٩٥).

قائمين بشرع الله ومظهرين لشعائر الإسلام، وكانوا أمانًا لمجتمعاتهم من شرور الضلالات والأهواء والفساد.

عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أصحابي أَمَنَةٌ لأمَّتي، فإذا ذهب أصحابي أتىٰ أُمَّتي ما يُوعَدُونَ**»، رواه مسلم.

كل من أدرك الصحابة وعاصرهم عرف قدرهم وفضلهم وما كانوا فيه من الصلاح، قال جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : كنتُ باليمن، فلقيت رجلين من أهل اليمن: ذا كَلَاع وذَا عمْرو، فجعلت أُحدِّثُهُمْ عن رسول الله ﷺ، فقال ذو عمرو: لئن كان الذي يُذكَرُ من أمر صاحبك لقد مرَّ علىٰ أجله مُنْذُ ثلاث، فأقبَلتُ، وَأَقْبَلا معي، حتىٰ إذا كنا في بعض الطَّريق وقع لنا رَكْبٌ من قِبَل المدينة، فسألتهم؟ فقالوا: قُبض رسول الله ﷺ واسْتُخْلِفَ أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والناس صالحون. رواه البخاري.

وسُئل ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: كان والله خيرًا كله، في الرضا والغضب، حبيبًا إلىٰ كل صالح.

قيل له: فعمر بن الخطاب، فقال: كان كالطائر الحَذِرِ، يظن أنه قد نُصب له من كل ناحية حبالة، فكان يحذرها ويعمل في كل يوم بما يرد عليه.

قيل له: فعثمان، قال: كان والله صوّامًا قوَّامًا.

قيل له: فعليّ بن أبي طالب، قال: كان والله مملوءًا علمًا وحلمًا، وكانت له قرابة من رسول الله ﷺ وَقَدَمٌ في الإسلام، فكان يظن أنّه لن يطلب بهما أمرًا إلا

ناله، وقلّ والله ما أشرف علىٰ أمر إلا تزايل عنه[١].

وهكذا يجب علينا موالاة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بذكر مناقبهم وفضائلهم، كما فعل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

جاء رجل إلىٰ ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فسأله عن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكر محاسن عمله، فقال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟! قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكر محاسن عمله، ثم قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ، قال: لعلَّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك؟ انطلق فاجْتَهِدْ عليَّ جهدك. رواه البخاري.

ومن المأثور عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الحث علىٰ الزيادة في الخير والتوبة من كل شر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوبًا فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يُقِلّ عملًا في تقوىٰ، وكيف يقل ما يُتقبل»[٢].

وكان التابعون يعرفون للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فضلهم، ويذكرون مناقبهم من عبودية الله واتباع الوحي والجهاد في سبيل الله، قال يزيد بن حيَّان: انطلقت أنا وحُصين بن سَبْرَةَ وعمر بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلما جلسنا إليه، قال له حُصين: لقد لقيت يا زيدُ خيرًا كثيرًا، رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيدُ خيرًا كثيرًا. رواه مسلم.

---

(١) سير السَّلف الصَّالحين (١/ ١٥٨).

(٢) سير السَّلف الصَّالحين (١/ ٢٠٦).

ما كان في الدنيا مثل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في توحيد الله وعبوديته والانقياد لأمره ونهيه، واستباق الخيرات في طاعته والجهاد في سبيله، فكانوا خير الناس، تُشيّع الملائكة جنائزهم، فقد شيَّع جنازة سعد بن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سبعون ألف مَلَك، ما وَطِئوا الأرض قبل يومئذ»[(١)].

وعن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - وجنازة سعد بن معاذ بين أيديهم - : «**اهْتَزَّ عَرْشُ الرحمن لموت سعد بن معاذ** - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -»، متفق عليه.

وقال معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين هلك فضالة بن عبيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يحمل نعشه لابنه عبد الله بن معاوية: اعقُبْني، فإنك لن تحمل مثله أبدًا[(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ١٠٣٣).

(٢) المخلصيات (٢/ ١٢).

٢٩- الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

ومن الفضائل العظمىٰ التي سبق بها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من بعدهم أنَّهم كانوا أقوم الخلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك أساس خيرية الأمة كما قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «بيَّن عَزَّ وَجَلَّ صفة ناصريه فقال: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤١]. فصفة حزب الله الذين يُوحِّدونه: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهما واجبان كوجوب الصلاة والزكاة، أعني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا كله كلام الزجاج.

قال قتادة في هذه الآية: هم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال كثير من المفسرين: هذا إخبار من الله تعالىٰ وثناء علىٰ الخلفاء الراشدين من المهاجرين، ومدح لهم بما سيظهر منهم من السيرة العادلة، وإثبات لصحة أمرهم وخلافتهم؛ لأن الله تعالىٰ لم يُعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم.

قال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذا والله ثناء قبل بلاء.

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٦٨، ٦٩).

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة الحج: ٤١] ولما كانت الرهبة من القادر والرغبة إليه من أوكد الأسباب الصَّادَّةِ لغالب الناس عن الإقدام علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أخبر الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أنَّه أحقُّ من خِيفَ منه، وأولىٰ من توجهت الرغبة إليه؛ لأن جميع الأمور إليه تؤول، وكل مُلْك سوىٰ مُلْكه يزول، فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [سورة الحج: ٤١] ».

وكان أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ من أحرص الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ علىٰ إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وقد حرص علىٰ حفظها من التعطيل خشية سوء الفهم لمعاني القرآن، قال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [سورة المائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها علىٰ غير مواضعها، وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيِّروه، أوشك الله عَزَّوَجَلَّ أن يَعُمَّهم بعقابه**»، رواه أحمد.

فعليكم أنفسكم هذا بعد أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، هذا معنىٰ الآية، قاله حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ وسعيد بن المسيب(١).

وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ يتواصون بالحق، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعظون بعضهم بعضًا عن مخالفة أمر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وأمثلة ذلك كثيرة، من ذلك أنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ استيقظ بعدما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي، فكان من أول ما قاله: أصلىٰ الناس، رواه البخاري.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١٦٣).

وهذا يدلُّ علىٰ أمره بما هو من أعظم المعروف.

وعاد الفاروقَ غلامٌ من غلمان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فرآه مسبلًا إزاره، فقال له: ارفع ثوبك، فإنَّه أتقىٰ لربك، وأنقىٰ لثوبك، رواه البخاري.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يأمرون الولاة بالمعروف من شرائع الدين وأحكام الإسلام.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ينكرون علىٰ الولاة ما يقع منهم من جور وظلم وعسف، قال الحسن: إنَّ عائذ بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، دخل علىٰ عبيد الله بن زياد، فقال: أي بُنيَّ، إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ شرَّ الرِّعاء الحطمة**»، فإياك أن تكون منهم. فقال له: اجلس، فإنَّما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ، فقال: وهل كانت لهم نخالة، إنَّما كانت النُّخالة بعدهم، وفي غيرهم، رواه مسلم.

قال الحافظ النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذا من جزيل الكلام وفصيحه، وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم، فإنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كلهم هم صفوة النَّاس، وسادات الأمة، وأفضل ممن بعدهم، وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنَّما جاء التخليط ممن بعدهم، وفيمن بعدهم كانت النُّخالة.

وقوله ﷺ: «**إنَّ شرَّ الرعاء الحطمة**» قالوا: هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها، بل يحطمها في ذلك، وفي سقيها وغيره، ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها».

---

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ص١٤٢٤).

٣٠- المهاجرون لله

وأما فضيلة الهجرة، فتلك الهجرة التي كانت سببًا في قيام دولة الإسلام، وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والأمة من بعدهم عدُّوا التاريخ من هجرة النبي ﷺ.

قال سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ما عَدُّوا من مبعث النبي ﷺ، ولا من وفاته، ما عدُّوا إلا من مقدمه المدينة، رواه البخاري.

ومن أعظم خصال الخير التي امتدح الله بها الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الإيمان والهجرة والجهاد، فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

والهجرة من الأوطان من أشق ما يكون علىٰ النُّفوس، فإنَّ مفارقة الوطن والأهل والأموال ظلمًا، شديد علىٰ النفوس، قال النبي ﷺ حين خرج مهاجرًا من مكة: «**والله إنِّي لأخرج منك، وإنِّي لأعلم أنك أحب بلاد الله إلىٰ الله، وأكرمها علىٰ الله، ولولا أنَّ قومك أخرجوني منك ما خرجت**»، رواه أحمد والنسائي من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وروىٰ البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ أعرابيًّا جاء إلىٰ النبي ﷺ فسأله عن الهجرة، فقال: «**ويحك إنَّ الهجرة شأنها شديد**».

وعندما أراد النبيُّ ﷺ الهجرة أعلم عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأمره أن يتخلف بعده

حتىٰ يؤدِّي عنه الودائع التي كانت عنده للناس[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الهجرة المسئول عنها مفارقة دار الكفر إذ ذاك والتزام أحكام المهاجرين مع النبي ﷺ، وكأنَّ ذلك وقع بعد فتح مكَّة، لأنَّها كانت إذ ذاك فرض عين، ثم نسخ ذلك بقوله ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**»».

وفضيلة الهجرة جامعة في ضمنها فضائل عظيمة منها: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، والمتابعة للنبيِّ ﷺ، والصحبة له ﷺ حيثما كان، ونصرة وإقامة الدين، والجهاد في سبيل الله.

والهجرة هي التي جاء فيها حثُّ الشرع علىٰ الإخلاص في الأعمال الصالحة، خصوصًا الهجرة، ففي الصحيحين من حديث الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الأعمال بالنِّيَّة، فمن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوَّجها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه، ومن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلىٰ الله ورسوله**»، وقد هاجر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فرارًا بدينهم من أذىٰ كفار مكَّة، ومتابعة للنبي ﷺ، قال خبَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هاجرنا مع النبيِّ ﷺ نريد وجه الله، فوقع أجرنا علىٰ الله[(٣)].

ومصداق ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ

---

(١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (١/ ٣٠٣).

(٢) فتح الباري (٧/ ٣٢٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ، وأصحابه إلىٰ المدينة (ص ٦٥٥- رقم ٣٨٩٧).

يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾ [سورة النساء: ١٠٠].

والنبي ﷺ أخبر أصحابه أنَّه رأىٰ أنه يهاجر، فهاجر من هاجر من الصَّحابة قِبَلَ المدينة، ورجع عامة من كان هاجر إلىٰ الحبشة إلىٰ المدينة.

وجاء رسول الله ﷺ بعد أن أذن الله له في الهجرة بيت أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الظهيرة، فقال النبي ﷺ: «**إني قد أُذن لي في الخروج**»، فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، رواه البخاري.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قوله «الصحابة» بالنصب، أي: أريد المصاحبة».

وقد ذكر النبيُّ ﷺ فضل من هاجر الهجرتين علىٰ غيرهم من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهم من هاجر من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من مكة إلىٰ الحبشة، ثم هاجروا إلىٰ المدينة، وقد قال لهم النبي ﷺ: «**لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان**»، رواه البخاري.

والصحابة المهاجرون إلىٰ الحبشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا بركة علىٰ الإسلام وعلىٰ أهل الحبشة، فقد كانوا سببًا في ظهور الإسلام في الحبشة، وفي إسلام النجاشي ومن تبعه من قومه علىٰ الحق.

والصحابة أنفسهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يعرفون فضل المهاجرين الهجرتين في الفضل علىٰ من سواهم، قال عبيد الله بن عدي بن الخيار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لعثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كنت ممن استجاب لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ فهاجرت الهجرتين **وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه**»، رواه البخاري.

وفوائد وفضائل الهجرة عظيمة، من أهمها تعلم المنهج النبوي في الدعوة إلىٰ

---

(١) فتح الباري (٧/ ٢٩٤).

الله، فإنَّ النبي ﷺ في أول قدومه المدينة أعلمهم بمحتوىٰ دعوته ليطمئن الناس إلىٰ خيرها، فكان أول ما قال لهم: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»، رواه أحمد والترمذي وصححه.

وأقام النبي ﷺ بالمدينة دولة الإسلام بالقرآن، ودخل الناس في الإسلام من غير سيف.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ الدين إنما قام بالوحي، وأما السيف فلمحق أهل الضلالة والشِّرك، ومدينة النبي ﷺ التي كان يخطب فيها إنما فُتحت بالقرآن، ولم تُفتح بالسيف».

وعندما ظهر الإسلام في مكَّة، وصارت دار إسلام، قال النبي ﷺ: «**لا هجرة بعد الفتح**»، لأنَّ مكة صارت دار إسلام وستبقىٰ كذلك إلىٰ يوم القيامة.

أمَّا الهجرة إلىٰ الله فباقية، لابُدَّ لكل مسلم في كل لحظة أن يتوجه إلىٰ الله بالصدق والعمل الصالح.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «كل متوجه إلىٰ الله بالصدق والإخلاص فإنه من المهاجرين إليه، فلا ينبغي أن يتخلف عن هذه الهجرة، بل ينبغي أن يصحبها سرمدًا، حتىٰ يلحق بالله عَزَّوَجَلَّ».

❁ ❁ ❁

---

(١) زاد المعاد (١/ ١٩٠).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٧٣).

٣١- المجاهدون

ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله، وذلك الجهاد كان للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أفضل مقام، فإنَّه الأساس الذي حُفظ به الإسلام، والأساس الذي كان سببًا في دخول النَّاس في دين الله أفواجًا.

والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جاهدوا في الله حق جهاده، فكانوا أعظم جهادًا لأنفسهم في طاعة الله، وأفضلهم جهادًا للنفس والهوىٰ، وأنفعهم للإسلام بالجهاد بأموالهم، وأقواهم وأصدقهم جهادًا بالسَّيف.

وقد امتدح النبيُّ ﷺ جهاد أصحابه وبشَّرهم بالجنَّة ثوابًا له.

وقد نعت الله عَزَّوَجَلَّ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بأنَّهم ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال أبو بكر ابن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هم أهل القادسيَّة»[١].

وجهاد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قصدوا به أن تكون كلمة الله هي العليا، وقد جاهدوا في الله حقَّ جهاده ليكون الدِّين كلُّه لله، وقصدوا عبوديَّة الله بأفضل الطَّاعات ذروة سنام الإسلام.

قام الصَّحابة بأشقِّ الأعمال علىٰ النُّفوس، قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٠٣).

﴿ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦] طواعية لله، فبذلوا أرواحهم طيبة بها نفوسهم لدفع الفساد عن الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١].

قام الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالجهاد رحمة بالخلق لإخراجهم من ظلمات الشِّرك والكفر، ولعتق رقابهم من النَّار، فكانوا بذلك خير النَّاس.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كنتم خير أمَّة أُخرجت للناس، خير النَّاس للنَّاس، يأتون بهم في السَّلاسل في أعناقهم حتىٰ يدخلوا في الإسلام».

قال العلامة ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، معناه: من أجل حبِّكم الخير لكل النَّاس، تريدون أن يدخل جميع النَّاس الجنَّة، وأن يُسلموا ويعملوا الخير».

وقال تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨٨].

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جند الله، بهم ظهر الدِّين، وبهم حُفظ، وبهم هُدي النَّاس إلىٰ الإسلام، وجرىٰ حكم الله في خلقه، وأمنت السُّبل، وظهر الخير، وانقمع الشِّرك والشرُّ.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «المجاهدون في سبيل الله، وهم جند الله الذين يقيم بهم دينه، ويدفع بهم بأس أعدائه، ويحفظ بهم بيضة الإسلام، ويحمي بهم حوزة الدِّين.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصِّحاح (٧/ ٣٦٥).

(٢) طريق الهجرتين (٢/ ٧٧٥).

وهم الذين يقاتلون أعداء الله ليكون الدِّين كلُّه لله، وتكون كلمة الله هي العليا، قد بذلوا أنفسهم في محبَّة الله ونصر دينه وإعلاء كلمته ودفع أعدائه.

وهم شركاء لكلِّ من يحمونه بسيوفهم، في أعمالهم التي يعملونها، وإن تناءتْ ديارهم، ولهم مثل أجور من عبد الله بسبب جهادهم وفتوحهم، فإنَّهم كانوا هم السَّبب فيها».

جهاد الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو الذي قام به الإسلام، قال النبي ﷺ مبتهلًا في دعائه قبل جهاد الكفار في معركة بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض**»، رواه مسلم.

فجهاد الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كان الأساس في إقامة الدِّين، وكانت بيعة العقبة هي السبب في الهجرة والنصرة التي كانت سببًا في إقامة دولة الإسلام.

قال كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولقد شهدت ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبُّ أنَّ لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في النَّاس منها»(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «لأنَّ من شهد بدرًا، وإن كان فاضلًا بسبب أنَّها أول غزوة نُصر فيها الإسلام، لكن بيعة العقبة كانت سببًا في فشو الإسلام، ومنها نشأ مشهد بدر».

وقال تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلىٰ النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة (ص ٦٥٤، رقم ٣٨٨٩).

(٢) فتح الباري (٧/ ٢٧٥).

وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قد جعل محبة الله عَزَّوَجَلَّ ومحبة رسوله ﷺ الجهاد في سبيله، و«الجهاد» يتضمن كمال محبة ما أمر الله به، وكمال بغض ما نهىٰ الله عنه، ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها، وعبوديَّتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم، **وأكمل هذه الأمَّة في ذلك أصحاب محمد ﷺ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل**».

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢١٠).

٣٢- الذاكرون الله

والفضيلة العظمىٰ التي هي سبب صلاح الخلق، وسبب قيامهم بأمر الله وترك نهيه ذكر الله، وكان الصحابة في ذلك أشد ذكرًا.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال:** «**سبق المفرِّدون؟**» قالوا: وما المفردون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»، رواه مسلم.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في ذلك أسبق الخلق وأفضلهم بأنواع الذكر.

فكانوا أكثر الناس ذكرًا، وكانوا من الذاكرين الله بقلوبهم، وبألسنتهم.

وكانوا أعظم الخلق ذكرًا لله عند أمره ونهيه.

قال تعالىٰ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة النور: ٣٦-٣٨].

كان الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في السوق فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد، فقال: فيهم نزلت ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النور: ٣٧]، رواه عبد الرزاق.

❁ ❁ ❁

٣٣- الانتصاف للحق

ومن أعظم مقامات الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ التي نالوا بها أعلىٰ درجات الفضل، وكانت من أزكىٰ خصال الخير فيهم الانتصاف للحق، فداروا معه حيث دار.

ولنتدارس بعض المأثور من أقوال وأحوال الصحابة في ذلك.

قال عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: ثلاث من جمعهنَّ فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السَّلام للعالم، والإنفاق من الإقتار، ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به[(١)].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «تضمَّنت هذه الكلمات أصول الخير وفروعه، فإنَّ الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفَّرةً، وأداء حقوق النَّاس كذلك، وأن لا يطالبهم بما ليس له، ولا يُحمِّلهم فوقَ وُسْعهم، ويعاملهم بما يحبُّ أن يعاملوه به، ويُعفيهم ممَّا يحبُّ أن يُعْفُوه منه، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها، ويدخل في هذا إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدَّعي لها ما ليس لها، ولا يُخفيها بتدسيته لها، وتصغيره إيَّاها، وتحقيرها بمعاصي الله، ويُنمِّيها ويُكبِّرها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده، وحبِّه وخوفه ورجائه، والتَّوكُّل عليه والإنابة إليه، وإيثار مراضيه ومَحابِّه علىٰ مراضي الخلق ومحابِّهم».

---

(١) كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام (ص ٨).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٤٧٩، ٤٨٠).

وأما الانتصاف للحق في القضاء، فهذا كانوا فيه أعدل النَّاس، وكان الولاة من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ينصحون قضاتهم بالقضاء بالحق، وبالرجوع إليه في حال الخطأ.

كتب الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا يمنعنَّك قضاء قضيته، ثم راجعت فيه نفسك، فهُديت لرشده أن تنقضه، فإنَّ الحق قديم لا ينقضه شيء، والرُّجوع إلىٰ الحق خير من التَّمادي في الباطل.

ومن أعظم خصال الخير في الانتصاف للحق الذي كان عليه الصحابة؛ انتصافهم للرعيَّة من ظلم الأمراء، قال الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إنِّي والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعل به شيءٌ سوىٰ ذلك؛ فليرفعه إليَّ، فوالذي نفسي بيده لأقصنَّه منه.

فوثب عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **فقال**: يا أمير المؤمنين، أو رأيت إن كان رجل من المسلمين علىٰ رعية، فأدب بعض رعيته، أئنك لمقتصه منه؟ قال: إي والذي نفس عمر بيده، إذن لأقصه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا **تجمروهم**(١) فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم، رواه النسائي.

ومن المأثور عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في التحذير من أسباب العدول عن الحق؛ قول أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٢): «إنَّما أخشىٰ عليكم

(١) لا تحبسوا المجاهدين في الثغور عن العود إلىٰ أهلهم.

(٢) شرح السنَّة (١٤/ ٢٨٦).

اثنين؛ طول الأمل، واتِّباع الهوىٰ، فإنَّ طول الأمل يُنسي الآخرة، وإنَّ اتِّباع الهوىٰ يَصدُّ عن الحق».

ومن المأثور عن السَّلف الذين اتَّبعوا الصحابة بإحسان في الإنصاف والعدل؛ قول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تكن ممَّن يتَّبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فأنت لا تثاب علىٰ ما اتبعته من الحق، وتعاقب علىٰ ما خالفته»[١].

❁ ❁ ❁

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التَّفسير (٥/ ١٤).

٣٤- الوقوف عند كتاب الله

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا وقافين مع كتاب الله، فكانوا ﴿إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣]، قال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يتغافلوا عنها كأنَّهم صم لم يسمعوها، عميٌ لم يَرَوْها»[١].

وهذه الخصلة من الصَّحابة سببها ما امتلأت به قلوبهم وآذانهم من الإصغاء لكلام الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ، وجوارحهم من الانقياد لخطاب الله وأمره ونهيه، وهذا هو الحدُّ الفاصل بين المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون انقادوا للوحي، والكافرون استكبروا، وولوا عنه مدبرين.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل: ٧٦-٨١].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٥٩).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٩٢).

ﵟٱلۡمَوۡتَىٰﵞ، هذا مثل للكفَّار، شبَّههم الله تعالىٰ لعدم إصاختهم إلىٰ الحق وإفراط إعراضهم عنه بالموتىٰ الذين فقدوا آلة السَّماع، وكذلك شبَّههم أيضًا بالصُّمِّ فقال: ﵟوَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَﵞ، ثم أكد ذلك بقوله: ﵟإِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَﵞ؛ لأنهم في هذه الحالة أبعد عن إدراك النداء».

* * *

٣٥- خشية الله بالغيب

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أشد النَّاس خشية لله في الغيب، وبهذا ظهر فضلهم علىٰ بني إسرائيل؛ فإنَّ الصحابة كانوا محرمين بالعمرة، وابتلاهم الله في الحديبية بالصيد يغشاهم في رحالهم، لم يروا مثله قط، وكان صيده بأيسر ما يكون بحيث يتمكنون من أخذه بالأيدي فضلًا عن الرِّماح، فعصمهم الله.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾ [المائدة: ٩٤].

ولصلاح سرائر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ استوت سرائرهم وعلانيتهم، بل كانت سرائرهم أبرُّ وأتقىٰ، فما كان ولا يكون مثلهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «من المعلوم بالاضطرار أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا أعلم الناس بباطن الرسول وظاهره، وأخبر الناس بمقاصده ومراداته كانوا أعظم الأمة لزومًا لطاعة أمره سرًّا وعلانية، ومحافظة علىٰ ذلك إلىٰ الموت.

وكل من كان منهم إليه أقرب وبه أخص وبباطنه أعلم كأبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كان أعظمهم لزومًا لطاعته سرًّا وعلانية، ومحافظة علىٰ أداء الواجب،

---

(١) شرح حديث جبريل (ص٣٦٣).

واجتناب المحرم باطنًا وظاهرًا».

وبمذاكرة سيرة الصحابة تحيا القلوب، ويتأسىٰ المسلمون بفضائلهم، فهم أزكىٰ الخلق سيرة، وأبرُّ الأمة قلوبًا، وأقومهم عملًا بالإسلام والانقياد لأمر الله ونهيه.

وقد كتب الفقيه العلامة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مصنّف «الرِّقة والبكاء» لدواء قسوة القلوب، فذكر فيه سيرة النبيين عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

٣٦- المعدن الطيّب

ومعدن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الطيِّب كان سببًا في خيريَّتهم حين تفقَّهوا في الإسلام، فخصال الخير التي كانت فيهم ازدادت بالإسلام، وخصال الجاهلية تركوها بعد أن هداهم الله للإسلام.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»، رواه البخاري.

فمن أسلم من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ تركوا الشِّرك ونصرته والنفقة فيه إلىٰ توحيد الله والجهاد في سبيله والنفقة في مرضاة الله.

فقد روىٰ الإمام أحمد في مسنده أن عكرمة بن أبي جهل عندما أسلم قال: يا رسول الله! علمني خير شيء تعلمه، حتىٰ أقوله، فقال له النبي ﷺ: «**شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله**»، فقال عكرمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنا أشهد بهذا، وأشهد بذلك من حضرني، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي، فاستغفر له رسول الله ﷺ، فقال عكرمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والله لا أدع نفقة كنت أنفقتها في صد عن سبيل الله، ولا قتالًا إلا قاتلت ضعفه، وأشهدك يا رسول الله، ثم اجتهد في العبادة حتىٰ قُتل زمن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالشام[١].

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٥٢٤، ٥٢٥).

والعرب هم صفوة ذرية إبراهيم، وقد روىٰ مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل، واصطفىٰ قريشًا من كنانة، واصطفىٰ بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم**».

وكان النبيُّ ﷺ يمتدح ما كان فيهم مما بقي معهم من ملة إبراهيم، ويقول: «**إنَّكم علىٰ بقية من إرث أبيكم إبراهيم**».

كان الناس في جزيرة العرب معدن ملة إبراهيم عليه السلام، حيث توارثوا العلم والعمل بها، وكانوا من ذرية إسماعيل، وكانت غرائزهم وأخلاقهم عظيمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «أما العمل فإنَّ مبناه علىٰ الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقة في النَّفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء، والحلم، والشَّجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير، معطلة عن فعله».

ومع الجهل وتشبه من بمكة بمشركي البلقاء من أرض الشام؛ فسدت عقائدهم وأعمالهم، وصاروا بسبب إلفها يتعصبون لها ويقاتلون دونها.

فبعث الله إليهم رسولًا من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، ويعيدهم إلىٰ ملة إبراهيم، ويستعمل غرائزهم فيما ينفعهم وينصر بهم الدِّين.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «فلما بعث الله محمدًا - ﷺ - بالهدىٰ الذي ما جعل الله في الأرض - ولا يجعل - أمرًا أجلَّ منه وأعظم قدرًا،

(١، ٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٦٧).

وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم علىٰ نقلهم عن تلك العادات الجاهلية والظلمات الكفرية، التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها، فلما تلقوا عنه ذلك الهدىٰ العظيم زالت تلك الريون عن قلوبهم، واستنارت بهدىٰ الله الذي أنزل علىٰ عبده ورسوله ﷺ، فأخذوا هذا الهدىٰ العظيم بتلك الفطرة الجديدة، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم، والكمال الذي أنزل الله إليهم».

❁ ❁ ❁

٣٧- الاهتمام للخلق

ومن فضائل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ التي سبقوا بها الخلق جميعًا الاهتمام للناس عمومًا وللمسلمين خصوصًا، وكانوا أشد اهتمامًا للخلق في عتق رقابهم من النار.

ومن مآثر الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اهتمامه لعامَّة المسلمين، واهتمامه لأجيال المسلمين بعده، فإنَّه لم يقسِّم غنائم الأراضي التي ظهر عليها المسلمون؛ اهتمامًا لعامة المسلمين، مع أنَّ الغنيمة لمن شهد المعركة، فاستطاب نفوس المجاهدين لذلك، وأطاعوه رعاية لمصلحة الأمة كلها.

عن زيد بن أسلم عن أبيه: قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لولا آخر المسلمين ما فتحت قريةً إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبيُّ ﷺ خيبر»[١].

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا أعوانًا للناس علىٰ الخير، رُزقوا الرحمة والشفقة والإحسان والبر للخلق، فقاموا بنفع الناس في دينهم ودنياهم.

عُرف الصحابة بالدعوة إلىٰ الخير، والإعانة علىٰ المعروف، وإغاثة ذا الحاجة والملهوف، وإكساب المعدوم، وقرىٰ الضيف، فكانوا من خير الناس للناس إحسانًا ورحمة، وكان ذلك من تعاونهم علىٰ البر والتقوىٰ، ومن تواصيهم بالمرحمة، فكانوا كما قال النبي ﷺ: «**خير الناس**».

---

(١) رواه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب الغنيمة لمن شهد الوقعة (ص ٥١٧ - رقم ٣١٢٥).

٣٨- المغفور لهم

النبي ﷺ مجاب الدَّعوة، وقد دعا للصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالمغفرة، عن سهلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاءنا رسول الله ﷺ ونحن نحفر الخندق وننقل التُّراب على أكتادِنا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا عيش إلَّا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار**»(١).

والنبيُّ ﷺ قبل أن يفارق الدُّنيا ويودِّع أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ استغفر لهم جميعًا، الموتى منهم والأحياء، فإنَّه حج في السنة العاشرة حجة الوداع، واستغفر لمن حج وأدى نسكه معه، وهم عامة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فإنَّ النبيَّ ﷺ يوم النحر دعا للمحلقين بالمغفرة ثلاثًا، وللمقصِّرين مرَّة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «حلق كثير من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، بل أكثرهم، وقصَّر بعضهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

وقبل أن يفارق رسول الله ﷺ الدُّنيا ذهب إلى مقبرة البقيع واستغفر للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وذهب كذلك إلى من قُبر من الصحابة بأحد من الشهداء فاستغفر لهم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب دعاء النبي ﷺ: «**أصلح الأنصار والمهاجرة**» (ص ٦٣٧ - رقم ٣٧٩٧).

(٢) زاد المعاد (٢/ ٣٢٨).

ولا يزال المسلمون يستغفرون للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما أمرهم الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

❁ ❁ ❁

٣٩- الخشية من الله مع إحسان العمل

ومن فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ التي تدلُّ علىٰ تقواهم؛ إحسانهم العمل، وشفقتهم علىٰ أنفسهم من الزَّلل.

وقد أصاب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غمٌّ وهمٌّ في معصيتهم لرسول الله ﷺ في غزوة أحد، هذا حال المتَّقين.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «هؤلاء مع رسول الله ﷺ في سبيل الله، غضاب لله، يُقاتلون أعداء الله، نُهوا عن شيء فصنعوه، فما تُركوا حتىٰ غُمُّوا بهذا الغم.

والفاسق اليوم يتجرم كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويزعم أن لا بأس عليه».

ومن المأثور عن الصحابة في ذلك؛ قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المؤمن يرىٰ ذنوبه كأنَّها جبل يريد أن يقع عليه، والفاجر يرىٰ ذنبه كأنَّه ذبابة، فقال له: هكذا»، رواه البخاري.

وقال أبو أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢): «إنَّ الرجل ليعمل المحقِّرات حتىٰ يأتي الله وقد أَحَطْنَ به، وإنَّ الرجل ليعمل السيئة فيفْرُقُ منها حتىٰ يأتي الله آمنًا».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ **ذاكرًا صفة الصَّحابة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «لقد مضىٰ

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٣٣٣).

(٢) شرح السنَّة (١٤/ ٣٧٤).

بين أيديكم أقوام لو أنَّ أحدهم أنفق عدد هذا الحصىٰ، لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم»[(١)].

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أتقىٰ الخلق بعد النبيِّين عليهم الصلاة والسلام، يسارعون إلىٰ الخيرات، ويبادرون إليها، مؤدين للفرائض ومحسنين في النَّوافل، ضربوا من كل عبادة بسهم، أتوا بذروة سنام الإسلام الجهاد فضلًا عن سائر القربات.

ومع هذا إذا حصلت منهم غفلة في المباحات اتهموا أنفسهم بالنِّفاق، وذلك لكمال تقواهم لله وخشيتهم منه.

ومن فضائل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ التي سبقوا بها من بعدهم؛ خشيتهم علىٰ أنفسهم من النِّفاق، وذلك بسبب حياة قلوبهم، وتقواهم.

قال ابن أبي مليكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبيِّ ﷺ كلهم يخاف النِّفاق علىٰ نفسه».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «الصَّحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم: عائشة، وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة، وأبو هريرة، وعقبة بن الحارث، والمسور بن مخرمة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسنِّ جماعة أجل من هؤلاء؛ كعليِّ بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقَّاص - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -، وقد

(١) شرح السنَّة (١٤/ ٣٧٤).

(٢) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر (ص ١١).

(٣) فتح الباري (١/ ١٤٨).

جزم بأنَّهم كانوا يخافون النِّفاق في الأعمال، ولم يُنقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنَّه إجماع، وذلك لأنَّ المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم، بل ذلك علىٰ سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

ومن فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ التي سبقوا بها من بعدهم؛ هضمهم لأنفسهم، وتواضعهم، وما كانوا يستكثرون أعمالهم، ولا يدلون بها علىٰ الله.

قال وهب بن منبه: إنَّ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا طاف بالبيت حين أصبح أسبوعًا، وأنا وطاوس معه وعكرمة مولاه، وكان قد رقَّ بصره، فكان يتوكَّأ علىٰ العصا، فلمَّا فرغ من طوافه انصرف إلىٰ الحطيم، فصلىٰ ركعتين، ثم نهض، فنهضنا معه، فدفع عصاه إلىٰ عكرمة مولاه، وتوكَّأ عليَّ وعلىٰ طاوس، ثم انطلق بنا إلىٰ غربي الكعبة بين باب «بني سهم» وباب «بني جمح»، فوقفنا علىٰ قوم بلغ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّهم يخوضون في حديث القدر وغيره مما يختلف النَّاس فيه، فلمَّا وقف عليهم سلَّم عليهم، أجابوه ورحَّبوا به، وأوسعوا له، فكرِه أن يجلس إليهم، ثم قال: يا معشر المتكلِّمين فيما لا يعنيهم، ولا يرد عليهم، ألم تعلموا أنَّ لله عبادًا قد أسكتتهم خشيته من غير عيٍّ، ولا بكمٍ، وأنَّهم هم الفصحاء الطُّلقاء النُّبلاء الألباء، العالمون بالله وبآياته، لكنَّهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، وكسرت قلوبهم، وطاشت عقولهم؛ إعظامًا لله عَزَّوَجَلَّ وإعزازًا وإجلالًا، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بالأعمال الزاكية، يعدُّون أنفسهم مع الظَّالمين الخاطئين، وإنَّهم لأبرُّ برًّا، ومع المقصرين

والمقرضين، وإنَّهم لأكياس أقوياء، ولكنَّهم لا يرضون لله بالقليل، ولا يستكثرون له الكثير، ولا يدلون عليه بالأعمال، حيثما لقيتهم فهم مهتمون محزونون مروعون خائفون مشفقون وجلون، فأين أنتم منهم يا معشر المبتدعين، اعلموا أنَّ أعلم الناس بالقدر أسكتهم عنه، وأنَّ أجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه[1].

ومن مقامات الصَّحابة في التَّواضع، ومجانبة الغرور، واتِّهام النفس؛ ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لمَّا نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢]، قال أصحاب رسول الله ﷺ: أيُّنا لم يظلم نفسه، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة لقمان: ١٣].

وكان في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خشية أن يكونوا عُجِّلت لهم طيِّباتهم وحسناتهم في الدُّنيا عندما بسط الله لهم الرِّزق، مع ما كانوا عليه من أداء حقِّ المال وجعله سبيلًا لطاعة الله، وهذا ممَّا امتلأت به قلوبهم من الخشية لله.

عن سعد بن إبراهيم أنَّ عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام، وكان صائمًا، فقال[2]: قُتل مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو خير منِّي، فكُفِّن في بُرْدَة إن غُطِّي رأسه، بدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاه، بدا رأسه، وقُتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو خير مِنِّي، ثم بُسط لنا من الدُّنيا ما بُسط، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلَت لنا، ثم جعل يبكي حتَّىٰ ترك الطَّعام، رواه البخاري.

---

(١) رواه البيهقي في القضاء والقدر (ص٢٩٤، ٢٩٥ – رقم ٤٥٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا لم يوجد إلَّا ثوب واحد (ص٢٠٤– رقم ١٢٧٥).

٤٠- المشهود لهم بالجنَّة

الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شهد لهم الوحي بأعيانهم بأنَّهم في الجنَّة، وتلك خصوصيَّة ليست لأحد غيرهم.

ففي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: كنت مع النبيِّ ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبيُّ ﷺ: «**افتح له، وبَشِّرْهُ بالجنَّة**»، ففتحت له، فإذا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَشَّرْتُهُ بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبيُّ ﷺ: «**افتح له وبَشِّرْهُ بالجنة**»، ففتحت له، فإذا هو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخبرته بما قال النبيُّ ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: «**افتح له، وبَشِّرْهُ بالجنَّة علىٰ بلوىٰ تصيبه**»، فإذا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان.

والشهادة بالجنَّة نوعان: لموصوف، ولمعين.

فالشَّهادة للموصوف هي ذكر الصفة الموجبة لدخوله الجنَّة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٧].

وأما الشهادة للأعيان فهي شهادة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ للأشخاص بأعيانهم أنهم في الجنَّة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّه لا يُقطع لمُعيَّن بالجنَّة، إلا الذي نصَّ الشارع علىٰ تعيينهم؛ كالعشرة، وابن سلام، والغميصاء، وبلال، وسُراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقُرَّاء السَّبعين الذين قُتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء».

ومن الذين شهد لهم الوحي بأعيانهم أنَّهم في الجنَّة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين بايعوا رسول الله ﷺ في الحديبية علىٰ الجهاد وعلىٰ ألَّا يفرُّوا حين بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن عفَّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتله المشركون، وكان قد بعثه رسولًا إليهم.

ففي الصَّحيحين عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: كنا يوم الحديبية ألفًا وأربع مئة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أنتم خير أهل الأرض اليوم**».

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ، أنَّه قال: «**لا يدخل النَّار أحدٌ ممَّن بايع تحت الشجرة**»، رواه أحمد ومسلم.

وقد شهد الله لأهل بيعة الحديبية بالجنة والرضوان؛ قال تعالىٰ: ﴿۞ **لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [سورة الفتح: ١٨].

وقد شهد النبي ﷺ لأعيان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالجنة، وبشَّرهم بمنازلهم فيها؛ ففي الصَّحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «**بينا أنا نائم في الجنة، فإذا امرأة تتوضَّأ إلىٰ جانب قَصْر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فولَّيْتُ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٤٨).

مُدْبِرًا»، فبكىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟

ومن شهد لهم النبيُّ ﷺ بأعيانهم أنَّهم في الجنة بلال؛ ففي الصَّحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لبلال: «**حدِّثني بأرجىٰ عمل عملته في الإسلام، فإنِّي سمعت الليلة خشف نعليك بين يديَّ في الجنَّة**»، قال بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما عملت عملًا في الإسلام أرجىٰ عندي، من أنِّي لا أتطهَّرُ طهورًا تامًّا في ساعة من ليل ولا نهار إلَّا صَلَّيْتُ بذلك الطُّهور ما كتب الله لي أن أُصلِّي.

وأي فضيلة أعظم من الطهور والصلاة؛ فإنَّها أسنان مفتاح الجنَّة، وعلم الإيمان.

وعامَّة الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مشهود لهم بالجنَّة، فهم الذين خرجوا للجهاد في غزوة تبوك، وقد قال الله في فضلهم: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ اللَّهُ في دلالة الآية[١]: «شاهد لكل من حضر مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك من أصحابه بالجنة، فيكونوا مضمومين إلىٰ العشرة المشهود لهم بها.

وكل من شهد غزوة تبوك من أصحاب رسول الله ﷺ فهو معه في الجنة، علىٰ ما كان فيه شهادة هذه الآية له، وهي حقٌّ».

وعن أبي صخر حميد بن زياد قال: أتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له: ما قولك في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: جميع أصحاب رسول الله ﷺ في

(١) نكت القرآن الدالَّة علىٰ البيان (١/ ٥٦٧، ٥٦٨).

الجنَّة، مسيئهم ومحسنهم، فقلت له: من أين تقول هذا؟ فقال: اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]، إلىٰ أن قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]، ثم قال: شرط للتَّابعين شريطة، وهو قوله: ﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ومعناه: أَنَّهم اتَّبعوهم في أفعالهم الحسنة دون السيِّئة، قال أبو صخر: وكأنِّي لم أقرأ هذه الآية قطُّ[(١)].

والصَّحابة لا ريب أنَّهم أهل الجنَّة، قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قال النبي ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من أمَّتي**»، فإذا لم يكن أصحاب النبي ﷺ، فمن يكون؟!».

وليس من شرط المشهود لهم بالجنَّة العصمة من السيِّئات، ناهيك أنَّ كثيرًا ممَّا يُروىٰ عنهم كذب، وما أخطئوا فيه تابوا منه، ولهم من الحسنات ما يكون سببًا في مغفرة سيئاتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «ما يُذكر عن الصَّحابة من السيِّئات كثير منه كذب، وكثير منه كانوا مجتهدين فيه، ولكن لا يعرف كثير من الناس وجه اجتهادهم، وما قُدِّر أنَّه كان فيه ذنب من الذنوب لهم فهو مغفور لهم إمَّا: بتوبة، وإمَّا بحسنات ماحية، وإمَّا بمصائب مكفِّرة، وإمَّا بغير ذلك، فإنَّه قد قام الدَّليل الذي يجب القول بموجبه: إنَّهم من أهل الجنَّة، فامتنع أن يفعلوا ما

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٢/ ٣٤٢).

(٢) المسائل، رواية عبد الله (ص٤٤١).

(٣) منهاج السنَّة (٤/ ٣١٠، ٣١١).

يوجب النَّار لا محالة، وإذا لم يمت أحد منهم علىٰ موجب النَّار لم يقدح ما سوىٰ ذلك في استحقاقهم للجنَّة».

❁ ❁ ❁

٤١- ألزم الخلق لكلمة التَّقوى

وأعظم فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنَّهم ألزم الخلق بكلمة التَّقوىٰ، وهذه شهادة الله لهم بذلك، وهذه هي أمُّ الفضائل؛ فإنَّ شرائع الإسلام وخصال الخير وأعمال البرِّ ينبوعها وأساسها كلمة التَّقوىٰ كلمة التَّوحيد.

قال تعالىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٦].

وهذه الآية نزلت في النبي ﷺ والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين كانوا معه في صلح الحديبية.

قال عليٌّ وابن عبَّاس وابن عمر والمسور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: كلمة التَّقوىٰ هي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له[١].

فكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الموحدين بشهادة الله لهم في ذلك، وكل من تحقَّق بالتَّوحيد فهو من أهلها بمقدار توحيده.

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: لا إله إلا الله، ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ كان المسلمون أحقَّ بها وكانوا أهلها».

(١، ٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/ ٣٠٣).

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كلمة التقوىٰ هي الكلمة التي يتقىٰ الله بها، وأعلىٰ أنواع هذه الكلمة هي قول: لا إله إلا الله، ثم كل كلمة يتقىٰ الله بها بعدها فهي من كلمة التقوىٰ، وقد أخبر سبحانه أنه ألزمها عباده المؤمنين فجعلها لازمة لهم لا ينفكون عنها، فبإلزامه التزموها، ولولا إلزامه لهم إياها لما التزموها، والتزامها فعل اختياري تابع لإرادتهم واختيارهم؛ فهو الملزم وهم الملتزمون».

فالآية تضمَّنت تزكية الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالتَّوحيد، وشدَّة اتصافهم به، واصطفاء الله لهم لدينه.

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «معنىٰ إضافتها - كلمة التَّوحيد - إلىٰ التَّقوىٰ: أنَّها سبب التَّقوىٰ، أو كلمة أهل التقوىٰ.

فإن قيل: ما معنىٰ إلزامهم إياها؟

قلت: اتِّصافهم بها، وشدَّة ملازمتهم لها.

فإن قيل: لم سُمِّيت كلمة التقوىٰ؟

قلت: لأنَّهم يتَّقون بها غضب الله وعذابه.

فإن قيل: ما من أحد إلا وهو حقيق بقول: لا إله إلا الله، فما معنىٰ قوله: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ﴾ [سورة الفتح: ٢٦]؟

قلت: هو إشعار بأنَّ الله تعالىٰ اصطفاهم لدينه، وأخلصهم لمعرفته، وأهَّلَهم لتوحيده، فكانوا أحقَّ بها لموضع اصطفاء الله تعالىٰ إياهم، حيث جعلهم من أهل السعادة».

---

(١) بدائع التفسير (٢/ ٤٥٩).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٧/ ٣١٥، ٣١٦).

٤٢- أعظم الخلق توقيرًا للنبي ﷺ

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أعظم الخلق تحقيقًا لشهادة أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، فهم من أشد النَّاس اتِّباعًا للنَّبي ﷺ وولاءً ومحبَّةً وتوقيرًا له.

وقد أمر الله المؤمنين جميعًا بالإيمان برسول الله ﷺ وطاعته ونصرته وتوقيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.

والتَّوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التَّشريف والتَّكريم والتَّعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار».

وتوقير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للنبي ﷺ؛ يصفه عروة بن مسعود الثَّقفي وهو لم يسلم وقت وصفه: «جئت كسرىٰ وقيصر والنجاشي في ملكهم، ما رأيت ملكًا قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قومًا لا يُسلمونه لشيءٍ أبدًا».

وكان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من أشدّ الخلق توقيرًا للنَّبي ﷺ إذا حضروا مجلسه، كانوا يتلقَّون عنه العلم بأدب جم وخلق عظيم، فكانوا يجلسون حوله كأنَّما علىٰ رؤوسهم الطَّير، رواه أبو داود من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) الصارم المسلول (ص٤٢٢).

قال العلامة أبو بكر بن الأنباري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «في هذا قولان: أحدهما: أن يكون المعنىٰ أنَّهم يسكنون فلا يتحركون، ويغضون أبصارهم، والطير لا يقع إلا علىٰ ساكن.

يقال للرَّجل إذا كان حليمًا وقورًا: إنَّه لساكن الطير؛ أي: كأنَّ علىٰ رأسه طيرًا لسكونه.

والقول الثَّاني: إنَّ الأصل في قولهم: «**كأنَّ علىٰ رؤوسهم الطير**»: أنَّ سليمان بن داود - عليهما السلام - كان يقول للرِّيح: أَقِلِّينا، وللطَّير: أَظِلِّينا، فتقِلُّه وأصحابه الرِّيح، وتظلُّه الطير.

فكان أصحابه يغضون أبصارهم هيبةً له وإعظامًا، ويسكنون فلا يتحركون، ولا يتكلمون بشيء إلا أن يسألهم عنه فيجيبوا، فقيل للقوم إذا سكنوا: هم علماء وقرَّاء كأنَّما علىٰ رؤوسهم الطَّير».

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ كان يخرج علىٰ أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فلا يرفع أحد منهم إليه بصره، إلا أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فإنَّهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما، ويتبسَّمان إليه ويتبسم إليهما، رواه التِّرمذي.

قال الحافظ ابن ناصر الدِّين الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هذا من تواضع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، الذي هو خفض أبصارهم، واستعمالهم السكينة والوقار في مجلسه».

وحقيقة التَّوقير للرَّسول ﷺ الائتمام بالوحي الذي بُعث به، فتكون أقوالنا تبعًا للوحي الذي جعله الله نورًا وهدًىٰ للنَّاس، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

---

(١) جامع الآثار في السِّير ومولد المختار (٥/ ٢١٣، ٢١٤).

(٢) جامع الآثار في السِّير ومولد المختار (٥/ ١٦٦).

تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحُجُرات: ١]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «هذه آيات أدَّب الله بها عبادَه المؤمنين، فيما يُعاملون به الرَّسول ﷺ من التَّوقير والاحترام، والتَّبجيل والإعظام، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾؛ أي: لا تُسرعوا في الأشياء بين يدَيه - أي: قبله - بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور».

ومحبة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ للنبي ﷺ كانت في اتِّباعه ﷺ، وكان توقيره وطاعته هو من إجلال الله عَزَّ وَجَلَّ الذي أمر بطاعته.

قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «المحبة لا تنفك عن تعظيم وإجلال للمحبوب، ولكن يضاف إلىٰ كل ذات بحسب ما تقتضيه خصائص تلك الذات، فمحبة العبد لربه تستلزم إجلاله وتعظيمه، وكذلك محبة الرسول ﷺ تستلزم توقيره وتَعْزيره وإجلاله، وكذلك محبة الوالدين والعلماء وملوك العدل، وأما محبة الربِّ عبده فإنَّها تستلزم إعزازه لعبده، وإكرامه إياه، والتنويه بذكره، وإلقاء التعظيم والمهابة له في قلوب أوليائه، فهذا المعنىٰ ثابت في محبته وحمدِه لعبدِه، سُمِّي تعظيمًا وإجلالًا أو لم يُسَمَّ».

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٧).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٥٣٧، ٥٣٨).

٤٣- المخلصون

ومن فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ التي شهد الله لهم بها؛ الإخلاص في الأعمال، قال تعالىٰ في وصفهم: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الفتح: ٢٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصَفهم بالإخلاص فيها لله عَزَّوَجَلَّ، والاحتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة علىٰ فضل الله وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالىٰ عنهم، وهو أكبر من الأول، كما قال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة التوبة: ٧٢]».

وقد وصف الله الأنصار بالإخلاص في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، قال العلامة أبو بكر الغساني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٩٨هـ)[(٢)]: «أي: تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان».

والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سيدهم في التَّقوىٰ والإخلاص وسابقهم في كل خير وفضل؛ أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نعته الله بذلك في القرآن فقال سبحانه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٥).

(٢) نزهة الأبصار في فضائل الأنصار (ص٢١٦).

﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾ [سورة الليل: ١٤-٢١].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: « ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾، أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال الواحدي: يعني: أبا بكر، في قول الجميع.

ثم وصفه فقال: ﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾، يطلب أن يكون عند الله زاكيًا، لا يطلب رياءً ولا سمعة».

والصَّحابي من حين يُسلم تراه مجاهدًا في سبيل الله بماله ونفسه، لا يدع غزوة أو مقام إلا وينصر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «في الجهاد أيضًا حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفي الدار الدنيا، وفيه أيضًا: حقيقة الإخلاص؛ فإنَّ الكلام فيمن جاهد في سبيل الله، لا في سبيل الرياسة، ولا في سبيل المال، ولا في سبيل الحمية، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، وأعظم مراتب الإخلاص: تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة: ١١١]».

❁ ❁ ❁

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٦٦١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٤٤٢، ٤٤٣).

٤٤- أشداء على الكفار رحماء على المسلمين

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من أخصِّ صفاتهم وأفضل محاسنهم؛ الرحمة للمؤمنين والشدَّة علىٰ الكافرين، وذلك لأنَّهم أعظم الخلق إيمانًا وموالاة في الله، وحبًّا وبغضًا فيه.

قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «يخبر تعالىٰ عن محمد – صلوات الله وسلامه عليه – أنَّه رسوله حقًّا بلا شكٍّ ولا ريب، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل علىٰ كل وصف جميل، ثم ثنىٰ بالثناء علىٰ أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا علىٰ الكفار، رحيمًا برًّا بالأخيار، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضحوكًا بَشُوشًا في وجه أخيه المؤمن، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٤، ٣١٥).

فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ [سورة التوبة: ١٢٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالحمَّىٰ والسهر**»، وقال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضه بعضًا**»، وشبَّك بينَ أصابعه، كلا الحديثين في «الصحيح»».

❁ ❁ ❁

٤٥- حسن الهيئة والوقار

من فضائل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ التي أبهرت الكافرين فضلًا عن المؤمنين؛ حسن السَّمت والهدي والوقار.

وحسن السَّمت باعثه الإيمان، والتخلق بهدي القرآن، قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الهدي الصالح، والسَّمْت الصَّالح، والاقتصاد؛ جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة**»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هَدْيُ الرَّجل: حاله ومذهبه، وكذلك سمته، والاقتصاد: سلوك القصد في الأمور، والدُّخول فيها برفق، علىٰ سبيل يمكن الدَّوام عليها».

والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اجتمع فيهم حسن القصد مع حسن السَّمت مع الفقه في الدِّين، فكان العلم مادَّة حسن هيئتهم وسلوكهم وآدابهم وأخلاقهم.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «حسن السَّمت والفقه في الدِّين من أخصِّ علامات الإيمان».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا

---

(١) شرح السنَّة (١٣/ ١٧٧).

(٢) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٢٠٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٦).

زهير، حدثنا قابوس بن أبي ظَبْيان: أنَّ أباه حدَّثه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي - ﷺ -، قال: «**إنَّ الهَدْي الصالح، والسَّمتَ الصَّالح، والاقتصاد؛ جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة**»، ورواه أبو داود عن عبد الله بن محمد النُّفَيلي عن زهير؛ به.

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خلصت نيَّاتهم وحسنت أعمالهم، فكلُّ من نظر إليهم أعجبوه في سَمْتهم وهَدْيهم.

وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: بلغني أنَّ النصارىٰ كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: «والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا». وصدقوا في ذلك، فإنَّ هذه الأمة معظَّمةٌ في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله - ﷺ -».

ومن المأثور عن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في التَّوجيه والنَّصيحة لحسن السَّمت؛ قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا النَّاس يُفطرون، وببكائه إذا النَّاس يضحكون، وبورعه إذا النَّاس يخلطون، وبصمته إذا النَّاس يخوضون، وبخشوعه إذا النَّاس يختالون، وبحزْنه إذا النَّاس يفرحون».

وقال أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّكم تغدون وتروحون لأَجل معلوم، فمن استطاع أن يقضيَ الأجل وهو في عمل الله عَزَّوَجَلَّ فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلَّا بالله عَزَّوَجَلَّ.

إنَّ قومًا جعلوا آجالهم لغيرهم، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم؛ ﴿وَلَا تَكُونُواْ

﴿كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر: ١٩٥]، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدِموا علىٰ ما قدَّموا في أيام سلفهم، وخلَوا بالشِّقْوة والسَّعادة، أين الجبَّارون الأوَّلون الذين بنوا المدائن وحصَّنوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصَّخر والآبار، هذا كتاب الله لا تفنىٰ عجائبه، فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه، إنَّ الله أثنىٰ علىٰ زكريَّا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠]، لا خير في قول لا يُراد به وجه الله، ولا خير في مال لا يُنفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم»، رواه الطَّبراني في «المعجم الكبير»(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده جيد»، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١٨).

٤٦- المتطهِّرون

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم الذين أثنىٰ الله عليهم في طهارتهم، فقال سبحانه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٨]، وهذا من أعظم خصال الخير فيهم، فإنّ «**الطهور شطر الإيمان**»، رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والطَّهارة نوعان: الطهارة من الشِّرك، وعليها يتأسس النوع الثَّاني من الطَّهارة من النَّجاسات والأحداث.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «إنَّ الطُّهر طُهْران: طُهر بالماء من الأحداث والنَّجاسات، وطُهر بالتَّوبة من الشِّرك والمعاصي، وهذا الطُّهور أصل لطهور الماء، وطهور الماء لا ينفع بدونه».

فالصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أسلموا فاهتدوا وتطهروا من رجس الشِّرك، كما أمرهم الله تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]، وقاموا بتطهير جزيرة العرب من الشِّرك، وأزالوا الأصنام من حول الكعبة، فطهروا البيت للحاج والمعتمر والطائف والمصلي.

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١١٩).

٤٧- الصادقون

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين صدقوا الله عهودهم له، قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣].

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم الصادقون الذين صدقوا اعتقادهم بالقول والعمل.

قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [سورة الحشر: ٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «خرجوا من ديارهم، وخالفوا قومهم؛ ابتغاء مرضاة الله ورضوانه، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [سورة الحشر: ٨]، أي: هؤلاء الذين صدَّقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥].

فقد كان إيمان الصحابة لا ريب فيه، اعتقاد جازم حققوه بإقامة أركان الإيمان وشعبه وشرائع الإسلام وشعائره.

قال العلامة أبو المظفر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥١١).

(٢) تفسير القرآن (٥/ ٢٣١، ٢٣٢).

بمعنىٰ هم المحققون في الإيمان، فكأنَّه لما ذكر المنافقين في الآية الأولىٰ ذكر صفة المؤمنين المحققين في هذه الآية لتكون الرغبة إليه».

وكل من له لسان صدق في الأمة فقد شهد بصدق الصحابة، فخلف الأمة شاهد لسلفها بالصدق.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كل من له لسان صدق من مشهور بعلم أو دين؛ معترف بأن خير هذه الأمة هم الصَّحابة، وأنَّ المُتَّبع لهم أفضل من غير المُتَّبع لهم».

وقد شهد سادات آل البيت بالصدق للصحابة، والمآل في الجنة مع سيد الصَّادقين من المخلوقين، قال القاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنَّ عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا اشتكت، فجاء ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فقال: يا أُمَّ المؤمنين، تَقْدَمينَ علىٰ فرط صدق، علىٰ رسول الله ﷺ وعلىٰ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: ««علىٰ فرط» بفتح الفاء والراء بعدها مهملة، وهو المتقدم من كل شيء، قال ابن التين: فيه أنَّه قطع لها بدخول الجنة؛ إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف».

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ نصر الله بهم الإسلام، أقاموا شرع الله وشرائعه فنصرهم الله، ولم يتركوا نصرة الله في موطن ولا مقام، فنصر الله بهم الإسلام حين تولىٰ

(١) شرح الأصبهانية (ص٣٩٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة (ص ٦٣٣، رقم ٣٧٧١).

(٣) فتح الباري (٧/ ١٣٦).

أقوام اشترطوا على رسول الله ﷺ أن ينصروه من العرب دون كسرى، فقال لهم النبيُّ ﷺ: «**إنَّ دين الله لن ينصره إلا من أحاط به من جميع الجهات**» رواه البيهقي في دلائل النبوة[١]، فكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم القوم.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الصَّادقون، صدقوا في إسلامهم، فأقاموا التَّوحيد، وتركوا الشِّرك والمشركين، وبرئوا منهم، ووالوا الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ، وصار الإسلام والرَّسول والمسلمون وديارهم أحب إليهم من دين الكافرين وديارهم.

أسلم ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة، فقال لرسول الله ﷺ حين أسلم: يا رسول الله! والله لقد قدمت عليك، وما على وجه الأرض أبغض إليّ من وجهك، ولا دين أبغض إليّ من دينك، ولا بلد أبغض إليّ من بلدك، وما أصبح على الأرض وجه أحبّ إليّ من وجهك، ولا دين أحبّ إليّ من دينك، ولا بلد أحبّ إليّ من بلدك[٢].

❁ ❁ ❁

(١) حسنه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (٧/ ٢٢٠).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص١٣٦).

٤٨- السابقون للخيرات

ومن أعظم أسباب خيرية الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ استباقهم الخيرات، وذلك من أفضل ما يكون من قوة العزيمة علىٰ الطَّاعات، وفضل من فضل من المسلمين بحسب ما أوتيه من العزم علىٰ الخير والمبادرة في أدائه، وبذلك كان أولو العزم من الرسل أفضل الخلق.

ومن المقامات الدَّالَّة علىٰ استباق الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فعل الخيرات؛ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قال: جاء فقراء المهاجرين، فقالوا: يا رسول الله! ذهب أهل الدُّثُور بالدَّرجات العُلىٰ والنَّعيم المقيم، فقال النبي ﷺ: «**وما ذاك؟**»، قالوا: يصلُّون كما نُصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون ولا نتصدَّق، ويعتِقُون ولا نُعتق.

قال ﷺ: «**أفلا أعلِّمكم شيئًا إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم؟ تسبِّحون وتَحْمدون وتكبِّرون دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثًا وثلاثين**».

قال: فقالوا: يا رسول الله! سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله.

فقال: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**».

وأما استباق الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ للجهاد في سبيل الله؛ فذلك الخير الذي لا يدانيهم فيه أحد، ولا يدرك أحد شأوهم فيه، وهو أشهر من أن يذكر، وحسبي

هنا أن أشير إلىٰ نماذج من ذلك.

فبعد انتهاء النبي ﷺ من غزوة الأحزاب انتدب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لجهاد بني قريظة، وقال: «**لا يصلينَّ أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**»، رواه البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فبادر الصَّحابة إلىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وخرجوا مسارعين إلىٰ جهاد اليهود، فمنهم من صلَّىٰ العصر في الطَّريق، ومنهم من صلّاها في بني قريظة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «بادروا إلىٰ امتثال أمره، ونهضوا من فورهم».

وغزوة تبوك التي هي من أشقّ الغزوات لبعد الشقّة فيها، واشتداد حرّ الصيف وقتها، خرج إليها كل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ القادرون، ومن بقي بالمدينة من المعذورين شاركوا في الثَّواب من خرج مجاهدًا، قال فيهم النبيُّ ﷺ: «**إنَّ بالمدينة لأقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم، حبسهم العذر**»، رواه البخاري.

وكانت النفقة في الخروج للغزوة غير متيسرة لبعض الصحابة؛ كالأشعريين الذين سألوا النبي ﷺ أن يحملهم إلىٰ الغزو، فاعتذر إليهم أنه لا يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدَّمع، وذلك لشدَّة حرصهم علىٰ الجهاد ورغبتهم فيه، ثم يسَّر الله النفقة بعد، وأعطاهم النبي ﷺ ما يركبون عليه للخروج للجهاد في سبيل الله.

وتخلَّف عن تلك الغزوة من الصحابة: كعب بن مالك، ومُرارة بن الرَّبيع

(١) زاد المعاد (٣/ ١٥٤).

العامري، وهلال بن أُميَّة الواقفي، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وكانوا غُلبوا علىٰ الخروج بالتَّسويف لا رغبةً عن الجهاد ولا تخلف نفاق، فتاب الله عليهم.

علىٰ كل حال استباق الخيرات ينبغي أن يكون وصف كل مسلم، روىٰ البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجنة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، والنَّار مثل ذلك**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «في هذا الحديث دليل علىٰ اقتراب الخير والشرّ من الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك؛ فلهذا حثَّه الله علىٰ المبادرة إلىٰ الخيرات، من فعل الطَّاعات، وترك المحرمات».

ومن المأثور عن السلف ممَّن تبعوا الصحابة بإحسان في استباق الخيرات قول عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «لا أرىٰ لله حقًّا إلا سارعت إليه حتىٰ أقوم به».

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٧٧).

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية (١/ ٤٤٥).

٤٩- المؤمنون حقًّا

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اجتمعت فيهم خصال المتَّقين، أدوا حق الله وحقّ عباده، نعتهم الله في القرآن بأفضل النعوت وخير خصال الإيمان.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة الذاريات: ١٥-١٩].

قال العلامة أبو المظفَّر السَّمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٨٩هـ)**[١]: «قد كان قيام الليل من دأب أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين من بعد.

روي عن العباس بن عبد المطّلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان جارًا لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: عجبًا لعمر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - نهاره صيام وحوائج النَّاس، وليله قيام، وعن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان يصلِّي أكثر الليل، وعن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان يحيي الليل بركعة، وهي وتره، وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه كان لا ينام من الليل إلا القليل، وعن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان إذا مال إلىٰ فراشه يكون كالحيَّة علىٰ المقلاة، ثم يقول: إنَّ النَّار منعتني النَّوم، ثم يقوم فيصلِّي حتىٰ يصبح.

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا معروف «أنَّه كان يقوم الليل

(١) تفسير القرآن (٥/ ٢٥٤).

ويصوم النَّهار»».

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هم المؤمنون حقًّا، هذه شهادة الله لهم جميعًا، كلهم تحققوا بوصف الإيمان، وأتوا بشعبه وتحققوا بخصاله، فكانوا مؤمنين حقًّا، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٧٤].

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أي: المؤمنون من المهاجرين والأنصار ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾؛ لأنّهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين.

﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من الله تمحىٰ بها سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، ﴿وَ﴾ لهم ﴿رزق كريم﴾ أي: خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم».

وذكر الله من أحوال الصحابة ما يدل علىٰ تحققهم بالإيمان، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الأنفال: ٢-٤].

إيمان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الحقيقي هو السبب الذي قاموا به بشرائع الإسلام وشعب الإيمان، وبهم قام الإسلام بتعليمه والدَّعوة إليه والجهاد في حفظه وإقامته.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٣٣٨).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الإيمان الحقيقي هو الذي يحمل صاحبه علىٰ فعل ما ينفعه وترك ما يَضُرُّهُ، فإذا لم يفعل هذا ولم يترك هذا؛ لم يكن إيمانه علىٰ الحقيقة، وإنما معه من الإيمان بحسب ذلك فإن المؤمن بالنار - حقيقة الإيمان حتىٰ كأنه يراها - لا يسلك طريقها الموصلة إليها، فضلًا عن أن يسعىٰ فيها بجهده، والمؤمن بالجنة - حقيقة الإيمان - لا تطاوعه نفسه أن يقعد عن طلبها، وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه فيما يسعىٰ فيه في الدنيا من المنافع أو التخلص من المضار».

وأما المنافقون الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإيمان؛ أحوالهم أظهرت نفاقهم، فكانوا يُظاهرون الكافرين علىٰ قتال المؤمنين، وكانوا يتخلفون عن الصلاة، وإذا قاموا إليها قاموا كسالىٰ، وكانوا لا يذكرون الله إلا قليلًا، وكانوا يتخلفون عن الجهاد نفاقًا، وكانوا يستهزئون بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وبآيات الله، وكانوا يلمزون المؤمنين في عباداتهم وصدقاتهم، ويقذفونهم بما هم برآء منه، فيقولون عنهم: أشبع بطونًا وأجبن عند اللقاء، وهذه نعوتهم وأدواؤهم يرمون بها المؤمنين، إلىٰ غير ذلك مما ظهر به حقيقة نفاقهم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلىٰ المؤمنين، وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم القرآن وغير ذلك، وإن كان

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٨٤٨).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٣٥٨).

النبي ﷺ لا يعرف كلًّا منهم بعينه، فالذين باشروا ذلك كانوا يعرفونه.

والعلم بكون الرجل مؤمنًا في الباطن، أو يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو مشركًا؛ أمر لا يخفىٰ مع طول المباشرة، فإنه ما أسرّ أحد سريرة إلا أظهرها الله علىٰ صفحات وجهه وفلتات لسانه.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٠]، وقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [سورة محمد: ٣٠]، فالمضمر الكفر لا بد أن يعرف في لحن القول، وأما بالسيما فقد يعرف وقد لا يُعرف، وقد قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠].

والصحابة المذكورون في الرواية عن النبي ﷺ، **والذين يعظمهم المسلمون علىٰ الدين، كلهم كانوا مؤمنين به، ولم يعظم المسلمون - ولله الحمد - علىٰ الدين منافقًا.**

والإيمان يعلم من الرجل كما يعلم سائر أحوال قلبه من موالاته ومعاداته، وفرحه وغضبه، وجوعه وعطشه، وغير ذلك، فإن هذه الأمور لها لوازم ظاهرة، والأمور الظاهرة تستلزم أمورًا باطنة».

وبعد أن بلّغ رسول الله ﷺ شرع الله كله إلىٰ النَّاس، وآمن به وأقام شرائعه وشعبه الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، تمدّح الله نفسه بإكمال الدِّين وأثنىٰ علىٰ الصَّحابة بالتَّحقق به، وأخبر برضاه بالإسلام الذي شرعه سبحانه وأقامه الصحابة.

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**[(١)]:

«قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [سورة المائدة: ٣].

وذلك أنه لما علم الله عَزَّوَجَلَّ الصدق منهم في إيمانهم والعمل بجميع ما افترضه عليهم من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت، وما بذلوه من مهج أنفسهم ونفقات أموالهم والخروج عن ديارهم وهجران آبائهم وقطيعة أهليهم وهجران شهواتهم ولذاتهم مما حرمها عليهم، وعلم حقيقة ذلك من قلوبهم بما زينه الله تعالىٰ في قلوبهم وحببه إليهم من طاعته والعمل بأوامره والانتهاء عن زواجره، سمىٰ هذه الأفعال كلها إيمانًا، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ﴾ [سورة الحجرات: ٧، ٨]، فاستحقوا اسم الرشاد بإكمال الدين».

❁ ❁ ❁

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٧٧٥، ٧٧٦).

٥٠- رضي الله عنهم

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم المرضيون عند الله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

ورضوان الله أكبر نعيم وأعظم ثواب، قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالىٰ: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ربنا وما لنا لا نرضىٰ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: إنِّي أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**».

وخبر الله برضاه عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [سورة المائدة: ١١٩]؛ فيه إفادة أنّهم سيوافونه بموجبات الرضىٰ؛ لأنَّ هذا خبر من الله، وأخبار الله لا يدخلها النسخ، والله أصدق قيلًا وحديثًا وكلامًا.

وحظ من بعد الصحابة من رضا الله بقدر إحسانهم في اتِّباع السَّابقين الأوَّلين، فالإحسان في اتِّباع المرضي عنهم من موجبات رضا الله.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الأتباع السعداء فنوعان:

أتباع لهم حكم الاستقلال، وهم الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠]، فهؤلاء هم السُّعداء الذين ثبت لهم رِضَا الله عنهم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، وكل من تبعهم بإحسان، وهذا يَعُمُّ كل من اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم القيامة، ولا يختصُّ ذلك بالقرن الذين رأوهم فقط، وإنَّما خُصَّ التَّابعون بمن رأىٰ الصَّحابة تخصيصًا عُرفيًّا؛ ليتميزوا به عمن بعدهم، فقيل: التَّابعون، مطلقًا لذلك القرن فقط، وإلَّا فكل من سلك سبيلهم فهو من التَّابعين لهم بإحسان، وهو ممَّن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وقيَّد سبحانه هذه التَّبعيَّة بأنَّها تبعيَّة بإحسان، ليست مطلقة فتحصل بمجرد النسبة والاتباع في شيء والمخالفة في غيره، ولكن تبعية مصاحبة للإحسان؛ فإنّ الباء هنا للمصاحبة.

والإحسان في المتابعة شرط في حصول رضا الله عنهم وجنَّاته».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من

(١) الرسالة التَّبوكية (ص٥٩، ٦٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٥٩).

أبغضهم أو سَبَّهم، أو أبغض أو سبَّ بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم، أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل علىٰ أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبُّون من رضي الله عنهم؟

وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون».

❁ ❁ ❁

٥١- عبودية الله

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم العابدون، وهذه الفضيلة هي أم الفضائل، وهي حقيقة الإيمان، وهي حقيقة الأمر كله، وهو توحيد الله.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

قال العلامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «حسبك من آية جمعت كل قول طيب، وكل عمل صالح، قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]، فإنّه جمع في هذه الآية القول والعمل والإخلاص والطاعة لعبادته وطاعته والإيمان به وبكتبه وبرسله، وما كانوا عليه من عبادة الله وطاعته.

فهل للعبادة التي خلق الله العباد لها عمل غير عمل من الإيمان، فالعبادة من الإيمان هي أو من غير الإيمان؟

فلو كانت العبادة التي خلقهم الله لها قولًا بغير عمل لما أسماها عبادة، ولسماها قولًا، ولقال: وما خلقت الجن والإنس إلا ليقولون، وليس يشك العقلاء أن العبادة خدمة، وأنّ الخدمة عمل، وأنّ العامل مع الله عَزَّوَجَلَّ إنَّما عمله: أداء الفرائض، واجتناب المحارم، وطاعة الله فيما أمر به من شرائع الدين وأداء الفرائض».

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٧٩٣).

وقد امتدح الله الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لتألُّههم وعبوديَّتهم له، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة فاطر: ٢٩، ٣٠].

قال السدّي رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «هم أصحاب محمد ﷺ».

وامتدح الله عبودية الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لقنوتهم، وهو دوام طاعتهم، وخشوعهم لله، وتألُّههم له آناء النهار والليل، وعبادتهم لله بالاتباع لا بالابتداع، فكانت عبوديَّتهم لله على الرَّجاء لله والخوف منه.

قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزُّمَر: ٩].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: القانت المطيع لله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ(٢).

وقال الحسن وقتادة رحمهما الله: آناء الليل: أوّله وأوسطه وآخره(٣).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ [سورة الزمر: ٩]؛ أي: في حال عبادته خائف راج، ولابد في العبادة من هذا وهذا».

وعن يحيىٰ البكَّاء أنَّه سمع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قرأ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ذاك عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»، رواه ابن أبي حاتم.

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٢٨٩).

(٢، ٣، ٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٩٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إنَّما قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته، حتىٰ إنَّه ربما قرأ القرآن في ركعة».

وامتدح الله الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بانتفاعهم من سماع القرآن، وزيادة إيمانهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قلوبهم مخبتة لله عَزَّ وَجَلَّ، تلين إلىٰ ذكر الله، فتنقاد جوارحهم لأمره ونهيه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

قال عبد الله بن عروة بن الزبير: قلت لجدَّتي أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرءوا القرآن؟

قالت: كانوا كما نعتهم الله عَزَّ وَجَلَّ تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم.

قال عبد الله بن عروة: فإنّ أناسًا هاهنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية!

فقالت أسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أعوذ بالله من الشيطان[(٢)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٩٨).

(٢) رواه سعيد بن منصور (٣/ ٣٣٠ – رقم ٩٥)، بإسناد صحيح.

فالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كان تنسكهم شرعيًّا، ومن اتَّبعهم بإحسان لم يخالف إلىٰ الابتداع في العبادات.

فالصَّحابة تلين قلوبهم وتقشعر جلودهم من ذكر الله، والمبتدعة من بعدهم كانت تذهب عقولهم.

قال قتادة رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «هذا نعت أولياء الله تعالىٰ، تقشعر جلودهم وتلين قلوبهم، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنَّما هذا في أهل البدع، وهذا من الشَّيطان».

وأما عبادتهم في الصلاة المفروضة فقد كانوا أقوم الخلق بأدائها بأركانها وواجباتها وشروطها، وأدائها حيث يُنادىٰ بها.

وكانوا من حرصهم علىٰ أدائها في الجماعة يأتون بالرجل يُهادىٰ به بين الرَّجلين حتىٰ يقام في الصفِّ.

وأما عبادتهم في صلاة النَّافلة، فقيامهم ليالي رمضان كانوا فيه أحسن الخلق نسكًا، قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «في «الموطَّأ» عن السائب بن يزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «أمر عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أُبيَّ بن كعب وتميمًا الداريَّ أن يقوما للنَّاس بإحدىٰ عشرة ركعة»، وكان السَّلف الصَّالح يطيلونها جدًّا، ففي حديث السائب بن يزيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كان القارئ يقرأ بالمئين - يعني: بمئات الآيات - حتىٰ كُنَّا نعتمد علىٰ العصيِّ من طول القيام».

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٥٤١).

(٢) مجالس شهر رمضان (٢٩، ٣٠).

٥٢- المرحومون

امتدح النبي ﷺ أمَّته، وأخبر أنَّها أمَّة مرحومة، والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم سادات الأمَّة المرحومة.

عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إنَّ الله إذا أراد رحمة أمَّة من عباده قبض نبيّها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمَّةٍ عذَّبها ونبيُّها حيٌّ، فأهلكها وهو ينظر، فأقرَّ عينيه بهلكتها حين كذَّبوه وعصوا أمره»**، رواه مسلم.

قال العلامة حسين بن محمد الطيِّبي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٧٤٣هـ)**[١]: «قوله: «**وسلفًا بين يديها**» نه[٢]: قيل: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التَّابعين السَّالف الصَّالح».

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أول من آمن بنبي الرحمة واتبعوه، فنالهم الله برحمته لذلك، قال الله تعالىٰ في صفة رسوله محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد ذكر الله خصال الخير في أكمل طاعات الصحابة التي نالوا بها رحمة

---

(١) شرح مشكاة المصابيح (١١/ ١٩٥).

(٢) رمز لابن الأثير الجزري للنهاية في غريب الحديث.

الله؛ ليكون ذلك باعثًا للمسلمين للأخذ بأسباب الرحمة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

ونال الصحابة رحمة الله بتقواهم لله، فكانوا أتقىٰ الخلق؛ قال تعالىٰ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

❁ ❁ ❁

٥٣- أدَّوا الذي عليهم

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أدوا الذي عليهم، فآمنوا بالله عز وجل وعبدوه ونصروه، واتبعوا رسوله ﷺ ونصروه.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أدوا الذي عليهم دعوة وجهادًا ونصيحة لله عَزَّوَجَلَّ وكتابه ورسوله ﷺ وسنته، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أدوا الذي عليهم من حق الله عَزَّوَجَلَّ وحقوق عباده.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: صعد النبي ﷺ المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمَّ قال: «**أوصيكم بالأنصار؛ فإنَّهم قد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»(١).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «قوله: «**وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم**»، يشير إلىٰ ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة، فإنَّهم بايعوا علىٰ أن يؤووا النبي ﷺ وينصروه علىٰ أنَّ لهم الجنَّة، فوفوا بذلك».

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثبتوا في المواطن كلها علىٰ أمر الله عَزَّوَجَلَّ والاتباع لرسول الله ﷺ في العسر واليسر والمنشط والمكره.

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «**اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**» (ص ٦٣٧ - ٣٧٩٩).

(٢) فتح الباري (٧/ ١٥٤).

أحوال الصحابة معلومة؛ من الاستقامة علىٰ أمر الله، والمبادرة إلىٰ الخيرات، وإقامة شرائع الإسلام، فمن أظلم ممن سعىٰ في تزييف أحوالهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدًا، فهم في الحقيقة منكسو القلوب، يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين».

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٤٦)، ط. ابن الجوزي.

٥٤- الصفوة

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صفوة الخلق، غيرهم فيهم أنواع من خصال الخير، أما الصَّحابة فهم صفوة الخلق لكثرة خصال الخير التي فيهم، وذلك من فضل الله عليهم وما خصَّهم به من الفضائل.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «من المعلوم بالضَّرورة لمن تدبَّر الكتاب والسُّنَّة، وما اتفق عليه أهل السُّنَّة والجماعة من جميع الطَّوائف: أنَّ خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة -، أنَّ خيرها: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنَّهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من: علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة».

وخصال الخير التي في الصحابة تأسست علىٰ التَّوحيد، فكان كل خير فيهم سببًا لزكائهم واصطفاء الله لهم، فأخلصهم الله لإخلاصهم، وباتِّباع هدىٰ القرآن والسُّنَّة ازدادت خيراتهم ونمت فضائلهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «إن كان لهم ذكاء وفطنة، وفيهم زهد وأخلاق، فهذا القدر لا يوجب السعادة والنَّجاة من العذاب، إلا بالأصول

(١) نقض المنطق (ص١٢٩).

(٢) نقض المنطق (ص١٧٩).

المتقدِّمة: من الإيمان بالله وتوحيده، وإخلاص عبادته، والإيمان برسله واليوم الآخر، والعمل الصَّالح.

وإنَّما قوَّة الذَّكاء بمنزلة قوَّة البدن وقوَّة الإرادة، فالذي يؤتىٰ فضائل علمية وإرادية بدون هذه الأصول يكون بمنزلة من يؤتىٰ قوة في جسمه وبدنه بدون هذه الأصول».

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قالت طائفة من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ، ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٢-٣٥].

فأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمَّتين قبلهم: اليهود والنَّصارىٰ، وقد أخبر الله أنَّهم الذين اصطفىٰ.

وتواتر عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**خير القرون القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، ومحمد ﷺ وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله».

❁ ❁ ❁

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التَّفسير (٥/ ٦٥).

٥٥- فقهاء الإسلام

خيرية الأمَّة في فقه دينها، عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدِّين**»، متَّفق عليه.

وقد كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقهاء الأمَّة، تلقَّوا العلم من معدنه الأوَّل من رسول الله ﷺ وأدَّوه إلينا.

وعلم الصَّحابة دوَّنه العلماء في المصنَّفات المؤلفة في آثار الصحابة، ومن استقرأها أدرك تحقق الصَّحابة بالفقه، فما من مسألة في أبواب الفقه إلا وقد دُوِّن علمهم فيها، كمصنف عبد الرزَّاق وابن أبي شيبة، وسنن سعيد بن منصور، و«معرفة السُّنن والآثار»، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي، و«الأوسط» لابن المنذر.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «إنه ما من مسألة يُسأل عنها إلَّا وقد تكلَّم الصحابة فيها أو في نظيرها».

والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم فقهاء الإسلام، وهم الذين أدَّوا فقه الإسلام إلىٰ الأمصار، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «إنَّ الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ؛ خرج منها العلم والإيمان».

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٩/ ٢٨٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٣٠١).

وقد نصّ النبي ﷺ على فقهاء الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لتأخذ الأمَّة عنهم فقه الدِّين.

والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شهد لهم بالفقه إمام الفقهاء ومُعلِّم الفقه من لا ينطق عن الهوىٰ صلوات الله وسلامه عليه، فقد حكم سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بني قريظة بعد غدرهم بالنبي ﷺ في غزوة الأحزاب بأن تُقتل مُقاتِلتهم، وتسبىٰ ذراريهم، فقال له النبي ﷺ: «**حكمت بحكم الله**»، رواه البخاري.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** سمعت رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا نائم، أُتيت بقدح لبن، فشربت حتىٰ إنِّي لأرىٰ الرِّيَّ يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطَّاب**» قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «**العلم**».

وكان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقهاء بمقاصد الخوارج.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «من فسَّق من السلف الخوارج ونحوهم، كما روي عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال فيهم قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾**﴾ [سورة البقرة: ٢٦، ٢٧]، فقد يكون هذا قصده، لا سيما إذا تفرَّق النَّاس، فكان ممَّن يطلب الرِّياسة له ولأصحابه».

ولا ريب أنَّ الخوارج قد ضلُّوا بمخالفة الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وضلُّوا لسوء فهمهم لكلام الله عَزَّ وَجَلَّ وتعالمهم بمخالفة الصحابة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أدخلهم في هذه الآية

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (١/ ١٧٨).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (١/ ١٧٩).

لقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦]، وهم ضلُّوا به بسبب تحريفهم الكلم عن مواضعه، وتأويله على غير ما أراد الله، فتمسَّكوا بمتشابهه، وأعرضوا عن محكمه، وعن السنَّة الثَّابتة التي تبيِّن مراد الله بكتابه، فخالفوا السنَّة وإجماع الصَّحابة مع ما خالفوه من محكم كتاب الله تعالى، ولهذا أدخلهم كثير من السَّلف في الذين ﴿يتبعون مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]».

وبفقه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حُفظ الدِّين، كما حصل في تبيين أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حقوق كلمة التَّوحيد.

وقال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **في حدِّ الفقيه:** «الفقيه هو الذي لا يُقنِّط النَّاس من رحمة الله، ولا يُجرئهم على معاصي الله»، رواه الدَّارمي.

وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علماء بمعاني كتاب الله، من اشتبهت عليه معانيه بيَّنوا له ما ائتلفت عليه نصوص القرآن في إحكامه، من ذلك أن رجلًا جاء إلى ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فقال له: إنِّي أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أتكذيب؟ فقال الرجل: ما هو بتكذيب، ولكن اختلاف، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: فهلم ما وقع في نفسك، فقال له الرجل: أسمع الله يقول: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٠١]، وقال في آية أخرى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٥٠]، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء: ٤٢]، وقال في آية أخرى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا في هذه الآية.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قوله: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ فهذا في النفخة الأولىٰ يُنفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، ثم إذا كان في النفخة الأخرىٰ قاموا ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، وأما قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، فإنّ الله تعالىٰ يوم القيامة يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم لا يتعاظم عليه ذنب أن يغفره ولا يغفر شركًا، فلما رأىٰ المشركون قالوا: إن ربنا يغفر الذنوب ولا يغفر الشرك، تعالوا نقول: إنَّا كنا أهل ذنوب ولم نكن مشركين، فقال الله تعالىٰ: أما إذا كتموا الشرك، فاختم علىٰ أفواههم، فيختم علىٰ أفواههم فتنطق أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، فعند ذلك عرف المشركون أن الله لا يُكْتَم حديثًا، فذلك قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، رواه البخاري.

وكان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقهاء في معرفة أسباب حفظ الدِّين والملك والأمم.

قال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لأحد الواعظين**: ما ثبات الدِّين وزواله؟ فقال: ثبات الدِّين الورع، وزواله الطَّمع[(١)].

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّكم لن تزالوا بخير ما اتَّقيتم الله»، رواه البخاري.

وسألت المرأة الأحمسية أبا بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما بقاؤنا في هذا الأمر؟ قال: ما استقامت لكم أئمَّتكم، رواه البخاري.

---

(١) رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (١/ ٥٦).

قال العلَّامة ابن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّما قال ذلك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من عِظَم فقهه».

ومرَّ الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمعاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: ما قوام هذه الأمَّة؟ قال معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ثلاث وهنَّ المنجيات: الإخلاص: وهو الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها، والصلاة: وهي الملَّة، والطاعة: وهي العصمة، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: صدقت[٢].

وقال أبو الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **محذِّرًا من أسباب هلاك الأمم**[٣]: «لا تهلك أمة حتىٰ يتبعوا أهواءهم، ويتركوا ما جاءت به أنبياؤهم من البينات والهدىٰ».

وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من فقههم ينصحون النَّاس ويزجرونهم عن الخصومات في الدِّين، والخوض فيما سكت عنه الشَّرع من مسائل القدر وغيره، حتىٰ لا تختلف الأمة ولا تزيغ بها الأهواء فتضل، وسار علىٰ هذا المنهج القويم من اتَّبع الصحابة بإحسان كالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا خطب بهذه الخطبة بالبصرة، وكان عنده وعند غيره من الصحابة من العلم بما يحدث في هذه الأمة، والتحذير من أسباب الفتن؛ ما قد نُقل إلينا، كما في الحديث الذي ذكره أحمد في رسالته للمتوكل في قصة ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لمَّا

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٩٦).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التَّفسير (٥/ ١٣٧).

(٣) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٥١٢).

(٤) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التَّفسير (٥/ ١٥٠).

كثر القرَّاء، وخوفهما من اختلاف الأمة وافتراقها، والمسائل المشكلة إذا خاض فيها أكثر النَّاس لم يفهموا حقيقتها، وإذا تنازعوا فيها صار بينهم أهواء وظنون، وأفضىٰ إلىٰ الفرقة والفتنة».

والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ هم العلماء حقًّا، من كان منهم عالمًا بالله وليس بعالم في تفاصيل أحكام الشَّرع فهم من أهل خشية الله، ومن كان منهم عالمًا بالله عالمًا بأمره فهؤلاء أعظم خشية لله، هم أهل خشية الله وطاعته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، ومن المأثور عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ في ذلك قول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «كفىٰ بخشية الله علمًا، وكفىٰ بالاغترار جهلًا».

وقال أبو حيان التيمي رَحِمَهُٱللَّهُ: «العلماء ثلاثة: فعالم بالله ليس عالمًا بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالمًا بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله.

فالعالم بالله هو الذي يخافه، والعالم بأمر الله هو الذي يعلم أمره ونهيه».

ومما وعظنا به الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ وهو مما توارثه عنهم التَّابعون لهم بإحسان، وهو دالٌّ علىٰ تحققهم بالفقه في معاملة الله: «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن عمل لآخرته كفاه الله مؤونة دنياه»(١).

ومن المأثور عن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في نصيحة الأمة في العلم النافع؛ قوله: «اتقوا زيغة الحكيم»، فقالوا له: كيف نعرف زيغة الحكيم؟ قال: «إنَّ للحق نورًا يُعرف به»، رواه أبو داود.

---

(١) الرسالة التَّبوكيَّة (ص٩٢).

ونور الحق هو موافقة القرآن والسنَّة بفهم السَّلف.

ومما يُروىٰ عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في أسباب حفظ الدِّين؛ قول أبي الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص؟ وإنّ من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنَّىٰ تأتيه»(١).

وظهر فقه الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في صحة اعتقادهم وسلامة قلوبهم، وتحققهم بشعب الإيمان، وفي دعوتهم إلىٰ الله علىٰ بصيرة، وفي جهادهم مخلصين لله، وفي حسن أخلاقهم وسمتهم وهديهم، وسداد منطقهم، وفي إقبالهم علىٰ الآخرة وزهدهم في الدُّنيا.

قال الحسن البصري رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «إنَّما الفقيه الزَّاهد الرَّاغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم علىٰ عبادة ربِّه، الذي لا يهمِزُ مَنْ فوقه، ولا يسخر ممَّن دونه، ولا يبتغي علىٰ علم علَّمه الله تعالىٰ أجرًا».

❁ ❁ ❁

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٨٤٩).

(٢) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٢٤٧).

٥٦- فضل الطبقة

تذاكر النبي ﷺ مع الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ يومًا السَّبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فكان مما ذكره الصَّحابة مما اعتقدوا فضله العظيم؛ من وُلد في الإسلام، وهذا لا شك أنَّه فضل عظيم، وأعظم منه فضلًا من سبق إلىٰ الإسلام وكان السبب في إسلام من وُلد في الإسلام.

وفي الصَّحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: قال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**يتقارب الزَّمان، وينقص العلم، ويُلقىٰ الشحّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج**»، قالوا: يا رسول الله! أيُّها هو؟ قال: «**القتل القتل**».

فهذا الحديث دالٌّ علىٰ أنَّ العلم في نقص، وبهذا ظهر فضل الطَّبقة الأولىٰ من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ علىٰ من بعدهم.

وكان النَّبي ﷺ إذا ذكر فضائل الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ ذكر سابقتهم في الإسلام، ففي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أن النبي ﷺ ذكر خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، فقال: إنها كانت وكانت.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله: «**إِنَّها كانت وكانت**»، أي: كانت فاضلة، وكانت عاقلة، ونحو ذلك.

وعند أحمد من حديث مسروق عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**آمنت بي إذ كفر بي النَّاس، وصدقتني إذ كذبني النَّاس، وواستني بمالها إذ حرمني النَّاس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النِّساء**»».

❁ ❁ ❁

(١) فتح الباري (٧/ ١٧٢).

٥٧- معلمو الناس الخير

النبيّ ﷺ بعثه الله إلىٰ الخلق معلِّمًا وسراجًا منيرًا، وتلقَّىٰ عنه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ العلم النَّافع، وعلَّموه للأمة جميعًا، فكان رسول الله ﷺ سيد وسلف المعلمين علوم الوحي، وكان أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سادات المعلمين في الأمة.

والله يجازي بالإحسان إحسانًا، فالله وملائكته يصلون علىٰ معلمي الناس الخير.

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وفي الحديث: «**إنَّ الله وملائكته يصلون علىٰ معلمي الناس الخير**»، وذلك أنَّ هذا بتعليمه الخير يخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور، والجزاء من جنس العمل، ولهذا كان الرسول ﷺ أحقّ الناس بكمال هذه الصلاة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ **يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ**﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦]».

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عرفوا فضل العلم فحرصوا عليه، قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: ١١]، كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قرأ هذه الآية قال: يا أيها الناس! افهموا هذه الآية

(١) تفسير شيخ الإسلام ابن تيميَّة (٥/ ٢٥٨).

لترغبكم في العلم[١].

والعلم يهتدي به الخلق إلىٰ الإسلام، وقد قال النبي ﷺ لعليٍّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لأن يهدي الله بك رجلًا خير من حمر النَّعم**»، وقد هدىٰ الله بالصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أممًا.

قال العلامة الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «إنَّ الانتفاع بعلماء هذه الأمَّة فوق كل انتفاع، والخير الواصل منهم إلىٰ غيرهم فوق كل خير؛ لأنَّهم يبيِّنون ما شرعه الله سبحانه لعباده، ويرشدونهم إلىٰ الحق الذي أمر الله سبحانه به، ويدفعونهم عن البدع التي يقع فيها من جهل الأحكام الشَّرعيَّة، ويصاولون أعداء الدِّين المُلْحدين، والمبتدعين، ويبيِّنون للنَّاس أنَّهم علىٰ ضلالة، وأنَّ تمسُّكهم بتلك البدع إمَّا عن جهل أو عن عناد، وأنَّهم ليس بأيديهم شيء من الدِّين إلا مُجَرَّد تشكيكات يوقعون فيها المقصِّرين، ويجذبونهم إلىٰ باطلهم».

وبهذه الفضيلة العظيمة كان الصَّحابة مباركين علىٰ الأمَّة، أخرجوها من الظُّلمات إلىٰ النُّور.

قال تعالىٰ في فضل نبيه عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

ومن المأثور عن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحثّ علىٰ طلب العلم؛ قول معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عليكم بطلب العلم؛ فإنَّ تعلُّمَه لله خشية، ومدارسته عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد».

(١) عون الباري بحل أدلة البخاري (١٠/ ٢٠٩).

(٢) قطر الولي علىٰ حديث الولي (ص٣٠٩).

٥٨- أهل الله وخاصّته

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أهل الله وخاصّته، أهل القرآن، وقد قال النبي ﷺ: «**خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه**»، رواه البخاري من حديث عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حفظوا ألفاظ القرآن، وتدبَّروا معانيه، وعملوا به، وعلَّموه للتَّابعين، فأدَّوا إلينا ألفاظه ومعانيه. وفضيلة التعبُّد لله بتلاوة القرآن والعمل به وتعليمه هي أعظم ما يُغتبط فيه المسلم، وكان الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ سادات الأمَّة في ذلك.

عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلَّا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل والنَّهار، ورجل آتاه الله المال فهو ينفق منه في الحقّ**»، متَّفق عليه.

وخيريَّة الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في تعليم القرآن من أعظم خصال الخير فيهم وأفضل مناقبهم، وأشهر أوصافهم، وكان النبي ﷺ هو معلمهم.

ومن سبق من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بالهجرة إلىٰ المدينة، بادروا إلىٰ تعليم أهل المدينة القرآن.

عن البراء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**: أوَّلُ من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ: مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يُقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ثم جاء عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما

رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتىٰ رأيت الولائد والصِّبْيَان يقولون: هذا رسول الله قد جاء، فما جاء حتىٰ قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلىٰ: ١]، في سور مثلها، رواه البخاري.

ومادة الخير وأساسه في الاهتداء بالقرآن، وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اتَّخذوا تلاوة القرآن للإيمان والعمل به، وكانوا فقهاء حقًّا بمعنىٰ تلاوة القرآن.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «والذي نفسي بيده، إنَّ حقَّ تلاوته: أن يُحِلَّ حلاله، ويحرِّم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يُحرِّف الكلِمَ عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئًا علىٰ غير تأويله»، رواه عبد الرزاق.

كان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتلون كتاب الله في مجالسهم، وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتلون كتاب الله في بيوتهم، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان إذا دخل بيته نشر المصحف، فقرأ فيه[١].

وعُرفت بيوت الصحابة بدوي أصواتهم بالتغنِّي بالقرآن، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إنِّي لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يَدْخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنَّهار**»، رواه البخاري.

وكان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتلون كتاب الله آناء الليل وأطراف النَّهار، في سوقهم وفي طرقهم وفي سيرهم، يتلونه قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبهم.

قال معاذ لأبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائمًا

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير (ص٢١٠).

وقاعدًا وعلىٰ راحلتي، أتفوَّقُهُ تفوُّقًا، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أوَّلَ الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، متفق عليه.

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال: أتفوقه تفوقًا؛ أي: أقرؤه حينًا بعد حين، من فواق الناقة، وهو ما بين الحلبتين».

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ناصحين للأمة بأسباب الانتفاع من سماع القرآن وتلاوته، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إذا قيل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرعها سمعك، فإما خير تؤمر به، أو شرٌّ تُنهىٰ عنه»، رواه ابن أبي حاتم وصححه الحافظ ابن كثير.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مبيِّنًا سبب الاهتداء بتدبر القرآن، وضلالة من ضل فيه: «إنَّ أقوامًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع»، رواه البخاري ومسلم.

ومن أعظم مناقب الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ هو تخلقهم بالقرآن، اهتدوا به إلىٰ صحيح الاعتقاد والكلم الطيب وحسن الخلق وصالح الأعمال؛ لأنّ القرآن يهدي للتي هي أقوم.

وفضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في تلقِّي علم القرآن لا يلحقهم فيه أحد؛ لتلقِّيهم ذلك عن المعلم الأوَّل من أوحي إليه القرآن.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لقد قرأت علىٰ رسول الله ﷺ بضعًا

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٢١/ ٥٠٧).

وسبعين سورة»، رواه البخاري ومسلم.

ومن خصوصية قرَّاء الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في علم القرآن؛ استماع النبي ﷺ لقراءتهم، وخشوعه وتدبُّره لسماعه تلاوتهم.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ**»، قلت: يا رسول الله! أقرأ عليك، وعليك أُنزل؟! قال: «**نعم**»، فقرأت سورة النِّساء حتىٰ أتيت إلىٰ هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء: ٤١]، رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «معنىٰ استماعه القرآن من غيره؛ ليكون عرض القرآن سُنَّة، ويحتمل لأجل التدبُّر والتفهُّم، وذلك أنَّ المستمع أقوىٰ علىٰ التدبُّر ونفسه أخلىٰ وأنشط لذلك من نفس القارئ؛ لأنَّه في شغل بالقراءة وأحكامها».

ومن فضائل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ وزن النَّاس بمعيار القرآن.

رأىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نائبه علىٰ مكة نافع بن عبد الحارث جعل علىٰ وادي عسفان ابن أبزىٰ، فسأل عنه، فقيل له: إنه مولًىٰ من الموالي، فسأل نافعًا عن سبب توليته علىٰ سادات قريش والعرب مولًىٰ، فقال: إنَّه حافظ للقرآن، عالم بالفرائض، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إنَّ الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين[(٢)].

وقال أبو الأسود الدؤلي: بعث أبو موسىٰ إلىٰ قراء أهل البصرة، فدخل عليه

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٢٤/ ١٦٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (ص٣٢٨ –رقم ١٨٩٧).

ثلاثمائة رجل قد قرؤوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، كما قست قلوب من كان قبلكم، رواه مسلم.

ومن خصوصية الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في فضائل القرآن التي لا يلحقهم فيها أحد؛ أمر الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه ﷺ أن يقرأ عليهم القرآن؛ ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال النبيُّ ﷺ لأبيِّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك:** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة البينة: ١]»، قال: وسمَّاني؟ قال: «**نعم**»، فبكىٰ.

قال أبو العبَّاس القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «تعجب أبيّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من ذلك؛ لأنَّ تسمية الله له ونصّه عليه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريف عظيم، فلذلك بكىٰ إما فرحًا وإما خشوعًا».

❁ ❁ ❁

(١) فتح الباري (٧/ ١٦١).

٥٩- تعظيم التَّوحيد

التوحيد أصل الخير ومادته، وهو الشجرة التي تُثمر الإرادات والأعمال والأقوال الصالحة.

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أكمل الخلق توحيدًا، ظهر ذلك في صحيح اعتقادهم، ومحاسن أعمالهم.

وكان من كمال توحيد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إخلاصهم العمل لله بالاتباع للنبي ﷺ، فتحققوا بما خُلقوا له من عبودية الله، ولذلك عملوا للدار الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن تحققهم بالتوحيد اعتقادهم أنَّ التوحيد أرجىٰ أعمالهم.

قال عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إنَّ أفضل ما نُعِدُّ: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ»، رواه مسلم.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١): «والذي لا إله غيره، ما أصبح عند آل عبد الله شيء يرجون أن يعطيهم الله به خيرًا أو يدفع عنهم به سوءًا إلا أن الله قد علم أنَّ عبد الله لا يشرك بالله شيئًا».

وهذا قاله ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تواضعًا، وبيانًا لفضل التوحيد، وإلَّا فهو من

(١) رواه أبو داود في الزهد (ص١٥٩ – رقم ١٥٠)، بإسناد صحيح.

سادات الصحابة المتقين، وشهد له النبيُّ ﷺ أنَّ ساقيه أثقل في الميزان من جبل أحد.

ومادة كمال توحيد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هو علمهم النافع الذي تلقوه عن النبي ﷺ مباشرة، وإخلاصهم الإرادة والقول والعمل لله وحده لا شريك له.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «لا يتمُّ الإيمان إلا بتلقِّي المعرفة من مشكاة النُّبُوَّة، وتجريد الإرادة عن شوائب الهوىٰ وإرادة الخلق، فيكون علمه مقتبسًا من مشكاة الوحي، وإرادته لله والدار الآخرة، فهذا أصح الناس علمًا وعملًا».

التوحيد هو أصل الأعمال، وهذا كان سبب مقامات الصحابة العظيمة في عبودية الله، والموالاة فيه، والجهاد في سبيله، والتوكل العظيم عليه، والثقة به، والطمأنينة إلىٰ كفايته، والصبر علىٰ طاعة الله وعن معاصيه وعلىٰ أقداره.

انبعثت جوارحهم إلىٰ طاعة الله واستباق الخيرات؛ بسبب قوة توحيدهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إذا قوي سراج الإيمان في القلب، وأضاءت جهاته كلها به، وأشرق نوره في أرجائه، سرىٰ ذلك النور إلىٰ الأعضاء، وانبعث إليها، فأسرعت الإجابة لداعي الإيمان».

فالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ سابقوا إلىٰ التقرب إلىٰ الله، وصدقوا الله ما عاهدوه عليه، وخلصت أعمالهم لله، فكانوا أعظم الخلق إسلامًا وانقيادًا وخضوعًا لله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «لمَّا كانت هذه القرائح والطبائع - الانقياد - ثابتة

---

(١) الفوائد (ص١٢٣).

(٢) طريق الهجرتين (٢/ ٥٩٧).

(٣) طريق الهجرتين (٢/ ٦٥٥).

للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وكمَّلها الله لهم بنور الإسلام، وقوَّة اليقين، ومباشرة الإيمان لقلوبهم؛ كانوا أفضل العالمين بعد الأنبياء والمرسلين، وكان مَن بَعْدَهم لو أنفق مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

وظهر فضل توحيد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علىٰ مَنْ بعدهم في علمهم وصلاح أعمالهم وجميل سيرتهم، وفي تمكين الله لهم وظهور الدين بهم، وفي عدلهم فيما وُلُّوا.

وظهر فضل توحيد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ علىٰ مَنْ بَعْدَهم بتبدُّل ما كانوا عليه من عصبيَّة الجاهلية إلىٰ الموالاة في الله، والتفضيل بالتقوىٰ.

وظهر فضل توحيد الصحابة بتحققهم به في أنفسهم، وبإقامته في الأرض، فهدموا الأوثان والأصنام، وأزالوا معابد الشرك، وأقاموا توحيد الله في الأرض، وبنوا المساجد، وعمروها بالتوحيد، وأقاموا حكم الله في الأرض، ودعوا إلىٰ التوحيد، فاهتدىٰ بهم الخلق، وظهر بهم نور الله، ونُصر بهم الحق، وصلحت الأرض، واضمحل الشرك والضلال.

ومتىٰ ما تحققت الأمة بالتَّوحيد كسلفها من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، أدركوا كل خير، قال تعالىٰ: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

ومتىٰ ما تحققت الأمة بالتوحيد هُدوا ورزقوا ونصروا، ومكَّن الله لهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

فالإيمان والعمل الصالح سبب التمكين، وسبب الأمن، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

وتحقيق التوحيد سبب زكاء الاعتقادات والإرادات والأقوال والأعمال، وبه تزكوا المجتمعات ويزكوا الأفراد، فتستقيم الأمم علىٰ أمر الله، فيكثر الخير، ويقل الشر، ويحصل العدل والأمن.

❁ ❁ ❁

٦٠- صحبة النبي ﷺ

فضيلة صحبة النبي ﷺ خصوصية لا يشارك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيها أحد، وصحبتهم له كانت صحبة إيمان به واتِّباع ونصرة له.

وفضيلة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بصحبة النبي ﷺ هي أم الفضائل وأحسن خصال الخير، صحبوه علىٰ الاتباع له فيما يبلغه عن الله، وعنه تلقَّوا علم القرآن ومعانيه، وتواصوا معه علىٰ الحق الذي بُعث به، وجاهدوا لله عليه، فصحبوه علىٰ الإيمان بالله والعمل الصَّالح.

فالصُّحبة هي أعظم خصال الخير في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد كان علماء الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يبشرون بفضلها من تحضره المنية منهم؛ لأنَّها أرجىٰ أعمال البر الموجبة للخلود في الجنة.

حضر ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد طعن أبي لؤلؤة المجوسي له، وقال له: لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صُحْبَتَه، ثمَّ فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأحسنت صحبته، ثمَّ فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صَحبتهم فأحسنت صُحبتهم، ولئن فارقتهم لتُفارقنَّهم وهم عنك راضون[١].

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب (ص ٦٢٠ – رقم ٣٦٩٢).

ودخلت أم المؤمنين حفصة بنت الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا على أبيها بعد طعن المجوسي له، فقالت له: يا صاحب رسول الله، يا صهر رسول الله ﷺ، يا أمير المؤمنين، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا صبر لي على ما أسمع، أحرج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا، فأمَّا عينيك فلن أملكهما، رواه ابن سعد[١].

وقد دعا النبي ﷺ بالبركة في الصحبة للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالت الأنصار: يا رسول الله! لكلِّ نبيّ أتباع، وإنَّا قد اتَّبعناك، فادع الله أن يجعل أتباعنا منَّا، فدعا به[٢].

وهذه فضيلة عامة لكل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

❁ ❁ ❁

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بإسناد صحيح»، فتح الباري (٧/ ٨٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أتباع الأنصار (ص ٦٣٦ - رقم ٣٧٨٧).

٦١- مقاصدهم العليَّة

من أنواع الهمم العليَّة للصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أنَّ ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم رسول الله ﷺ أتىٰ لرسول الله ﷺ بوضوئه، فقال له رسول الله ﷺ: «**سلني**»، فقال: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «**أو غير ذلك؟**» قال: هو ذاك، فقال رسول الله ﷺ: «**فأعنِّي علىٰ نفسك بكثرة السُّجود**»(١).

ومن أشهر وأوضح مقاصد الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم؛ نصرة دين الله، ونصرة رسوله ﷺ، فقد أخبر الرَّسول ﷺ ورقة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بخبر الوحي الذي جاءه، فقال ورقة بن نوفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذا النَّاموس الذي نَزَّل الله علىٰ موسىٰ عليه السلام، يا ليتني فيها جذعًا، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزَّرًا، متفق عليه.

رضي الله عن ورقة بن نوفل؛ عزم علىٰ نصرة الرسول ﷺ وآمن به.

وهمّة أفضل الصحابة الإتيان بكل أعمال البرّ، وتحقيق العبوديَّة لله عَزَّوَجَلَّ من كل وجه؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين من الأشياء في سبيل الله؛ دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله! هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصَّلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصَّدقة،**

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السُّجود والحثّ عليه (ص٢٠٢، رقم ١٠٩٤).

ومن كان من أهل الصِّيام دُعي من باب الريان، فقال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: **نعم، وأرجو أن تكون منهم**»(١).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «سمت همَّة الصدِّيق إلى تكميل مراتب الإيمان، وطمحت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها، فسأل رسول الله ﷺ: هل يحصل ذلك لأحد من النَّاس؟ ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله وبشَّره بأنَّه من أهله، فكأنَّه قال: هل يكمّل أحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها؟ فللَّه ما أعلى هذه الهمَّة، وأكبر هذه النَّفس!».

ومن المقاصد والهمم العليَّة للصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: الصبر على طلب العلم؛ للأخذ به وحفظ الدِّين وأدائه للأمَّة.

عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قال**: لمَّا تُوفِّي رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هَلُمَّ نسأل أصحاب رسول الله ﷺ، فإنَّهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يابن عبَّاس! أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من ترى؟

فتركت ذلك، وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوَسّد ردائي على بابه، فتسفي الريح عليّ التراب، فيخرج

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (ص٦١٥ – رقم ٣٦٦٦)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب فضل من ضمّ إلى الصدقة غيرها (ص٤١٤ – رقم ٢٣٧١).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/ ٢٢٢).

فيراني فيقول: يابن عمِّ رسول الله ﷺ، ألا أرسلت إليّ فآتيك؟

فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسألك.

قال: فبقي الرجل حتىٰ رآني، وقد اجتمع الناس عليَّ، فقال: هذا الفتىٰ أعقل مني[١].

❁ ❁ ❁

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٤٣).

٦٢- الصبر واليقين

من أفضل خصال الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، الصَّبر علىٰ الحقّ، واليقين بصدق خبر الله، فإنَّهم آمنوا بالله حين كفر كل الخلق به وأشركوا، وصاروا يكذِّبون وعد الله بظهور دينه، ويسخرون من الصَّحابة، والصَّحابة صابرون علىٰ أذىٰ وعداوة الكافرين لهم، ويقينهم بصدق خبر الله عَزَّوَجَلَّ زاد في إيمانهم يومًا بعد يوم مع تقلّب الأحوال في السَّرَّاء والضرَّاء، ومداولة الله للأيام.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ عن خصال الخير التي يصير المتصف بها أفضل الخلق بعد الأنبياء[(١)]: «أحدها: أن تكون طبيعته ليِّنة منقادة سلسة، ليست بجافية ولا قاسية، بل تنقاد معه سبحانه بسهولة.

الثَّاني: أن يكون إيمانه راسخًا، ويقينه قويًّا، فإنَّ هذا ثمرة الإيمان ونتيجته.

الثالث: قوَّة صبره وثباته.

فبهذه الأمور الثَّلاثة ينهض إلىٰ هذا المقام، ويسهل عليه دركه».

ثم قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «لمَّا كانت هذه القرائح والطَّبائع ثابتة للصَّحابة

(١) طريق الهجرتين (٢/ ٦٥٤).

(٢) طريق الهجرتين (٢/ ٦٥٥).

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وكمَّلها الله بنور الإسلام وقوَّة اليقين، ومباشرة الإيمان لقلوبهم؛ كانوا أفضل العالمين بعد الأنبياء والمرسلين، وكان من بعدهم لو أنفق مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

وقد صبر الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ خصوصًا بمكَّة علىٰ أذىٰ الكافرين الشَّديد، فكانوا قلَّة ولقوا من قومهم الكفَّار أذىٰ شديدًا، وكان صبرهم عن رد عدوان الكافرين من أعظم جهاد النَّفس الذي كان سببًا في قيام الإسلام وظهوره.

قال خبَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أتيتُ النبيّ ﷺ وهو متوسِّدٌ بُردةً، وهو في ظلّ الكعبة - وقد لقينا من المشركين شدَّة - فقلت: يا رسول الله! ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمرٌّ وجهه، فقال: لقد كان من قبلكم ليُمشَط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عَصَب، ما يَصرفهُ ذلك عن دينه، ويوضَع الميشار علىٰ مفرق رأسه فيُشَقُّ باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنَّ الله هذا الأمر حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت ما يخاف إلا الله، رواه البخاري.

❁ ❁ ❁

٦٣ – أئمة العدل

نعت الله الصحابة جميعًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالعدل، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] أي: عدلًا خيارًا، قال الشاعر:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم   إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وفي الخبر أن النبي ﷺ قال: «**إنَّكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأعدلها**»».

ولاة المسلمين من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أئمة عدل، وما ولي أحد من الصَّحابة أمر الأمة إلا وحكم فيها بالشَّرع، والعدل هو شرع الله، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٥].

وأما بالنسبة للعدل في ولاية الأموال؛ فهذا كان أكمل الولاة فيه سيرة الخلفاء الراشدون، ثم ظهر الاستئثار في الأموال بعدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ **في شأن استئثار الولاة بالأموال**[٢]: «إنَّ

---

(١) تفسير القرآن (١/ ١٤٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣٠/ ١٣٥).

هذا ما زال في الإسلام من ولاة الأمور، ومن دخل في هذه الأمور، وإنما يستثنىٰ في الخلفاء الراشدين ومن اتبعهم».

وصفات أئمة العدل كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أعظم الخلق تحققًا بها، ما عرفت الدُّنيا العدل بمثل خلافة النبوَّة وولاية الصحابة الذين كانت ولايتهم علىٰ منهاج النبوَّة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «أئمَّة العدل وولاته الذين تأمَنُ بهم السبل، ويستقيم بهم العالم، ويستنصر بهم الضَّعيف، ويذِلّ بهم الظالم، ويأمن بهم الخائف، وتقام بهم الحدود، ويُدفع بهم الفساد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويُقام بهم حكم الكتاب والسنَّة، وتُطفأ بهم نيران البدع والضَّلالة».

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أئمَّة عدل فيما ولوا، وكانوا يتواصون بالعدل ويأمرون به، قال عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لعثمان وعليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لكل واحد منهما: «الله عليك لئن أمَّرْتُك لتعدِلنَّ»، رواه البخاري[٢].

ومن المأثور عن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الأمر بالعدل؛ قول أبي الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إنَّكم لن تزالوا بخير ما دام العالم يعدل بينكم بعلمه، لا يحيف»[٣].

ومعنىٰ ذلك أن العالم يؤدي العلم للعامة والخاصة، لا يكتمه عن أحد، ولا

---

(١) طريق الهجرتين وباب السَّعادتين (٢/ ٧٧٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة، والاتفاق علىٰ عثمان (ص ٦٢٢ - رقم ٣٧٠٠).

(٣) الآداب الشرعيَّة (ص٥٢٦).

يشح به، ولا يختص به قومًا دون آخرين، ولا يُحرِّفه ولا يكتمه.

والعدل صفة الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، لم يكن ذلك صفةً خاصة للولاة منهم فقط؛ فإنَّ الصحابة المهاجرين ظلمهم كفار مكَّة، فآذوهم لإسلامهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق، واستمر ظلم الكفَّار لكل مسلم بعد هجرة الصَّحابة المكيين إلىٰ المدينة، وقاتلوهم علىٰ الكفر وحزَّبوا كل الكفَّار لحربهم، ثم أدال الله الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عليهم، وأمرهم الله بالعدل فيمن ظلمهم، فانقادوا لأمر الله وكانوا عدولًا مع من ظلمهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ﴾ [المائدة: ٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أي: لا يحملنَّكم بغض قوم قد كانوا صدُّوكم عن الوصول إلىٰ المسجد الحرام، وذلك عام الحديبية، علىٰ أن تعتدوا في حكم الله فيهم، فتقتصُّوا منهم ظلمًا وعدوانًا، بل احكموا بما أمركم الله به من العدل في كل أحد».

والصحابة رضي الله عنهم كان خلقهم العدل، وكانوا أشدَّ الناس حثًّا عليه وفرحًا به.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنِّي لآتي علىٰ الآية من كتاب الله، فلوددْتُ أنَّ جميع النَّاس يعلمون منها ما أعلم، وإنِّي لأسمع بالحاكم من حُكَّام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به، وما لي به سائمة، ولعلِّي لا أقاضي إليه أبدًا، وإنِّي لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرحُ به، وما لي به من سائمة. رواه

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٠).

الطبراني في «المعجم الكبير».

وأوَّل هذه الأمَّة أعدل القرون، ومن اتبعها بإحسان مبلغه من العدل بقدر إحسانه في اتِّباع إمام العدل ﷺ وخلفائه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [الأعراف: ١٨١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يقول تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾ أي: ومن الأمم ﴿أُمَّةٌ﴾ قائمة بالحق قولًا وعملًا ﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ يقولونه ويدعون إليه ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ يعملون ويقضون.

وقد جاء في الآثار أن المراد بهذه الأمة المذكورة في الآية هي هذه الأمة المحمدية.

قال سعيد عن قتادة في تفسير هذه الآية: بلغني أنَّ النبيّ ﷺ كان يقول إذا قرأ هذه الآية: «**هذه لكم، وقد أعطىٰ القوم بين أيديكم مثلَها،** ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩]».

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨١]، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أمَّتي قومًا علىٰ الحق، حتىٰ ينزل عيسىٰ ابن مريم متىٰ ما نزل**».

وفي الصحيحين بألفاظ قريبة عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمَّتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتىٰ تقوم السَّاعة**»، وفي رواية: «**حتىٰ يأتي أمر الله، وهم علىٰ ذلك**»، وفي رواية «**وهم بالشام**»».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٩٦، ٣٩٧).

٦٤- جهاد المنافقين

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم فئة المؤمنين، عصبة الإسلام، وجماعة رسول الله ﷺ في اتِّباعه وموالاته، فقد كانوا حزب الله وأولياءه، ينصرون دين الله، ويجاهدون الكافرين، بينما كان المنافقون يصانعون المؤمنين رياءً، ويوالون الكافرين ويلازمون الكفر إذا انفردوا عن الصَّحابة المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «يقول الله تعالىٰ: وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين قالوا: (آمنَّا)، وأظهروا لهم الإيمان والموالاة والمصافاة، غرورًا منهم للمؤمنين ونفاقًا ومصانعة وتقية، وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم، ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ﴾ يعني: إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلىٰ شياطينهم. فضمن (خلوا) معنىٰ انصرفوا؛ لتعديته بـ«إلىٰ»، ليدُلَّ علىٰ الفعل المضمر والفعل الملفوظ به. ومنهم من قال: «إلىٰ» هنا بمعنىٰ «مع»، والأول أحسن، وعليه يدور كلام ابن جرير.

وقال السُّدِّي عن أبي مالك: (خلوا) يعني: مضوا، و(شياطينهم) يعني:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٨٦، ٨٧).

سادتهم وكبراءهم ورؤساءهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين.

قال السدي في تفسيره: عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّة الهَمْداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ يعني: هم رؤساؤهم في الكفر.

وقال الضحاك عن ابن عباس: وإذا خلوا إلىٰ أصحابهم، وهم شياطينهم.

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ من يهود، الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول ﷺ.

وقال مجاهد: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ إلىٰ أصحابهم من المنافقين والمشركين».

وصف الله إيمان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بأنَّه تحقيق، ووصف إيمان المنافقين بأنَّه كاذب، وكل ذلك سببه أنَّ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أتوا بحقائق الإيمان من صدق الاعتقاد الباطن وصدق العمل الظاهر، وصدقوا القول بالعمل، وأسلموا لله وأتوا بأركان الإسلام وشعب الإيمان منقادين لله مسلمين له، أما المنافقون فقد كذبوا القول بالعمل، وأتوا بما يدل علىٰ كفرهم، ولم يكن لإيمانهم حقيقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات: ١٥]، أي: هم الصادقون في قولهم: آمنا بالله، بخلاف الكاذبين الذين قال الله فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (١/ ٤٠٨).

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [سورة المنافقون: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨-١٠]».

وبالميزان العادل تعرف الصَّحابي من المنافق، ومن جار في حكمه علىٰ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ فذلك لنفاقه وسوء خبيئته من غرور أو كراهية لهم أو لاتباعه غير سبيلهم.

روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**إنَّما هي أعمالكم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

فأعمال الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ناطقة بإيمانهم شاهدة بصلاحهم وتقواهم، ومن أنصفهم علم أنه لن يدرك أحد رتبتهم ولا مُدَّهم، كما قال النبي ﷺ.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا للفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ متحدِّثًا بأمَّهات فضائله من أعماله: أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعزّ الله بك الدِّين والمسلمين إذ يخافون بمكة، فلما أسلمت كان إسلامك عزًّا، وظهر بك الإسلام، وهاجرت فكانت هجرتك فتحًا، ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ من قتال المشركين، ثم قُبض وهو عنك راض، ووازرت الخليفة بعده علىٰ منهاج النبي ﷺ، فضربت من أدبر بمن أقبل، ثم قُبض الخليفة وهو عنك راض، ثم وليت بخير ما ولي الناس: مَصَّرَ اللهُ بك الأمصار، وجبا بك الأموال، ونفىٰ بك العدو، وأدخل بك

علىٰ أهل بيت من سيوسعهم في دينهم وأرزاقهم، ثم ختم لك بالشهادة، فهنيئًا لك[١].

ومن أعظم ما ميَّز الله به فرقة الصَّحابة المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن فرقة المنافقين الكافرين صفة معاملة النبيِّ ﷺ للفريقين، فكان يعامل المؤمنين معاملة المسلمين ظاهرًا وباطنًا بالمعروف والإحسان والاستغفار، ويعامل المنافقين بالجهاد والغلظة وبترك الصلاة عليهم والاستغفار لهم.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة معاملة النبي ﷺ للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٢]: «أما سيرته في أوليائه وحزبه، فأمره – الله – أن يَصْبر نفسه مع الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وألا تعدو عيناه عنهم، وأمره أن يعفوَ عنهم ويستغفر لهم، ويُشاورهم في الأمر، وأن يُصلِّي عليهم.

وأمره – الله – بهجر من عصاه، وتخلَّف عنه، حتىٰ يتوبَ، ويُراجع طاعته، كما هجر الثلاثة الذين خُلِّفوا.

وأمره أن يقيم الحدود علىٰ من أتىٰ موجباتها منهم، وأن يكونوا عنده في ذلك سواءً شريفهم ودنيئهم».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة معاملة النبيِّ ﷺ للمنافقين[٣]: «أما سيرته في المنافقين؛ فإنَّه أُمِرَ أن يقبل منهم علانيتهم، ويكل سرائرهم إلىٰ الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجَّة، وأمره أن يُعرض عنهم، ويُغلِظ عليهم، وأن يَبْلُغَ بالقول البليغ إلىٰ نفوسهم، ونهاه أن يُصلِّي عليهم، وأن يقوم علىٰ قبورهم،

---

(١) فتح الباري (٧/ ٨٤).

(٢، ٣) زاد المعاد (ص٣٨١).

وأخبر أنه إن استغفر لهم؛ فلن يغفر الله لهم».

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ صحبوا النبي ﷺ إيمانًا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، والمنافقون أظهروا الصُّحبة وهم كافرون بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، ومبغضون للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، صحبوهم لتعصم دماؤهم من القتل وطمعًا فيما يصيبه المسلمون من الخير والغنائم.

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ صحبوا النبي ﷺ اتِّباعًا له، وتأسيًا به، والمنافقون صحبوه سخرية به وبأصحابه.

قال جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا واصفًا هدي الجم الغفير من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في اتِّباع النبي ﷺ: أذِّن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاجٌّ، فقدم المدينة بشر كثير، **كلُّهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ، ويعمل مثل عمله**، رواه مسلم.

وفرق ما بين الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ والمنافقين معلوم، فالصَّحابة آمنوا بالوحي الذي أدَّاه إليهم رسول الله ﷺ، والمنافقون كذَّبوه وسخروا منه، ففي غزوة الأحزاب ومع شدَّة حصار الكفَّار للمدينة والصَّحابة، وشدَّة النصب في حفر الخندق، واعتراض كدْيَةٌ لهم في الخندق، وضرب رسول الله ﷺ لها بمعوله، وانفلاق الحجر مع ضرباته الثلاث، بشَّر النبيُّ ﷺ أصحابه في كل فلقة للحجر بفتح الشام وفارس واليمن، فاستبشر لذلك الصحابة، واستهزأ بذلك المنافقون.

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ آمنوا بالله عَزَّوَجَلَّ باطنًا وظاهرًا، فظهرت شعب الإيمان في أعمالهم من الصلاة وذكر الله والجهاد في سبيل الله بالمال والنَّفس وغير ذلك من خصال الإيمان وأعمال الإسلام، والمنافقون بضد ذلك ظهرت شعائر

الكفر في أعمالهم، وذلك حقيقة ما انطوت عليه بواطنهم من الكفر، فكانوا يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويطيعون الكافرين.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٧، ٦٨].

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يدًا واحدة في إقامة دين الله عَزَّوَجَلَّ، ونصرة رسوله ﷺ، يدفعون عنه كل سوء، ويسعون في الأرض إصلاحًا، يفرحون لجماعتهم بما يدركون من خيري الدنيا والآخرة، ويسوؤهم ما يصيبهم من شر وأذىٰ.

وكان المنافقون يتربصون بالإسلام والنبي ﷺ والصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الدوائر، ويكيدونهم، ويفرحون إن أصابتهم سيئة، ويسوؤهم ما ينالون من خير.

قال تعالىٰ: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥٠، ٥١].

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أطاعوا الله بالجهاد في سبيله ليكون الدين كله لله، وبايعوا علىٰ ذلك رسول الله ﷺ، وحققوا خلوص الدِّين كله لله عَزَّوَجَلَّ، فأخلصوا دينهم لله بتوحيده وجهاد الكفَّار في سبيله، والمنافقون نافقوا بإيمانهم وكذبوا في إسلامهم، وجاهدوا في سبيل الكفر والطاغوت، وأعطوا الميثاق للكفار بالقتال والهجرة معهم.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحشر: ١١].

قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أخبر أنهم - المنافقون - يقولون لهم - الكفار - في السرّ: ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾، أي: لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم لنخرجن معكم، ﴿ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ أي: لا نسمع من أحد فيكم قولًا، ولا نعطي فيكم طاعة، ﴿ وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ﴾، ونكون معكم. ثم شهد تعالىٰ ﴿ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١]، في هذا القول».

المنافقون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وما أبطنوه ظهر في أعمالهم وأقوالهم، في كراهيتهم لرسول الله ﷺ وأصحابه والسّخرية بهم، والسّخرية بدين الله، والكيد للإسلام وكراهية ظهوره، ومن أظهر صفاتهم تثاقلهم عن الصلاة، وعدم ذكر الله.

والمنافقون في الدرك الأسفل من النَّار لتغلّظ كفرهم، **قال ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إنَّهم خالطوا المسلمين وعاشروهم، وباشروا من أعلام الرِّسالة وشواهد الإيمان ما لم يباشره البعداء، ووصل إليهم من معرفته وصحَّته ما لم يصل إلىٰ المنابذين بالعداوة، فإذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفرًا، وأخبث قلوبًا».

---

(١) الدَّلائل في حكم موالاة أهل الإشراك (ص٦٦، ٦٧).

(٢) طريق الهجرتين (٢/ ٨٨١).

ونعوت المنافقين ذكرها الله في القرآن، وكانت الآيات فيهم فرقانًا يتبصر به المؤمن فرق ما بين الصحابة الصادقين والمنافقين الكاذبين.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ملخِّصًا أوصافهم كما جاءت في القرآن**[1]: «إنَّهم يرضون بالتخلّف عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وإنَّهم مطبوع على قلوبهم، وإنَّهم يتركون ما أوجب الله عليهم مع قدرتهم عليه، وأنَّهم أحلف الناس بالله قد اتخذوا أيمانهم جُنَّةً تقيهم من إنكار المسلمين عليهم.

وهذا شأن المنافق أحلف الناس بالله كاذبًا، قد اتَّخذ يمينه جُنَّة ووقاية يتَّقي بها إنكار المسلمين عليه».

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ المهاجرون نعتهم الله بأنَّهم الصَّادقون، قال تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨].

والأنصار جعلهم الله أعلامًا علىٰ الإسلام والإيمان، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

أما المنافقون فقد كانوا علىٰ الضد من ذلك، دينهم الكذب والكفر، ومعاملتهم الغشّ والإفساد في الأرض، والمضارَّة بالمؤمنين، والكراهية لظهور الإسلام، والجبن عند اللقاء، والتخلُّف عن الجهاد.

---

(١) طريق الهجرتين (٢/ ٨٨٤).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ملخِّصًا وصف القرآن للمنافقين**[١]: «من تأمَّل ما وصف الله به المنافقين في القرآن من صفات الذمِّ؛ علم أنَّهم أحقّ بالدَّرك الأسفل؛ فإنَّه وصفهم بمخادعته ومخادعة عباده.

ووصف قلوبهم بالمرض، وهو مرض الشُّبهات والشُّكوك، ووصفهم بالإفساد في الأرض، وبالاستهزاء بدينه وعباده، والطُّغيان، واشتراء الضَّلالة بالهدىٰ، والصَّمم والبكم والعمىٰ، والحيرة، والكسل عند عبادته، والرِّياء، وقلَّة ذكره».

والأساس الذي قام عليه ساق النِّفاق هو الكذب، فكان المنافقون يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، وصارت أحوالهم ومقاماتهم ومواقفهم توافق ما أبطنوه من الكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قد أخبر الله عنهم أنَّهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وأنَّهم كاذبون، فقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [سورة المنافقون: ١]، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**الإسلام علانية، والإيمان في القلب**»».

فالصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جاءوا بالصِّدق وصدَّقوا به، والمنافقون جاءوا بالكذب.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

---

(١) طريق الهجرتين (٢/ ٨٨٣).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٤٣٣).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنَّه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صِدقهم، وجعل عَلَم المنافقين الذي تميَّزوا به هو الكذب في أقوالهم وأفعالهم، فجميع ما نعاه عليهم أصله الكذب في القول والفعل، فالصدق بريد الإيمان، ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحِليته ولباسه، بل هو لُبُّه وروحه، والكذب بريد الكفر والنِّفاق ودليل ذلك ومركبه وسائقه وقائده وحِليته ولباسه ولُبُّه، فمضادَّة الكذب للإيمان كمضادَّة الشِّرك للتَّوحيد».

فرق ما بين الصَّحابة المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ والمنافقين الكاذبين معلوم، فمادَّة حياة القلوب وأساس الإيمان وسبب الهداية الوحي تلقَّاه الصَّحابة بالقبول والفرح والإيمان، وآياته وجلت منها قلوبهم وزادتهم إيمانًا، والمنافقون زادتهم طغيانًا وكفرًا ونفورًا عن الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ انصبغت قلوبهم بنور الوحي، فاستنارت بصائرهم بحقائق الإيمان والعلم النَّافع وأورثهم ذلك العمل الصَّالح، والمنافقون كفروا بالوحي فأظلمت قلوبهم وعميت بصائرهم واسودَّت وجوههم بالجهل والشِّرك والكفر وأعماله.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة النور: ٣٥].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٧٤٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قال أبيُّ بن كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وغيره: هو مثل نور المؤمن، وهو نوره الذي في قلب عبده المؤمن الناشئ عن العلم النافع والعمل الصَّالح، وذلك بيّنة من ربه، وقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [سورة الزمر: ٢٢]، وهو الهدىٰ المذكور في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ [سورة البقرة: ٥]، واستعمل في هذا حرف الاستعلاء لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالمًا موقنًا بالحقّ، فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصبغ بها، كما قال: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ [سورة البقرة: ١٣٨]».

أعمال المنافقين تابعة لباطن اعتقادهم الكفري، فكانوا يضادُّون الإسلام، ويحاربونه، ويفرِّقون جماعة المسلمين، ويضارون بها، ويتحزّبون مع أعداء الإسلام ضد المسلمين، كأولئك الذين اتخذوا مسجد الضِّرار.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ [التوبة: ١٠٧].

تلك هي جماعة المنافقين، انحازوا في مسجد الضِّرار اجتماعًا علىٰ كلمة الكفر والكيد للإسلام، أمَّا الصَّحابة المؤمنون المتَّقون الصَّادقون فقد عمروا المسجد النَّبوي ومسجد قباء بالتَّقوىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [سورة التوبة: ١٠٨].

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٥١٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كان مسجد قباء أسس علىٰ التَّقوىٰ، ومسجده أعظم في تأسيسه علىٰ التَّقوىٰ من مسجد قباء».

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عبدوا الله في البيوت التي أذن أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ينبغي أن يعرف أن المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلىٰ المؤمنين وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم القرآن وغير ذلك، وإن كان النبي ﷺ لا يعرف كلًّا منهم بعينه، فالذين باشروا ذلك كانوا يعرفونه.

والعلم بكون الرجل مؤمنًا في الباطن أو يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مشركًا؛ أمر لا يخفىٰ مع طول المباشرة؛ فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله علىٰ صفحات وجهه وفلتات لسانه، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ﴾ [سورة محمد: ٣٠]، وقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾ [سورة محمد: ٣٠]، فالمضمر الكفر لا بد أن يعرف في لحن القول، وأما بالسيما فقد يعرف وقد لا يعرف، وقد قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ﴾ [سورة الممتحنة: ١٠].

والصحابة المذكورون في الرواية عن النبي ﷺ، والذين يعظمهم المسلمون علىٰ الدين؛ كلهم كانوا مؤمنين به، ولم يعظم المسلمون - ولله الحمد - علىٰ الدين منافقًا.

والإيمان يعلم من الرجل كما يعلم سائر أحوال قلبه من موالاته ومعاداته

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٥٣٨).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيميَّة في التَّفسير (٣/ ٣٥٨).

وفرحه وغضبه وجوعه وعطشه، وغير ذلك فإن هذه الأمور لها لوازم ظاهرة، والأمور الظاهرة تستلزم أمورًا باطنة، وهذا أمر يعرفه الناس فيمن جربوه وامتحنوه. ونحن نعلم بالاضطرار أن ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبا سعيد الخدري وجابر أو نحوهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كانوا مؤمنين بالرسول، محبين له، معظمين له، ليسوا منافقين، فكيف لا يعلم ذلك في مثل الخلفاء الراشدين، الذين أخبارهم وإيمانهم ومحبتهم ونصرهم لرسول الله ﷺ قد طبقت البلاد مشارقها ومغاربها؟!

فهذا مما ينبغي أن يعرف، ولا يجعل وجود قوم منافقين موجبًا للشك في إيمان هؤلاء الذين لهم في الأمة لسان صدق».

وانظر إلىٰ فرق ما بين من تخلَّف عن غزوة تبوك من الصَّحابة الأخيار ومن تخلّف من المنافقين الأشرار، وتدبَّر قول كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يذكر من بقي من المخلّفين: «**يحزنني أنّي لا أرىٰ لي أسوة، إلا رجلًا مغموصًا عليه في النِّفاق، أو رجلًا مِمَّنْ عذر الله تعالىٰ من الضُّعفاء**»، تعرف تمايز فرقة الإيمان وعصبة الصَّحابة من فرقة المنافقين.

فالصَّحابة الصَّادقون كلُّهم خرجوا للجهاد في غزوة تبوك، وما بقي في المدينة إلا المعذورون من الضُّعفاء.

وقد تحدَّث من لا ينطق عن الهوىٰ عن الصَّحابة المعذورين ممَّن لم يمكنه الخروج للجهاد في غزوة تبوك، وذكر ما لهم عند الله من الثَّواب والأجر.

قال النبيُّ ﷺ لأصحابه في تبوك: «إنَّ بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا، ولا

قطعتم واديًا إلا كانوا معكم»، قالوا: وهم بالمدينة؟! قال: «**وهم بالمدينة حبسهم العذر**».

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هؤلاء كانوا قاصدين للعمل الذي كانوا يعملونه راغبين فيه، لكن عجزوا فصاروا بمنزلة العامل».

فرق ما بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والمنافقين معلوم، فالصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لو وقع من أحدهم معصية أو تخلف عن طاعة كان ذلك خلاف المعهود عنهم من استباق الخيرات وإقامة الدِّين والإتيان بشعب الإيمان، وكان إيمانهم دائمًا يأمرهم بكل خير، وحالهم من الإيمان متحقق تسرّهم حسناتهم وتسوؤهم سيئاتهم.

أما المنافقون فقد كانوا فرحين بتخلفهم عن الطَّاعات وعن نصرة الدِّين.

قال تعالىٰ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ [التوبة: ٨١].

لا تستوي طائفة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وطائفة المنافقين، كما لا يستوي الإسلام والكفر

وقد نفىٰ الله ما زعمه المنافقون من أنَّهم والصَّحابة سواء، فأكذبهم الله، وقال سبحانه: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٦].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٤٤١).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «حلفوا بالله أنهم من المؤمنين من الباطن بقلوبهم، وإلا فقد علم المؤمنون أنَّهم منهم في الظاهر، فكذبهم الله، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦]، وهناك قال: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ١٨]، فالخطاب لمن كان في الظاهر مسلمًا مؤمنًا وليس مؤمنًا، بأنّ منكم من هو بهذه الصفة، وليس مؤمنًا بل أحبط الله عمله، فهو منكم في الظاهر لا الباطن.

ولهذا لمَّا استؤذن النبي ﷺ في قتل بعض المنافقين قال: «**لا يتحدَّث الناس أنَّ محمدًا يقتل أصحابه**»، فإنّهم من أصحابه في الظاهر عند من لا يعرف حقائق الأمور، وأصحابه الذين هم أصحابه ليس فيهم نفاق كالذين علموا سنَّته للنَّاس وبلغوها إليهم وقاتلوا المرتدِّين بعد موته».

والرَّافضة من أشدّ النَّاس تعظيمًا لأئمَّة النِّفاق عبد الله بن سبأ وأبي لؤلؤة المجوسي.

والله له حكمة بالغة في عدم الإعلان بأسماء أعيان المنافقين في حياة النبي ﷺ، وكان الوحي قد ذكر نعوتهم وصفاتهم ليعرفها المسلمون فيحذروا النِّفاق والمنافقين؛ لأنَّ الله قضىٰ كونًا بقاء النِّفاق والمنافقين إلىٰ يوم القيامة، فيكون القرآن فرقانًا في معرفة أوصافهم.

وهذه الحكمة نحو حكمة الله في قضاء النبي ﷺ في خصومات النَّاس ببيِّنات المتخاصمين، من دون أن يوحىٰ إليه في كل خصومة المحق من المبطل، ليستن

(١) تفسير شيخ الإسلام (٣/ ٣٧٩، ٣٨٠).

القضاة من بعده بهديه ﷺ في القضاء.

قال النبيُّ ﷺ: «إنَّكم تختصمون إليّ، وإنَّما أنا بشر، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجَّته من بعض، وإنَّما أقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيت له من حقّ أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنَّما أقطع له من النَّار»، متَّفق عليه من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

قال العلامة أبو العبَّاس أحمد بن عمر القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «قوله ﷺ: «**إنَّما أنا بشر**»؛ تنبيه علىٰ أنَّ أصل البشريَّة عدم العلم بالغيب، وبما يخفىٰ من البواطن، إلا من أطلعه الله تعالىٰ علىٰ شيء من ذلك، وعلىٰ جواز الغلط والسَّهو عليهم، إلا من عصمه الله من ذلك.

وقد كان الله تعالىٰ قادرًا أن يطلع نبيَّه ﷺ علىٰ بواطن كل من يتخاصم إليه، فيحكم بخفي ذلك ويخبر به، كما اتَّفق له في مواضع؛ كقصَّة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحديث فضالة بن عمير، وذلك أنَّه أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت، قال: فلما دنوت منه قال: «**أفضالة؟**» قلت: نعم، قال: «**ما كنت تحدث به نفسك؟**» قلت: لا شيء! فضحك، وأخبرني بذلك، واستغفر لي، ووضع يده علىٰ صدري، فسكن قلبي.

وغير ذلك من الوقائع التي أخبر بها فوُجدت كما أخبر.

وكما قد اتَّفق ذلك للخضر في قصَّة السَّفينة، والغلام، والجدار، لكن إنما كان ذلك للأنبياء من جملة كراماتهم ومعجزاتهم، ولم يجعل الله ذلك طريقًا عامًّا، ولا قاعدة كليَّة، لا لهم ولا لغيرهم، لاستمرار العادة بأنّ ذلك لا يقع من غير الأنبياء».

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ١٥٣، ١٥٤).

٦٥- جهاد المرتدِّين

من أعظم فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جهادهم للمرتدِّين، فإنَّ كثيرًا من العرب ارتدّ عن الإسلام، وبجهاد الصَّحابة لهم بالسَّيف والعلم عاد كلّهم إلىٰ الإسلام إلا من حقَّت عليه الضَّلالة، فحُفظت بيضة الإسلام وعُتق من النَّار من كان قد استوجبها بردَّته.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «إنّه لمّا توفي – النبي ﷺ – ارتدّ كثير من الناس، بل أكثر أهل البوادي ارتدّوا، وثبتَ علىٰ الإسلام أهلُ المدينة ومكة والطائف، وهي أمصار الحجاز التي كان لكل مصر طاغوت يعبدونه من الطواغيت الثلاثة المذكورة في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ١٩-٢٢].

فكانت اللّات لأهل الطائف، والعُزىٰ لأهل مكة، ومَنَاةُ لأهل المدينة، حتىٰ أذهب اللهُ ذلك وغيرَه من الشرك برسوله - ﷺ -، فلما ارتدّ مَن ارتدّ عن الإسلام وقَعَ في أكثر المسلمين خوف وضَعْف، فأتاهم ما يُوعَدون، فأقام الله أبا بكر الصدّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجعل فيه من الإيمان واليقين، والقوّةِ والتأييد، والعلمِ والشجاعة، ما ثبَّتَ الله به الإسلامَ، وقمع به المرتدّين، حتىٰ عادوا كلهم إلىٰ

(١) جامع المسائل، المجموعة الخامسة، (ص١٥٥).

الإسلام، وقتل اللهُ مُسَيْلِمةَ الكذّاب المتنبي المدّعي للنبوة، وأقر جاحدو الزكاة بها».

والردَّة وقعت من بعض ضعاف الإيمان لموت النبي ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّه عند قتل النبي وموته تحصل فتنة عظيمة للنَّاس؛ المؤمنين به والكافرين به، وتحصل ردَّة ونفاق - لضعف قلوب أتباعه - بموته، ولما يلقيه الشَّيطان في قلوب الكافرين: إنَّ هذا قد انقضىٰ أمره، وما بقي يقوم دينه، وإنَّه لو كان نبيًّا لما قُتل وغُلب، ونحو ذلك».

ولم يرتدّ كل أهل اليمامة، فقد بقي ثمامة بن أثال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن اتَّبعه من قومه علىٰ الإسلام ينصرونه ويحذِّرون من الردَّة ومن اتِّباع مسيلمة الكذاب.

قال محمد بن إسحاق: ارتدّ أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن اتَّبعه من قومه، فكان مقيمًا باليمامة ينهاهم عن اتِّباع مسيلمة وتصديقه، ويقول: إيَّاكم وأمرًا مظلمًا لا نور فيه، وإنَّه لشقاء، كتبه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ من أخذ به منكم، وبلاء علىٰ من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة، فلمَّا عصوه، ورأىٰ أنَّهم قد أصفقوا علىٰ اتِّباع مسيلمة عزم علىٰ مفارقتهم، ومرّ العلاء بن الحضرمي ومن معه علىٰ جانب اليمامة، فلمَّا بلغه ذلك قال لأصحابه من المسلمين: إنِّي والله ما أرىٰ أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا، وإنّ الله تعالىٰ لضاربهم ببلية لا يقومون بها ولا يقعدون، وما نرىٰ أن نتخلَّف عن هؤلاء وهم مسلمون، وقد عرفنا الذي يريدون، وقد مروا قريبًا، ولا أرىٰ إلا الخروج منكم، فمن أراد الخروج منكم فليخرج، فخرج ممدًّا للعلاء بن الحضرمي ومعه

---

(١) الفتاوىٰ العراقية (٢/ ١٠٦٢).

أصحابه من المسلمين، فكأن ذلك قد فتَّ في أعضاد عدوّهم حين بلغهم مدد بني حنيفة، وقال ثمامة بن أثال في ذلك:

دعانــا إلــىٰ تــرك الدِّيانــة والهــدىٰ ... مسـيلمة الكــذَّاب إذ جــاء يســجع

فيــا عجبًــا مــن معشــر قــد تتــابعوا ... لــه في سـبيل الغـي والغـي أشـنع[1]

ووقوع الردَّة بعد وفاة النبيِّ ﷺ ليس بأعجب من وقوعها من أقوام في حياته، قال تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٠١].

قال شيخ المفسِّرين أبو جعفر الطَّبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «يعني بذلك جلَّ ثناؤه ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ أيها المؤمنون بعد إيمانكم بالله عَزَّوَجَلَّ وبرسوله ﷺ، فترْتدُّوا علىٰ أعقابكم ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: حُجج الله عليكم التي أنزلها في كتابه علىٰ نبيِّه محمد ﷺ، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾، حُجَّةٌ أخرىٰ عليكم لله، مع آي كتابه، يدعوكم جميع ذلك إلىٰ الحقِّ، ويُبصِّرُكم الهدىٰ والرَّشاد، وينهاكم عن الغيِّ والضَّلال.

يقول لهم تعالىٰ ذكرُه: فما وجه عذركم عند ربكم في جحودكم نبوَّة نبيِّكم، وارتدادكم علىٰ أعقابكم، ورجوعكم إلىٰ أمر جاهليتكم، إن أنتم راجعتم ذلك وكفَرْتُم؟!».

وبعد أن نهىٰ الله عن الكفر والردَّة، أخبر الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ ردَّة من ارتدّ سببها

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص١٣٦).

(٢) جامع البيان (٥/ ٦٣٣، ٦٣٤).

عدم الاعتصام بالله في الهداية والثَّبات علىٰ الإسلام، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «الاعتصام بالله والتوكُّل عليه هو العمدة في الهداية، والعُدَّة في مباعدة الغواية».

ولا جواب عن ردَّة من ارتدَّ أفضل من كلام الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، فالله غنيٌّ عن العالمين، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [سورة فاطر: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وفي صلح الحديبية اشترط الكفَّار علىٰ النبيّ ﷺ: «أن من جاء منكم لم نرُدَّهُ عليكم، ومن جاءكم منَّا رددتموه علينا»، فقال رسول الله ﷺ: «**من ذهب منَّا إليهم فأبعده الله**»، اللفظ لمسلم، وصلح الحديبية مروي في الصحيحين.

وقد وقعت الردَّة من أقوام في عهد النبي ﷺ، وسببه تزيين الشَّيطان لهم الردَّة، وطاعتهم للكفَّار في بعض أمورهم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد: ٢٥، ٢٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٤٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾؛ أي: فارَقوا الإيمان، ورجعوا إلىٰ الكفر، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ أي: زيَّن لهم ذلك وحسَّنه ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ أي: غرَّهم وخدعهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾؛ أي: مالؤوهم وناصحوهم في الباطن علىٰ الباطل، وهذا شأن المنافقين يُظهرون خلاف ما يبطنون، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ أي: ما يُسِرُّون وما يُخفون، الله مطَّلعٌ عليه وعالم به».

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «تبين أنَّ موالاة الكفَّار كانت سبب ارتدادهم علىٰ أدبارهم، ولهذا ذكر في سورة المائدة أئمَّة المرتدِّين عقب النَّهي عن موالاة الكفَّار، قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [سورة المائدة: ٥١]».

ومن رحمة الله بعباده أن أراهم في حياة النبيِّ ﷺ نموذجًا ممَّن ارتدّ، ثم تاب عن ردَّته، ليُبيِّن لهم أنَّ للمرتد سبيلًا إلىٰ التَّوبة، ليعرف الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ حكم نظائر المرتدِّين بعد وفاة النبيّ ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٦ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ٨٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٨ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٨٣).

(٢) تفسير شيخ الإسلام (٥/ ٥٥٩).

رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٦-٨٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «هذا من لطفه وبرِّه ورأفته، ورحمته، وعائدته علىٰ خلقه أنَّه من تاب إليه تاب عليه».

والردَّة المصطنعة منهج اليهود، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران: ٧٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هذه مكيدة أرادوها ليلبِّسوا علىٰ الضُّعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنَّهم اشْتَوَرُوا بينهم أن يُظهروا الإيمان أول النَّهار، ويُصلُّوا مع المسلمين صلاة الصُّبح، فإذا جاء النَّهار ارتدُّوا إلىٰ دينهم؛ ليقول الجهلة من النَّاس: إنَّما ردَّهم إلىٰ دينهم اطِّلاعهم علىٰ نقيصةٍ وعيبٍ في دين المسلمين، ولهذا قالوا: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٢].

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالىٰ إخبارًا عن اليهود بهذه الآية، يعني: يهودًا صلَّت مع النبيّ ﷺ صلاة الفجر، وكفروا آخر النَّهار مكرًا منهم، ليُرُوا النَّاس أن قد بدت لهم الضَّلالة منه بعد أن كانوا اتَّبعوه».

❁ ❁ ❁

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٣١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٢٣).

٦٦- السَّابقون للإسلام

السَّبق للإسلام هي أم الفضائل، وهي الخصوصية التي منَّ الله بها علىٰ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ ليكونوا أوَّل المؤمنين، وقد روىٰ البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثت من خير قرون بني آدم قرنًا**».

وخصوصيَّة هذه الفضيلة هو اهتداء من بعد الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بهم، فكلّ من آمن بالله وأسلم له فبهداهم أسلم، فهم أول المسلمين من هذه الأمَّة، وهم الذين أدَّوا إلينا الدِّين، فكان إسلام الخلق بعدهم جميعًا في ميزان حسناتهم.

ومن سبق للإسلام كان إذ ذاك يلقىٰ أذىً شديدًا من الكفَّار، وهجرًا من أقاربه، وعدوانًا وظلمًا من الكافرين؛ لغربة الإسلام وقلَّة أتباعه، وشدَّة تعصب الكافرين لتقليد آبائهم، والأذىٰ لمن خالفهم.

قال العلَّامة أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٣٨٧هـ)**[1]: «إن الإيمان درجات ومنازل يتفاضل بها المؤمنون عند الله، ومتىٰ تأمَّل متأمِّل وصف الله للمؤمنين وتفضيله بعضهم علىٰ بعض وكيف حزبهم إليه بالسِّباق، علم أن الله قد سبق بين المؤمنين في الإيمان كما سبق بين الخيل في الرهان، ثم قبلهم علىٰ درجاتهم في السبق إليه، فجعل كل امرئ منهم

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/ ٨٣٧).

علىٰ درجة سبقه لا ينقصه فيها من حقه، لا يتقدم مسبوق سابقًا، ولا مفضول فاضلًا. وبذلك فضل الله أوائل هذه الأمة علىٰ أواخرها، ولو لم يكن للسابقين بالإيمان فضل علىٰ المسبوقين للحق آخر هذه الأمة أولها في الفضل ولتقدمهم؛ إذ لم يكن لمن سبق إلىٰ الله فضل علىٰ من أبطأ عنه ولكن بدرجات قدم السابقون وبالإبطاء عن الإيمان أخر المقصرون».

❁ ❁ ❁

٦٧- غرس الله عَزَّوَجَلَّ

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ غرس الله عَزَّوَجَلَّ، اصطفاهم الله للإيمان به والاتباع لرسوله ﷺ، واستعملهم الله في نصرة الدين دعوةً وجهادًا، فغرسوا ما آمنوا به في قلوب من هداهم الله بهم، فتعلموا العلم وأخذوا بميراث النبوة، فغرسوه في نفوس الخلق، فأصلح الله بهم الأرض بعد أن مُلئت شركًا وجورًا، فكانوا السبب في هداية الخلق وظهور الإسلام، وتحقيق التوحيد والعدل، وإقامة حكم الله في الأرض.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «لا يزال غرس الله الذين غرسهم في دينه يغرسون العلم في قلوب من أهّلهم الله لذلك وارتضاهم، فيكونوا ورثة لهم، كما كانوا هم ورثة لمن قبلهم، فلا تنقطع حجج الله والقائم بها من الأرض وفي الأثر المشهور: «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم بطاعته». وكان من دعاء بعض من تقدم: «اللهم اجعلني من غرسك الذين تستعملهم بطاعتك». ولهذا ما أقام الله لهذا الدين من يحفظه ثم قبضه إليه إلا وقد زرع ما علمه من العلم والحكمة إما في قلوب أمثاله وإما في كتب ينتفع بها الناس بعده. وبهذا وغيره فَضَلَ العلماءُ العُبَّادَ؛ فإن العالم إذا زرع علمه عند غيره ثم مات جرىٰ عليه أجره، وبقي له ذكره وهو عمر ثان، وحياة أخرىٰ، وذلك أحق ما تنافس فيه المتنافسون ورغب فيه الراغبون».

---

(١) مفتاح دار السَّعادة (١/ ٤١٦، ٤١٧).

٦٨- أنفع الخلق للخلق

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أنفع الخلق للخلق في كل شيء، من أمورهم الدِّينية والدُّنيويَّة.

قاموا بدعوة الناس إلىٰ الإسلام، وتألفوهم علىٰ ذلك، وأحسنوا في تعليمهم شرائع الإسلام وأحكامه، وقاموا لهم بحقوقهم الواجبة والمستحبة، وكانوا ناصحين لهم في دعوتهم ومعاملتهم، فعاملوهم بما هو خير لهم في دينهم ودنياهم، فلم يَغُشُّوهم ولم يضارُّوا بهم.

كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أولياء للمسلمين، ينصرونهم ولا يخذلونهم، ويسدون خَلَّتَهم، ويقضون حوائجهم، ويعينونهم علىٰ نوائب الأمور، فكانوا ﴿رُحَمَآءُ﴾ بالمؤمنين، وكانوا أفضل الخلق تحقيقًا لأخوة الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وكانوا للمؤمنين جسدًا واحدًا، متآزرين متعاضدين، وسبب ذلك كمال إيمانهم، فإنّهم أحبوا للناس ما أحبوا لأنفسهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المنافع التي يجب بذلها نوعان: منها ما هو حق المال، كما ذكره في الخيل والإبل وعارية الحلي، ومنها ما يجب لحاجة النَّاس.

---

(١) الحسْبَة (ص١٠٣).

وأيضًا فإنّ بذل منافع البدن يجب عند الحاجة كما يجب تعليم العلم وإفتاء النَّاس، وأداء الشَّهادة، والحكم بينهم، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والجهاد، وغير ذلك من منافع الأبدان».

❁ ❁ ❁

٦٩- سلام الله عليهم

سلام الله علىٰ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأعيانهم تشريف وتكريم ورضًا من الله لهم، وثناء عليهم، وتسليم لهم من الشُّرور، ووعد لهم بالسَّلامة في الآخرة، دار السلام، وسلام الله علىٰ الصحابة كثير.

وألقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ السلام إلىٰ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتىٰ جبريل النبيّ ﷺ فقال: «**يا رسول الله! هذه خديجة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السَّلام من ربِّها ومنِّي، وبَشِّرْها ببيت في الجنة من قصب، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب**».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «قوله: «**فاقرأ عليها السلام من ربها ومني**» زاد الطبراني في الرواية المذكورة: «فقالت: هو السلام ومنه السلام وعلىٰ جبريل السلام»، وللنسائي من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قال جبريل للنبي ﷺ: **إن الله يقرئ خديجة السلام**»، يعني فأخبرها، فقالت: «إن الله هو السلام وعلىٰ جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته»، زاد ابن السني من وجه آخر: «وعلىٰ من سمع السلام، إلا الشيطان».

قال العلماء: في هذه القصة دليل علىٰ وفور فقهها؛ لأنها لم تقل: «وعليه

(١) فتح الباري (٧/ ١٧٤).

السلام» كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد: «السلام علىٰ الله»، فنهاهم النبي ﷺ وقال: «**إن الله هو السلام، فقولوا: التحيات لله**»، فعرفت خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا - لصحة فهمها - أن الله لا يرد عليه السلام كما يرد علىٰ المخلوقين؛ لأن السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضًا دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أن يرد به علىٰ الله».

وقد سلّم الله علىٰ جميع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، فقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل: ٥٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يقول تعالىٰ آمرًا رسوله ﷺ أن يقول ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أي: علىٰ نعمه علىٰ عباده من النعم التي لا تُعدّ ولا تحصىٰ، وعلىٰ ما اتَّصف به من الصفات العلىٰ والأسماء الحسنىٰ، وأن يُسلِّم علىٰ عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبياؤه الكرام، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام، وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره: إنَّ المراد بعباده الذين اصطفىٰ هم الأنبياء، قال: وهو كقوله: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

وقال الثوري والسدي: هم أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم أجمعين، وروي نحوه عن ابن عباس أيضًا، ولا منافاة فإنّهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفىٰ فالأنبياء بطريق الأولىٰ والأحرىٰ.

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٦٨٢).

والقصد: أن الله تعالىٰ أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد، وما أحلَّ بأعدائه من الخزي والنكال والقهر، أن يحمدوه علىٰ جميع أفعاله، وأن يُسلِّموا علىٰ عباده المصطفين الأخيار».

❁ ❁ ❁

٧٠- أولياء لله

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حققوا رتبة الولاية، فكانوا أولياء الله حقًّا، وكل من ثبتت له الولاية من بعدهم فبحسب إيمانه وتقواه، ورتبة الصَّحابة في الولاية الأعظم.

وقد زعم المشركون أنَّهم أولياء الله، فأكذبهم الله، وزكىٰ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وشهد لهم بأعيانهم أنَّهم أولياء الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

والله ولي أوليائه ينصرهم ويُمكِّنُ لهم، وهذا من أعظم الدِّلالات وضوحًا في ولاية الله للصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فإنَّ الله مكَّن لهم في مشارق الأرض ومغاربها في أسرع وقت، فكانوا جند الله الذين أقام الله بهم الدِّين وهدىٰ الخلق بهم في كل الأرض.

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حقَّقوا أصل الإيمان، وأقاموا أوثق عراه، واستكملوه، فقد أحبوا في الله وأبغضوا في الله، وأعطوا ومنعوا في الله، قال النبي ﷺ: «**أوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله**».

وعن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال رسول الله** ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطىٰ لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان**»، رواه أبو داود.

وخاطب الله الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وهو خطاب للأمَّة جميعًا بالتحذير من موالاة الكافرين وإن كانوا من القرابة، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم

مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ [التوبة: ٢٣].

وفي موالاة الله والحب والبغض فيه امتلاء القلب من الفرح بالله والسلوة به ما يغني عن سخط من كفر به.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾؛ سرٌّ بديع، وهو أنَّه لما سخطوا علىٰ القرائب والعشائر في الله عوَّضهم الله بالرِّضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النَّعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم».

ومن أراد الفضل والخير وإدراك ولاية الله فليتولىٰ الله، وأولياء الله هم من نعتهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٦٣]، فكل من كان أمكن في الإيمان والتَّقوىٰ كان أعظم حظًّا من ولاية الله.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «إن الولاية هي القرب من الله عَزَّوَجَلَّ، فولي الله هو القريب منه المختص به، والولاء هو في اللغة القرب، ولهذا القرب علامات وأدلة، وله أسباب وشروط وموجبات، وله موانع وآفات وقواطع، فلا يعلم

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٩٩).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٠١٤).

العبد هل هو ولي لله أم لا.

وأما الإيمان فهو أن يؤمن بالله تعالىٰ وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، ويلتزم أداء فرائضه وترك محارمه، وهذا يمكن أن يعلمه من نفسه، بل ويعلمه غيره منه.

والذي يظهر لي من ذلك أن ولاية الله نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: ولاية كل مؤمن، فمن كان مؤمنًا لله تقيًّا كان وليًّا له، وفيه من الولاية بقدر إيمانه وتقواه، ولا يمتنع في هذه الولاية أن يقول: «أنا ولي لله إن شاء الله»، كما يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله».

والولاية الخاصة: إن علم من نفسه أنه قائم لله بجميع حقوقه، مؤثر له علىٰ كل ما سواه في جميع حالاته، قد صارت مراضي الله ومحابه هي همه ومتعلق خواطره، يصبح ويمسي وهمه مرضاة ربه، وإن سخط الخلق، فهذا إذا قال: «أنا ولي لله» كان صادقًا».

❁ ❁ ❁

٧١- خير النَّاس

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أفضل الورىٰ بعد رسول الله ﷺ لكثرة خيرهم، وندرة شرِّهم، وذلك لأنَّهم أكمل النَّاس تحققًا بالإسلام، حيث قال النبي ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

ومن عرف سيرة الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وجدهم أنصح النَّاس للخلق، وأحرصهم علىٰ الإحسان إليهم في مصالح دينهم ودنياهم، وأبعدهم عن الغشّ والأذىٰ للخلق.

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ وقف علىٰ أناس جلوس، فقال: «**ألا أخبركم بخَيْرِكُمْ من شرِّكُمْ؟**» قال: فسكتوا، فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلىٰ يا رسول الله! أخبرنا بخيرنا من شرنا، قال: «**خيركم من يُرْجَىٰ خيره ويؤمن شرُّهُ، وشرُّكم من لا يُرجىٰ خيره، ولا يؤمن شرُّه**»[١].

والمسلم واجب عليه أن يحقق إسلامه نحو خير الناس، يذكر محاسنهم، ويكف عن ذكرهم بغير الجميل، ويستغفر لهم، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) رواه التِّرمذي، كتاب الفتن، باب حديث: «**خيركم من يرجىٰ خيره ويؤمن شرّه**»، (ص٥٢٠ – رقم ٢٢٦٣)، وقال التِّرمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال العلامة الفقيه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ المزنيُّ (ت: ٢٦٤هـ)[(١)]:

«يُقال بفضلهم، ويُذكرون بمحاسن أفعالهم، ونُمسِك عن الخوض فيما شجر بينهم، فهم خيار أهل الأرض بعد نبيِّهم، ارتضاهم الله عَزَّوَجَلَّ لنبيّه، وجعلهم أنصارًا لدينه، فهم أئمة الدِّين، وأعلام المسلمين، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين».

❁ ❁ ❁

(١) شرح السنة (ص٨٨).

٧٢- أكابر الأمة

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أكابر الأمة، وتلقي العلم والدين عنهم من أسباب البركة في الأمة؛ فإنهم كانوا خير الأمة، وأعلمها.

عن أبي أمية الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سئل رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة، فقال: «**إنّ من أشراطها أن يلتمس العلم عند الأصاغر**».

قال نعيم: قيل لابن المبارك: من الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عن كبير؛ فليس بصغير.

وذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك أنّه كان يذهب بالأصاغر إلىٰ أهل البدع ولا يذهب إلىٰ السن. وهذا وجه. قال أبو عبيد: والذي أرىٰ أنا في الأصاغر أن يؤخذ العلم عمن كان بعد أصحاب رسول الله ﷺ ويقدِّم ذلك علىٰ رأي أصحاب رسول الله ﷺ وعلمهم، فذاك أخذ العلم عن الأصاغر[1].

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ معدن العلم، وفقهاء الأمة، وأكابرها، قال تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦].

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصحاب محمد ﷺ»[2].

(١) جامع بيان العلم وفضله (ص٢٤٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (ص٣١٩).

وعندما أراد الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تحديث المسلمين في موسم الحج عن بيعة الصدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال له عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أمهل حتىٰ تَقْدِمَ المدينة، فإنّها دار الهجرة والسنَّة، فَتَخْلِصَ بأهل الفقه»، رواه البخاري.

والنبيُّ ﷺ عندما أقبل إليه مَحَيِّصَةُ وحُوَيِّصَة، وأراد عبد الرحمن بن سهل أن يتكلم، قال له: «**كبّر، كبّر**»؛ يعني ليتحدث كبيركم. رواه البخاري ومسلم.

قال القاضي عياض اليحصبي رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «في هذا الحديث مراعاة السن، والتقديم للأشياخ والكبراء في الكلام، وفي الجماعة في محافل الناس وأمورهم».

وقد أخذ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بهذا الخلق العظيم، فكانوا يعرفون لأكابرهم قدرهم، ولا يتقدّمون بين أيديهم.

قال سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لقد كنت علىٰ عهد رسول الله ﷺ غلامًا، فكنت أحفظ عنه، وما يمنعني من القول إلا أنّ هاهنا رجالًا هم أَسَنُّ مني»، رواه مسلم.

والصحابة أنفسهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا يتلقّون العلم عن أكابرهم، ويستظهرون بفقههم علىٰ الراجح من الأقوال والمحكم من سنة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

عن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **قال**: صَحِبْتُ رسول الله ﷺ، فكان لا يزيد في السَّفَرِ علىٰ ركعتين، وأبا بكر وعمر وعثمان ـ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ـ كذلك، متفق عليه.

قال العلامة عليُّ بن داود بن العَطَّار رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «ذكر أبا بكر وعمر وعثمان

---

(١) إكمال المُعْلم بفوائد مسلم (٥/ ٤٥٨).

(٢) العُدَّةُ في شرح العُمْدَة (٢/ ٦٦٨).

- رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ - في ذلك، مع أنّ الحجة قائمة بفعل رسول الله ﷺ؛ ليبيِّن أنَّ ذلك كان معمولًا به عند الأئمة، لم يتطرَّق إليه نسخ ولا معارضة راجحة».

والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم أكابر علماء الأمَّة، تلقَّوا العلم عن النبي ﷺ مباشرة، وكانوا أفصح الخلق، وكانوا متحقِّقين بأصول الفقه، فبذلك أدركوا الفقه، وحظّ الفقهاء من بعدهم من العلم ما استفادوه من علومهم، أما أن يُدرك أحد رتبة علماء الصحابة فهذا مستحيل.

قال الأوزاعي رَحِمَهُٱللَّهُ[(١)]: «العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن أصحاب محمد ﷺ فليس بعلم».

وقال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ **مبيِّنًا فضل علوم الصحابة**[(٢)]: «إنّ أصول الفقه سجية للقوم، وطبيعة لا يتكلَّفونها، كما أنّ العربية والمعاني والبيان وتوابعها لهم كذلك، فمن بعدهم إنّما يُجهد نفسه ليتعلق بغبارهم، وأنّىٰ له؟!».

فأكابر الأمة هم الصحابة، ومن تلقّىٰ عنهم العلم واتبعهم بإحسان من كل طبقة من بعدهم، أما من تلقىٰ علومه عن المبتدعين فأولئك هم الأصاغر.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ[(٣)]: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أنّ أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء. وإنَّما العلماء أهل الأثر والتفقّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم».

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (ص٣١٩).

(٢) زاد المعاد (ص٩٧).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (ص٤١٦).

والأمة إنَّما حُمدت في علومها واعتقادها وأعمالها بسبب تلقّيها علم ذلك عن أكابر الأمة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كل من له لسان صدق من مشهور بعلم أو دين؛ معترف بأنّ خير هذه الأمة هم الصحابة، وأنّ المُتَّبع لهم أفضل من غير المُتَّبع لهم.

ولا تجد إمامًا في العلم والدين ـ كمالك، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل، وأبي سليمان، ومعروف الكرْخي، وأمثالهم ـ إلَّا وهم مصرِّحون بأنَّ أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة، وهم يرون أنّ الصحابة فوقهم في جميع الفضائل».

وقال الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة طالب العلم[(٢)]: «يحذر من المسائل المحدثات في البدع، لا يصغىٰ إلىٰ أهلها بسمعه، ولا يرضىٰ بمجالسة أهل البدع ولا يماريهم، أصله الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، يأمر بالاتباع وينهىٰ عن الابتداع».

وفقهاء الأمصار هم الذين تلقوا علومهم من الكتاب والسنة بفهم السلف، وتفقهوا بآثار الصحابة؛ فهؤلاء هم العلماء حقًّا والفقهاء صدقًا.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «أمَّا فقهاء الأمصار فلكل واحد منهم

---

(١) شرح الأصبهانيَّة (ص٦٣١)، باختصار يسير.

(٢) أخلاق العلماء (ص٧٨، ٧٩).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (ص٣٨٦).

سلف من الصحابة والتابعين».

فالفقيه هو الذي يتلقَّىٰ معاني القرآن والسنَّة من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهو الذي يعتصم بالكتاب والسنَّة بفهم أكابر الأمَّة.

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُٱللَّهُ: «كانوا يرون أنّه علىٰ الطريق ما دام علىٰ الأثر»[(١)].

فالفقه في الدين حقيقته طلب معاني نصوص القرآن والسنَّة بفهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُٱللَّهُ[(٢)]: «أمَّا فقهاء أهل الحديث العاملون به؛ فإن معظم همِّهم: البحث عن معاني كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وما يُفسِّرُهُ من السنن الصحيحة، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وعن سُنَّة رسول الله ﷺ، ومعرفة صحيحها وسقيمها، ثم التَّفقُّه فيها، وتفهُّمها، والوقوف علىٰ معانيها، ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان في أنواع العلوم من التفسير والحديث، ومسائل الحلال والحرام، وأصول السنة والزهد والرقائق وغير ذلك. وهذا هو طريق الإمام أحمد ومن وافقه من علماء الحديث الربانيِّين».

وحبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في محاجته للخوارج ابتدأ الردَّ عليهم ببيان فرق ما بينهم وبين أكابر الأمة، حيث قال لهم: «جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ، وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله.

جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم»، رواه الحاكم.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (ص٤٨٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٤٩).

٧٣- الواسطة بين الرسول ﷺ والأمة

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، اتبعوه على الإيمان بالله وحده لا شريك له، وأداء ما دعاهم إليه إلى الخلق، فآمنوا بالحق واتبعوه ونصروه.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم الذين أدوا عن النبي ﷺ الدين، فبلّغونا عقائد الإسلام وشرائعه وعباداته وأحكامه.

قال العلامة المجدِّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأهل العلم هم الوسائط بين الرسول ﷺ وبين أمته في تبليغ سنته؛ ألفاظها ومعانيها، فالمتبع لهم في ذلك مهتد بأفهامهم».

فالنبي ﷺ كان مُبلِّغًا عن الله شرعه ودينه، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لازموه وأخذوا عنه الدين وبلّغوه إلينا، وحفظوا عنه سنته وأحواله في الحضر والسّفر، وفي السلم والجهاد، وفي عباداته ومعاملاته، ونقلوا إلينا ذلك كله، كأنّما نشاهد الرسول ﷺ رأي عين.

قال العلامة عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «كان رسول الله ﷺ هو المبيِّن عن الله عَزَّوَجَلَّ أمره، وعن كتابه معاني ما خوطب به الناس، وما

(١) توضيح الكافية الشافية (ص١٥٤).

(٢) الجرح والتعديل (١/ ٢).

أراد الله عَزَّوَجَلَّ به وعنىٰ فيه، وما شرع من معاني دينه وأحكامه وفرائضه وموجباته وآدابه ومندوبه وسننه التي سنَّها، وأحكامه التي حكم بها وآثاره التي بثها.

فلبث ﷺ بمكة والمدينة ثلاثًا وعشرين سنة، يقيم للناس معالم الدين، يفرض الفرائض، ويسن السنن، ويمضي الأحكام ويُحرِّم الحرام ويحل الحلال، ويقيم الناس علىٰ منهاج الحق بالقول والفعل. فلم يزل علىٰ ذلك حتىٰ توفاه الله عَزَّوَجَلَّ وقبضه إليه صلىٰ الله عليه وسلم أفضل صلاة وأزكاها، وأكملها وأزكاها، وأتمها وأوفاها، فثبت عليه السلام حجة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ خلقه بما أدىٰ عنه وبيَّن، وما دل عليه من محكم كتابه ومتشابهه، وخاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه، وما بشَّر وأنذر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

فإن قيل: كيف السبيل إلىٰ معرفة ما ذكرت من معاني كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومعالم دينه؟ قيل: بالآثار الصحيحة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه النجباء الألباء الذين شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، رضي الله تعالىٰ عنهم».

فقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الواسطة بين رسول الله ﷺ والأمة في تبليغ الدين؛ عقائده، وعباداته، وأحكامه.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في أدائهم الدين إلينا ينقلون ذلك عن رسول الله ﷺ ويسندونه إليه.

وفي هذا المختصر حسبي أن أنقل مثالًا من ذلك في العقيدة والعبادات والأحكام.

ففي العقيدة قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأبي الهياج

الأسدي: ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدعَ تمثالًا إلَّا طمسته، ولا قبْرًا مشرفًا إلا سويته، رواه مسلم.

وفي الأحكام سأل التابعي أبو الزبير صحابي رسول الله ﷺ جابرًا عن ثمن السِّنَّوْر والكَلْب، فقال: زجر النبي ﷺ عن ذلك، رواه مسلم.

وفي العبادات أدىٰ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلينا صفة نسك النبي ﷺ مفصلة، ففي الصلاة روت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وقالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بـ: (الحمد لله رب العالمين)، وكان إذا ركع لم يُشْخِصْ رأسه ولم يُصَوِّبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الرُّكوع لم يسجد حتىٰ يستوي قائمًا، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتىٰ يستوي قاعدًا، وكان يقول في كل ركعتين: التَّحِيَّة، وكان يَفْرُشُ رجله اليسرىٰ، وينصب رجله اليمنىٰ، وكان ينهىٰ عن عُقْبةِ الشيطان، وينهىٰ أن يَفْرُشَ الرَّجُلُ ذراعيه افتراش السَّبُع، وكان يختم الصلاةَ بالتسليم، رواه مسلم.

قال العلامة عليُّ بن داود بن العَطَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «في هذا الحديث فوائد وأحكام، غير ما ذكرنا في ألفاظه ومعانيه.

منها: نقل أقواله وأفعاله وأحواله إلىٰ الأمة، كما فعلت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وتلقَّته الأمَّة عنها بالقبول، خصوصًا في أحكام الصلاة».

فالصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قاموا بما أمرهم به رسول الله ﷺ من تبليغ الدين، فقد روىٰ البخاري عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «**بلِّغوا**

(١) العُدَّةُ في شَرْح العُمْدَة (١/ ٤٥٥).

عني ولو آية».

قال المعافىٰ النهرواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قال في الحديث: «**ولو آية**»؛ أي: واحدة، ليسارع كل سامع إلىٰ تبليغ ما وقع له من الآي، ولو قلّ، ليتّصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ».

فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بلّغوا الدّين كلّه، كما بلّغه إليهم رسول الله ﷺ، فحفظوا بذلك علوم الإسلام.

فلولا أنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حفظوا دين الله عَزَّوَجَلَّ الذي أدَّوه إلينا، لاندرست علومه وذهبت شرائعه، فسبحان من اختارهم لذلك.

وهذا يُنبِّهك أيُّها المسلم إلىٰ تلقِّي دين الإسلام عمَّن كان الواسطة بين الرسول ﷺ والأمّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «الطَّريق إلىٰ معرفة ما جاء به الرسول ﷺ؛ أن تعرف ألفاظه الصحيحة، وما فسرها به الذين تلقَّوا عنه اللفظ والمعنىٰ».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «هؤلاء الأعلام ـ الصحابة ـ وسادات الإسلام، الذين عنهم تُلقِّي الدين، وهم الوسائط بين الأمة ونبيِّها ﷺ، وهم كانوا أحرص علىٰ اتِّباعه، وتبليغ ما جاء به».

❁ ❁ ❁

(١) كتاب الجليس، بواسطة فتح الباري (٦/ ٦٠٩).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٧٣).

(٣) رفع اليدين (ص١٩٨، ١٩٩).

٧٤- دعاة خير

كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مفاتيح خير، يدعون إليه، ويُرغّبون النَّاس فيه، ويحثّونهم عليه؛ عبوديَّة لله عَزَّوَجَلَّ، وإخلاصًا له وحده، وإحسانًا للخلق، وإصلاحًا للأرض، تحقيقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وأصل الخير وأساسه هو توحيد الله، والفقه في الدين.

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يرغّبون الناس إلىٰ ما يكون خيرًا لهم في دينهم ودنياهم، وسببًا لسعادتهم في الدارين.

قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

كان ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إذا قرأ هذه الآية قال(١): «يا أيُّها الناس! افهموا هذه الآية، لترغّبكم في العلم».

ومن إحسان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إلىٰ الناس؛ حثُّهم علىٰ طلب العلم، لم يثبّطوهم عنه رغبة في اختصاص الخير بهم دون الناس.

قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **في خطبة خطبها:** «اعلموا أنّ

(١) عون الباري بحل أدلة البخاري (١٠/ ٢٠٩).

الناس أبناء من يحسنون، وقدر كل امرئ ما يحسن، فتكلموا في العلم تتبين أقداركم»(١).

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «إنّ قول عليٍّ بن أبي طالب «قيمة كل امرئ ما يحسن»؛ لم يسبقه إليه أحد.

وقالوا: ليس كلمة أحضّ علىٰ طلب العلم منها. قالوا: ولا كلمة أضر بالعلم وبالعلماء والمتعلمين: ما ترك الأول للآخر شيئًا».

فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورثة النبي ﷺ، قاموا بما قام به من الترغيب في الخير والحثّ عليه والتحذير من الشرّ، قال النبي ﷺ: «**إنّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته علىٰ خير ما يعلمه لهم، وأن يحذّرهم شرّ ما يعلمه لهم**»، رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**من دعا إلىٰ هدًىٰ كان له من الأجر مثل من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»، رواه مسلم.

قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤): «حديث هذا الباب أبلغ شيء في فضائل تعليم العلم اليوم والدعاء إليه، وإلىٰ جميع سبل البِرِّ والخير، لأنَّ الميِّت

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (ص١٦١).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (ص١٦١).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول (ص٨٢٨ـ رقم ٤٧٧٦).

(٤) التمهيد (٢٤/ ٣٢٩).

منها كثير جدًّا.

ومثل هذا الحديث في المعنىٰ؛ قوله ﷺ: «**ينقطع عمل المرء بعده إلا من ثلاث: علم علمه فعمل به بعده، وصدقة موقوفة، يجري عليه أجرها، وولد صالح يدعو له»**».

والداعية إلىٰ الخير له أجره، ورسول الله ﷺ الداعية الأول من هذه الأمة معلمنا الخير له أجره أيضًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل خير نفعله هو ببركة دعوة الرسول ﷺ لنا إلىٰ الخير، وأجرنا في ذلك علىٰ الله، لا علىٰ غيره، وله مثل أجورنا من الله، لا منا».

ولم يزل الولاة الصالحون متبعين للسابقين الأولين في الحثِّ علىٰ الخير والترغيب فيه؛ قال جعفر بن برقان : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: أمَّا بعد؛ فمر أهل الفقه والعلم من عندك فلينشروا ما علمهم الله في مجالسهم ومساجدهم، والسلام(١).

فمن أراد اتباع الصحابة بإحسان؛ فليدع إلىٰ الخير، وليرغّب الناس فيه وليحثّهم عليه.

وأما الدعوة إلىٰ الشرك والبدع والذنوب؛ فهو من الإفساد في الأرض، قال تعالىٰ: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦].

وليحذر المسلم من التثبيط عن متابعة النبي ﷺ، واتّباع غير سبيل الصحابة؛ قال تعالىٰ: ﴿**وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾**﴾ [الحج: ٥١].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (ص١٩٧).

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يثبِّطون الناس عن متابعة النبي ﷺ».

ودعاة الشرك والإلحاد والبدع هم دعاة جهنم، وهم الذين حذّرنا منهم النبي ﷺ؛ ففي الصحيحين من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال النبيُّ ﷺ: «**دعاة علىٰ أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**».

دعاة الخير هم الذين اتبعوا الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بإحسان، ودعوا إلىٰ ما أدّوه إلىٰ أمة الإسلام من شرائع الإسلام وتعاليمه وشعب الإيمان.

قال العلامة المجدّد عبد الرحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «ينبغي للعبد أن يكون مباركًا علىٰ نفسه وعلىٰ غيره، باذلًا مستطاعه في الدعوة إلىٰ الخير، والترغيب فيه، بالقول والفعل، والتحذير من الشر بكل طريق، ولا يحقِرَنّ من المعروف شيئًا.

فمن أهم ذلك: تعليم العلوم النافعة وبثّها؛ فإنّها مفتاح الخيرات كلها.

ومن ذلك: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برفق ولين، وحلم وحكمة.

ومن ذلك: أن يَسُنَّ العبد سُنّة حسنة، ويشرع مشروعًا طيبًا نافعًا، يتبعه ناس عليه.

فكل من سنّ حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

وقال العلامة أبو المظفر ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «من قول الخير:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٣٣٧).

(٢) الرياض الناضرة (ص١٩٥).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ١٧٤).

الإبلاغ عن الله عَزَّوَجَلَّ، وقول نبيه ﷺ، وتعليم المسلمين، والأمر بالمعروف عن علم، وإنكار المنكر عن علم، والإصلاح بين الناس، وأن تقول التي هي أحسن، وأن تقول للناس حسنًا. ومن أفضل الكلمات: كلمة حق عند من يخاف ويُرجىٰ في تأن وسداد».

❁ ❁ ❁

٧٥- أيسر الناس سيرة

كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ميسرين، ولم يكونوا معسرين؛ لأنهم أخذوا بتعاليم الإسلام وشرائعه وأحكامه، التي شرعها الله يسرًا، قال تعالىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال عمر بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لمن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر ممَّن سبقني منهم، فما رأيت قومًا أيسر سيرة ولا أقل تشديدًا منهم»، رواه الدارمي.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أيسر الناس سيرة؛ لأنهم أخذوا بالحنيفية السمحة شريعة الإسلام بوسطية، متّبعين في ذلك منهج خاتم الأنبياء والمرسلين محمد رسول رب العالمين، ﷺ.

وقد أوصانا الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالأخذ بوسطية الإسلام، حفظًا لأدياننا عن الغلو والإفراط أو التفريط.

قال أبيُّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١): «احرصوا أن تكون أعمالكم إن كانت اقتصادًا أو اجتهادًا علىٰ منهاج الأنبياء وسنتهم».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢): «القَصْدُ في السُّنَّة خير من الاجتهاد في البدعة».

---

(١) التُّحفة العراقية في الأعمال القلبيَّة، لشيخ الإسلام (ص٤٣٥).

(٢) رواه الدارمي (ص١٤٥- رقم ٢٣٦).

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[١]: «عليك بتقوىٰ الله، والاستقامة، اتَّبع ولا تَبْتَدِعْ».

وقال أبو الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «اقتصاد في السُّنَّة؛ خير من اجتهاد في بدعة».

وقد كان تيسير الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الأخذ برخص الشريعة، وفيما يحل فعله، وفي الإتيان بالعبادات من غير غلو بالجور علىٰ النفس، ولا التشديد الذي يقطع عن مداومة السير إلىٰ الله وعبوديته، امتثالًا لقوله ﷺ: «**يسروا ولا تُعسروا**»، متفق عليه.

قال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «معنىٰ قوله: «**يسروا، ولا تعسروا**»؛ فيما كان من نوافل الخير، دون ما كان فرضًا من الله، وفيما خفف الله عمله من فرائضه في حال العذر؛ كالصلاة قاعدًا في حال العجز عن القيام، وكالإفطار في رمضان في السفر والمرض وشبه ذلك فيما رخص الله فيه لعباده، وأمر بالتيسير في النوافل والإتيان بما لم يكن شاقًّا ولا فادحًا؛ خشية الملل لها ورفضها، وذلك أن أفضل العمل إلىٰ الله أدومه وإن قلّ، وقال عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه: «**لا تكن كفلان، كان يقوم الليل فتركه**»».

❁ ❁ ❁

(١) رواه الدارمي (ص١٣٠- رقم ١٤٩).

(٢) شرح صحيح البخاري (٩/ ٣٠٣).

٧٦- نصروا الإسلام وقاموا به في السراء والضراء

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عبدوا الله على الإخلاص له، وكانوا صادقين في إيمانهم، أسلموا وكانوا أقل الناس، فعاداهم الكافرون، وتسلطوا عليهم بأنواع من الظلم والأذى، ولم يزدهم ذلك إلا ثباتًا على الإسلام، وإصرارًا على التمسك به والدعوة إليه.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أوذوا وأخرجوا من ديارهم وأموالهم؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وكان من صدق إيمان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ صبرهم على أذى الكافرين، وصبرهم على أمر الله حيث كانوا ممنوعين من القتال والجهاد، ولو بدفع أذى المعتدين.

وبعد الهجرة كتب الله لهم أسباب التمكين، وأُذن لهم في الجهاد، وأعزّهم الله بالنصر على الأعداء، ودانت لهم العرب، وأظهر الله بهم الدين في الأرض، ونصرهم على فارس والروم، ودعوا إلى توحيد الله وعبادته، وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فأعتقوا رقابهم من النار، وعلموهم شرائع الإسلام، وتآخوا معهم بأخوة الإسلام.

وعندما ملك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مشارق الأرض ومغاربها حكموا بشرع الله، وأقاموا دين الله، ولم يقطعهم ما بُسط لهم من ملك الدنيا عن الجهاد، فلم

يُلقوا بأيديهم إلىٰ التهلكة، بل اتَّخذوا من الملك أسباب تنمية قوَّتهم، وتابعوا نصر الإسلام وهداية الخلق.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أن الصحابة لا سيما أكابرهم الجامعين بين الجهاد بين يدي رسول الله ﷺ والعلم بما جاء به، وأسعدهم الله سبحانه من مشاهد النبوة وصحبة رسول الله ﷺ في السّرّاء والضّرّاء، وبذلهم أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله سبحانه حتىٰ صاروا خير القرون بالأحاديث الصحيحة، فهم خيرة الخيرة؛ لأنّ هذه الأمة هي كما أكرمهم الله به بقوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكانوا الشهداء علىٰ العباد كما في القرآن، فهم خير العباد جميعًا، وخير الأمم سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم، وهؤلاء الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، وهم خير قرونهم، وأفضل طوائفهم إلىٰ يوم القيامة.

فتقرر بهذا أنّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ خير العالم بأسره، من أوله إلىٰ آخره، لا يفضلهم أحد إلّا الأنبياء».

❁ ❁ ❁

---

(١) قطر الولي علىٰ حديث الولي (ص٢٩٢، ٢٩٣).

٧٧- شهداء الله على الخلق

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عدول، زكَّىٰ النبيُّ ﷺ شهادتهم علىٰ الخلق؛ ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مُرَّ بجنازة فأُثْنِيَ عليها خيرًا، فقال نبي الله ﷺ: «**وَجَبَتْ، وجبت، وجبت**»، ومُرَّ بجنازة فَأُثْنِيَ عليها شرًّا، فقال نبي الله ﷺ: «**وَجَبَتْ، وجبت وجبت**». قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِدًىٰ لك أبي وَأُمِّي! مُرَّ بجنازة فأثني عليها خيرًا، فقلت: «**وجبت، وَجَبَتْ، وجبت**»، ومر بجنازة فأثني عليها شرًّا، فقلت: «**وجبت، وَجَبَتْ، وجبت**» فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجَنَّةُ، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النَّار؛ أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض**».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «قوله: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»؛ أي: المخاطبون بذلك من الصحابة، ومن كان علىٰ صفتهم من الإيمان، وحكىٰ ابن التين أنّ ذلك مخصوص بالصَّحابة؛ لأنَّهم كانوا ينطقون بالحكمة، بخلاف من بعدهم. قال: والصَّواب أنّ ذلك يختصّ بالثِّقات والمتّقين، انتهىٰ».

وقال تعالىٰ في فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن اتَّبعهم بإحسان: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) فتح الباري (٣/ ٢٩٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «نجعلكم خيار الأمم؛ لتكونوا يوم القيامة شهداء علىٰ الأمم».

والذي يدلُّ علىٰ أنّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ شهداء الله علىٰ الخلق؛ هو ردّ ادّعاء المنافقين بالإسلام إلىٰ شهادة الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ والصّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهذا من أعظم ما يكون من تزكية الله للصحابة بذكر شهادتهم مقترنة بشهادته ورسوله علىٰ إيمان الخلق.

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في فوائد الآية**[(٢)]: «لا تقبل إلا شهادة من جمع مع الإيمان أمانة وفضلًا، واتّقاءً لربّه، ومروءة؛ لأنَّ المؤمنين الذين رأوا أعمال هؤلاء مع الله ورسوله كانوا كذلك، لا أنّ شهادة كل من شمله اسم الإيمان مقبولة.

وإن كان بضد ما وصفنا به أصحاب رسول الله ﷺ، الذين رأوا أعمال القوم معه، وذلك أنّهم شهداء الله في أرضه، ولا يجوز أن يكون بها شهداء إلا المبرئين من العيوب، الطاهرين من أدناس الذنوب، أمناء فيما يقولون، وعليه يشهدون، لا يحملهم شنآن قوم علىٰ قول القبيح فيهم بغير علم».

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٠).

(٢) نكت القرآن الدالَّة علىٰ البيان (١/ ٥٧٦، ٥٧٧).

٧٨- حثُّهم على ترك

أقوالهم وأفعالهم لسُنَّة النبي ﷺ

كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أشدَّ الناس اتِّباعًا للرسول ﷺ، وتحقيقًا لشهادة أنّ محمدًا رسول الله ﷺ، وكانوا لا يقدِّمون علىٰ قوله قول أحد كائنًا من كان، ولو كان القول أو الفعل صادرًا من جهتهم، وذلك لكمال تأسيهم برسول الله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال العلامة أبو عبد الله الحسن بن حامد البغدادي رَحِمَهُ اللهُ[1]: «إنَّ الصحابة كافَّةً أجمعت علىٰ ترك آرائها مع وجود السُّنَّة، ألا ترىٰ أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ كُلٌّ يُنْقَلُ عنه أنَّه إذا كان علىٰ رأي فرُوي له الأثر اتَّبَعَهُ وترك رأيه واجتهاده».

وهذا من كمال تحقيقهم لشهادة أنّ محمدًا رسول الله ﷺ، وكمال اتّباعهم له، وأخذهم بسنَّته والعمل بها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يردون أقوال وأفعال الناس إلىٰ سنة النبيِّ ﷺ ليحصل للجميع الاتباع له، ويفشون السنة ويُعلِّمونها؛ حفظًا لشرائع الإسلام،

(١) تهذيب الأجوبة (١/ ٤٦٦).

وليحصل للناس ثواب أعمالهم إذا كانت موافقة للسنة.

عن زياد بن جبير قال: رأيت ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أتىٰ علىٰ رَجُلٍ قد أناخ بدنته فنحرها، فقال: ابعثها قيامًا مُقيَّدةً؛ سنة محمد ﷺ، متفق عليه.

قال العلامة عليُّ بن داود بن العطَّار رَحِمَهُٱللَّهُ **في فوائده**[1]: «ما كانت الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ عليه من التقيُّد بالسنَّة، قولًا وعملًا واعتقادًا».

وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا **قال**: شهدت صلاة الفطر مع نبي الله ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، فكلهم يصليها قبل الخطبة، ثم يخطب.

علىٰ كل حال هدي الصحابة المعلوم هو الاتباع للنبي ﷺ، وتقديم قوله علىٰ قول غيره كائنًا من كان.

قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «إنَّما نفعل كما رأينا محمدًا ﷺ يفعل»، رواه البيهقي.

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ ولاتهم وعلماؤهم ورعيَّتهم يتناصحون لترك أعمالهم وأقوالهم إلىٰ اتِّباع النبي ﷺ.

ففي الصحيحين عن عبد الله بن حُنَيْنٍ: أنَّ عبد الله بن عباس، والمسور بن مخرمة، رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، اختلفا بالأبواء، فقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: يَغْسلُ المُحْرِمُ رأسه، وقال المسور رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: لا يَغْسلُ المُحْرِمُ رأسه، قال: فأرسلني ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا إلىٰ أبي أيوب الأنصاريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فوجدته يغتسل بين القَرْنين، وهو يَسْتَترُ بثوب، فسَلَّمْتُ عليه، فقال: من هذا؟ قلت: أنا عبد الله بن حُنَيْنٍ أرسلني إليك ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، يَسْأَلُك: كيف كان رسول الله ﷺ يغسل رأسه وهو مُحْرِمٌ؟ فوضع أبو

---

(١) العُدَّة في شرح العُمْدَة (٢/ ١٠٣٨).

أَيُّوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يده على الثَّوْب، فطأطأه حتى بدا لي رأسه، ثم قال لإنسان يَصُبُّ عليه الماء: اصْبُبْ، فَصَبَّ على رأسه، ثم حَرَّكَ رَأْسَهُ بيَدَيْه، فأقْبل بهما وأدْبَرَ، ثم قال: هكذا رأيته ﷺ يفعل. قال المسور لابن عباس: لا أماريك أبدًا.

فهذا الأثر يُبيِّن انتهاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى سُنَّة النبي ﷺ عند وقوع الاختلاف، وفيه إنصافهم بترك قولهم إلى قول النبي ﷺ.

وولاة الأمة من الصحابة العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يفشون سنة النبي ﷺ ليترك الناس ما خالفها، وتجري أمورهم على أحسن ما يكون؛ فقد روى مسلم عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنّه سمع معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عام حجَّ، وهو على المنبر، وتناول قُصَّةً من شَعَرٍ كانت في يد حَرَسِيٍّ، يقول: يا أهل المدينة! أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه، ويقول: «**إنَّما هَلَكَتْ بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم**»[(١)].

قال العلامة أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «القصة التي تناولها معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من يد الحرسي؛ كانت جمة من شَعر، وذلك أنّ المرأة ربما جعلت على شعرها جمة من غير شعرها؛ لكي يرى من يراها أنّه شعرها، فكره ذلك رسول الله ﷺ، من أجل أنّ فاعلة ذلك لم ترض بما أعطاها الله عَزَّوَجَلَّ، فغيّرت خلقها؛ كفعل الواصلة شعرها بغير شعرها، وقد لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة».

---

(١) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة (ص٩٥٠ – رقم ٥٥٧٨).

(٢) تفسير الموطأ (٢/ ٧٧٢).

٧٩- الانقياد والخضوع لله

من أفضل خصال الخير في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ الانقياد لله عَزَّ وَجَلَّ، وذلك سببه صدق إيمانهم وإخلاصهم في عبودية رب العالمين.

والانقياد لله والخضوع له هو منبع الخير؛ فإنّه يصير العبد بذلك مسلمًا لله، فينقاد لأمره ونهيه، ويقيم بذلك شعائر وشرائع الإسلام.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** لما نزلت علىٰ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، اشتد ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا علىٰ الركب، فقالوا: أي رسول الله! كُلّفنا ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها.

قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير».

فلما اقترأها القوم، وذلت بها ألسنتهم؛ أنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]،

قالوا: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ثم قالوا: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قالوا: نعم، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قالوا: نعم، رواه مسلم.

وسادات الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ نعتهم الخضوع لله وحده لا شريك له، والاتباع للنبي ﷺ.

وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ في أول الإسلام يصلون جهة بيت المقدس ثم صاروا يصلون جهة الكعبة حيث أمرهم الله؛ طاعة لله واتِّباعًا لرسول الله، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «كان من ثبت علىٰ تصديق الرسول ﷺ واتِّباعه في ذلك، وتوجَّه حيث أمره الله من غير شكٍّ ولا ريبٍ من سادات الصحابة. وقد ذهب بعضهم إلىٰ أنّ السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار هم الذين صَلَّوا القبلتين.

وقال البخاري في تفسير هذه الآية: حدَّثنا مُسدَّد حدثنا يحيىٰ عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: بينا الناس يصلون الصبح في مسجد

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٨٢).

قباء، إذ جاء رجل فقال: قد أُنزل علىٰ النبي ﷺ قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، فتوجَّهوا إلىٰ الكعبة.

وقد رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس؛ مثله.

وهذا يدلُّ علىٰ كمال طاعتهم لله ولرسوله، وانقيادهم لأوامر الله عَزَّوَجَلَّ، رضي الله عنهم أجمعين».

ومن أمثلة انقياد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وخضوعهم لله عَزَّوَجَلَّ؛ مبادرتهم إلىٰ الأخذ بفعل رسول الله ﷺ والانتهاء إلىٰ نهيه؛ فقد اتخذ النبي ﷺ خاتمًا من ذهب، فاتخذ الناس مثله، ثم رمىٰ به، وقال: لا ألبسه أبدًا، فرمىٰ الصحابة خواتيمهم، ثم اتخذ خاتمًا من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة، رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

❁ ❁ ❁

٨٠- مباحاتهم طاعات

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذوا دينهم عن معلِّم الخير محمد رسول الله ﷺ، فأخذوا عنه احتساب النية في المباحات لتكون مقاصد للعبادات.

عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «**إنَّك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلَّا أُجرت عليها، حتىٰ ما تجعل في فِيّ امرأتك**»، رواه البخاري.

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «قوله ﷺ: «**حتىٰ ما تجعل في فِيّ امرأتك**»، بيان لهذه القاعدة المهمة، وهو أنّ ما أُريد به وجه الله تعالىٰ ثبت فيه الأجر، وإن حصل لفاعله في ضمنه حظٌّ نفس من لذة أو غيرها، ولهذا مثَّلَ ﷺ بوضع اللّقمة في فم الزوجة».

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ احتسبوا النية في النوم لإجمام البدن للتقوي علىٰ طاعة الله، قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»، رواه البخاري ومسلم.

وزكاء نفوس الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو الذي جعلهم يحتسبون النيَّة في المباحات؛ عبوديةً لله، ورغبة إلىٰ تثقيل موازين حسناتهم، وهذا من توفيق الله لهم.

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذوا بحثِّ النبي ﷺ علىٰ احتساب النيَّة الصالحة في

---

(١) التلخيص شرح الجامع الصحيح (٢/ ٧٩٧).

الأعمال كلها؛ فقد روىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنّه قال يوم فتح مكة: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيَّة**»، رواه البخاري ومسلم.

احتساب النية في المباحات من شرائع الحنيفية؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سادات الحنفاء، أقبلوا علىٰ الله مخلصين له الدين، استبقوا الخيرات، أدوا الفرائض والنوافل، واحتسبوا النية في المباحات؛ فكانت أعمالهم كلها قربات، وصاروا بذلك من المقربين إلىٰ رب العالمين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «خاصتهم ـ المقربين ـ قد انقلبت المباحات في حقهم طاعات وقربات بالنيَّة؛ فليس في حقّهم مباح متساوي الطرفين، بل كل أعمالهم راجحة.

ومن دونهم يترك المباحات مشتغلًا عنها بالعبادات، وهؤلاء يأتونها طاعات وقربات، ولأهل هاتين المرتبتين درجات لا يحصيها إلَّا الله».

❁ ❁ ❁

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٣).

٨١- تآخوا بأخوة الإسلام

تآخىٰ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا بأخوة الإسلام، فكانوا من قبائل شتَّىٰ، وكانت بينهم ضغائن وفرقة وحروب وعداوات في الجاهلية، فألّف الله بين قلوبهم بأخوَّة الإسلام. قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «هذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنّه قد كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة، وضغائن وإحَنٌ - عداوات - وذُحُول - ثارات -، طال بسببها قتالهم والوقائع التي بينهم، فلما جاء الله بالإسلام، فدخل فيه من دخل صاروا إخوانًا متحابِّين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين علىٰ البرِّ والتقوىٰ».

فالمنّة لله في تأليف قلوب الصحابة بأخوة الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٣].

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٤٤).

وتآخي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بأخوَّة الإسلام؛ كان بسبب كمال توحيدهم وحسن إسلامهم؛ «**فإنّ أوثق عرىٰ الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»، كما قال النبي ﷺ.

ومن تأمل سيرة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وما كان بينهم من المودة والأخوة والنصيحة وصدق المعاملة والموالاة في الله، والائتلاف علىٰ الموالاة في الله؛ علم عظيم تآخيهم في الله.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات: ١٠].

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «أي: في التوالي والتعاضد والتراحم، وهو في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وروي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»».

وبهذه الأخوة قوي الإسلام، وكان الناس أُمَّة وجماعة واحدة، كلّهم غرضه نصرة الإسلام، والولاء لله، والتآخي في مرضاته.

وبأخوة الإسلام ذهبت الضغائن التي كانت بين الناس بسبب شحناء الجاهلية وعصبيتها.

وبإقامة التوحيد وأخوَّة الإسلام أبطل الله الشِّرك والمؤاخاة علىٰ الباطل؛ فلا يجوز لأحد أن يعيد إلىٰ بلاد المسلمين شرور الجاهلية؛ فمن فعل ذلك فهو كما قال النبي ﷺ: «**مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية**».

---

(١) تفسير القرآن (٥/ ٢٢٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله في هذا الحديث: «**ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية**»؛ يندرج فيه: كل جاهلية، مطلقة أو مقيدة، يهودية، أو نصرانية، أو مجوسيَّة، أو صابئة، أو وثنيَّة، أو مركبة من ذلك، أو بعضه، أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهليَّة؛ فإنَّها جميعها مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد ﷺ، وإن كان لفظ «الجاهلية» لا يُقال غالبًا إلا علىٰ حال العرب التي كانوا عليها؛ فإنّ المعنىٰ واحد».

وضعف الإسلام اليوم بأسباب ضعف المسلمين، الذين فسدت عقائدهم بالاستغاثة بالموتىٰ والتبرك بالشجر والحجر، وإحداث أنواع البدع في الدّين، والتباغض في ولاءات يبغضها الله، والحسد والأذىٰ والعدوان لبعضهم البعض بسبب أطماع الجاه والمال.

عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»، متفق عليه.

قال العلامة أبو المطرِّف عبد الرحمن بن مروان القنازعي القرطبي الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤١٣هـ)[(٢)]: «**لا تباغضوا**»؛ أي لا يبغض بعضكم بعضًا، ولا يُبغِّض بعضكم بعضًا إلىٰ بعض. «**ولا تحاسدوا**»؛ يعني: لا تتنافسوا في أمور الدنيا، حتىٰ يحسد بعضكم بعضًا، فيولد ذلك بينكم العداوة والبغضاء».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٥٤).

(٢) تفسير الموطأ (٢/ ٧٥٥).

وأخوّة الإسلام هي الباقية؛ فإنّ الله يزيدها قوة بأسباب إخلاصها لله، والقيام بحقوقها.

وأخوة الإسلام هي النافعة في الدنيا والآخرة.

وأما المؤاخاة في غير الله فتضمحل في الدنيا، وتكون عذابًا ووبالًا في الآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الأسباب التي تقطعت بهم هي: العلائق التي بغير الله، ولغير الله، تقطَّعت بهم أحوج ما كانوا إليها، وذلك لأنّ تلك الغايات لمَّا اضمحلت وبطلت؛ اضمحلت أسبابها وبطلت؛ فإنّ الأسباب تبطل ببطلان غايتها، وتضمحل باضمحلالها، وكلّ شيء هالك إلا وجهه سبحانه، وكل عمل باطل إلا ما أُريد به وجهه، وكل سعي لغيره باطل ومضمحل».

❁ ❁ ❁

---

(١) بدائع التفسير (١/ ١٦٠).

٨٢- السبب في عبودية الخلق لله

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا السبب في إسلامنا؛ فإنّهم الذين جاهدوا حتىٰ يكون الدِّين كله لله، ويُعبد الله وحده، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ علىٰ ذلك، وقد عرف لهم النبي ﷺ فضلهم في ذلك.

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: حدثني عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لمَّا كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلىٰ المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشرَ رجلًا، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلة، ثم مَدَّ يَدَيْه فجعل يهتف بربِّه: «**اللهم، أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللَّهُم، إنْ تُهْلِكْ هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**»، رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله ﷺ: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**»، ضبطوه «تهلك»، بفتح التاء وضمها، فعلىٰ الأول ترفع العصابة علىٰ أنّها فاعل، وعلىٰ الثاني تنصب، وتكون مفعولة. والعصابة: الجماعة».

فالنبي ﷺ تضرع إلىٰ ربه أن ينصره والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنّهم هم

(١) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجَّاج (ص١٣٥٩).

القائمون بأمر الله الداعون إليه المجاهدون لظهوره.

وفي قول النبي ﷺ: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تُعبد في الأرض**»؛ تبيين لفضل الصحابة في هداية من أسلم من الخلق.

❁ ❁ ❁

٨٣- ردُّ الاختلاف

إلى الائتلاف

أخذ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن النبي ﷺ أمره برد الخلاف إلىٰ الكتاب والسنَّة، وكان ذلك من أسباب ائتلافهم علىٰ الحق، وأمر النبي ﷺ أصحابه بالاجتماع وترك الخلاف؛ فقد بعث النبيُّ ﷺ أبا موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ اليمن، فقال: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**»، رواه البخاري.

قال العلامة ابن بطال المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: «في الحديث الحض علىٰ الاتفاق؛ لما فيه من ثبات المحبة والألفة والتعاون علىٰ الحق».

وبعد وفاة النبي ﷺ بادر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ بيعة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبدىٰ بعض الأنصار رغبة أن يكون منهم أمير، فقال له الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وبايعت الأمة أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة لأنَّه كان أحقّ بها، واجتمعت الأمة علىٰ ذلك.

ومن دلائل نبوة محمد ﷺ؛ إخباره بما يكون في المستقبل من الصلح الذي تجتمع عليه أمته بعد الفرقة.

ووقع الصلح الذي امتدحه النبيُّ ﷺ بين فئتي الشام والعراق، وعاد الناس جماعة واحدة بعد الفرقة، وحُقنت دماؤهم، وصاروا يجاهدون الكفار بعد

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٠٢).

انشغالهم بالاقتتال بينهم.

عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال:** قال النبي ﷺ في الحسن بن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين**»، رواه البخاري.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «في هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوَّة، ومنقبة للحسن بن عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ فإنَّه ترك الملك، لا لقلَّة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعىٰ أمر الدين ومصلحة الأمَّة.

وفيها رد علىٰ الخوارج الذين كانوا يكفرون عليًّا ومن معه ومعاوية ومن معه بشهادة النبيِّ ﷺ للطائفتين بأنّهم من المسلمين».

وكان من أسباب ائتلاف الأمة علىٰ الحق؛ تحاكمها إلىٰ الكتاب والسنة وأخذها بفهم أكابر الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ كاجتماعهم علىٰ قتال المرتدِّين، وجمع القرآن في مصحف.

وأمر أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بوفاق ولاة الصحابة قبله في أقضيتهم وأحكامهم، فقال: «اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإنِّي أكره الاختلاف حتىٰ يكون النَّاس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي»، رواه البخاري[2].

والتابعون للصحابة بإحسان حثّوا من أدركوه من الصحابة علىٰ وفاق الجماعة، قال عبيدة السلماني رَحِمَهُٱللَّهُ لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «قولك في

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٨٣، ٨٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي (ص٦٢٥ – رقم ٣٧٠٧).

الجماعة أحبُّ إلينا من قولك وحدك».

ورد الاختلاف إلىٰ الائتلاف بما دلّ عليه القرآن والسنَّة؛ كان منهج الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في جميع المسائل، لم يختصّ ذلك بفقه السِّياسة الشَّرعيَّة وأحكام الولايات، بل كان اتِّباعًا للقرآن والسُّنَّة في كل شيء.

ومن أمثلة رد الصَّحابة الاختلاف إلىٰ الائتلاف في الأحكام؛ فقه الصرف وأحكام الرِّبا.

قال أبو صالح الزَّيَّات أنَّه سمع أبا سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: «الدِّينار بالدِّينار والدِّرهَمُ بالدِّرهم، فقال أبو صالح: فإنَّ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لا يقوله!

فقال أبو سعيد: سألته، فقلت: سمعته من النبيِّ ﷺ أو وجدته في كتاب الله؟

قال: كل ذلك لا أقول، وأنتم أعلم برسول الله ﷺ منِّي، ولكن أخبرني أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا ربا إلَّا في النَّسيئة**»، رواه البخاري ومسلم.

ففي هذا الأثر بيان منهج الصحابة برد الأمور إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، وتلقِّي علم ذلك عن أكابر الصحابة، حيث قال ابن عباس لأبي سعيد: «أنتم أعلم برسول الله ﷺ منِّي».

وفي هذا الأثر بيان منهج الصحابة بردّ الخلاف إلىٰ الائتلاف علىٰ الحق.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «في قصة أبي سعيد مع ابن عبَّاس أنّ العالم يناظر العالم ويوقفه علىٰ معنىٰ قوله، ويردّه من الاختلاف إلىٰ الاجتماع، ويحتجّ عليه بالأدلَّة».

---

(١) فتح الباري (٤/ ٤٨٣).

٨٤- استعتاب أنفسهم

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لصحَّة اعتقادهم وحياة قلوبهم، وانتفاء العجب والغرور عنهم، كانوا يستعتبون أنفسهم خشية قسوة قلوبهم أن تتتابع عليهم مضعفات الإيمان وشرور النفس والشيطان.

فمن أخطأ منهم بادر إلىٰ التوبة، وتعاهد إسلامه بالحفظ، وإيمانه بالتجديد.

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يستعتبون أنفسهم من كل تغيّر يرونه في خلق دابتهم، أو نقص رزق، أو ظهور عدوّ، ويرجعون باللائمة علىٰ أنفسهم، ولا يتهمون الله في أقداره.

قال العلامة عليُّ بن داود بن العطار رَحِمَهُٱللَّهُ **(ت: ٧٢٤هـ)**[١]: «إظهار السنَّة؛ فإنَّ الخير كله في متابعتها، والشرّ كله في مخالفتها، وفعلها كالعلم علىٰ صلاح الدِّين والأمور كلها، وتركها كالعلم علىٰ فساد الدِّين والأمور كلها، حتىٰ إنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا إذا خذلوا في أمر؛ فتَّشوا علىٰ ما تركوا من السنَّة، فإذا وجدوه علموا أنَّ الخذلان إنَّما وقع بترك تلك السُّنَّة، فلا يزال أمر الأمة منتظمًا، وهم بخير».

واستعتاب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لأنفسهم هذا من فرحهم بالإسلام، ومداومتهم

(١) العُدَّة في شرح العمدة (٢/ ٨٨٣).

السير إلىٰ الله، وإنها من إراداتهم إلىٰ الخير.

ومن فضائل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حثّهم للمسلمين علىٰ أسباب خيريتهم، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنَّكم لن تزالوا بخير ما اتَّقيتم الله»، رواه البخاري.

ومن فضائل الصحابة وعظهم أنفسهم والمؤمنين بأسباب أوبتهم إلىٰ الله، وإصلاح أحوالهم، وتزكية نفوسهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ [محمد: ٢].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[1].

ومن فضائل التابعين للصحابة بإحسان؛ تنبيه المسلمين إلىٰ حفظ دينهم.

قال عطاء بن يسار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أوصيكم بدينكم، ولا أوصيكم بدنياكم؛ أنتم عليها حراص»[2].

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتعاهدون أنفسهم بأسباب تجديد الإيمان وزيادته.

كان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **يقول**: يا أبا موسىٰ! ذكِّرْنا رَبَّنا، فيقرأ أبو موسىٰ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهم يستمعون، رواه الدارمي.

أصاب الناس زلزال في عهد الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: «أيها الناس! ما كانت هذه الزلزلة إلا علىٰ شيء أحدثتموه».

وإنَّما قال الفاروق والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ذلك لحياة قلوبهم، ومعرفتهم بسنة

---

(١) رواه أبو داود في الزهد (ص٣٢٢- رقم ٣٥٢).

(٢) رواه أبو داود في الزهد (ص٣٩٦- رقم ٤٥٠)، وإسناده صحيح.

الله في عقوباته الكونية القدرية بسبب الإخلال بالأحكام والأوامر الشرعيَّة.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّه سبحانه ذكر أنّ آياته المتلوَّة المسموعة والمرئيَّة المشهودة؛ إنَّما تكون تذكرةً لمن كان له قلب، فإنَّ من عَدِمَ القلبَ الواعي عن الله لم ينتفع بكلِّ آية تمرُّ عليه، ولو مرَّت به كلُّ آية».

هذا سبيل المؤمنين، أما الكافرون ومن هو علىٰ منهجهم فإنّهم عكسوا الأمور، وفسد معيارهم، إن أصابتهم سراء استروحوا إلىٰ كفرهم، وإن أصابتهم ضراء تطيروا بالمؤمنين.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء: ٧٨].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «ليس فيما جاء به الرسول ﷺ ما يقتضي الطِّيَرة، فإنَّه كلَّه خير محض لا شرَّ فيه، وصلاح لا فسادَ فيه، وحكمة لا عبث فيها، ورحمةٌ لا جور فيها».

❁ ❁ ❁

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٨٥).

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٤٨).

٨٥- صبروا على الجهاد

ونصرة الدين

صبر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ الجهاد في سبيل الله، رماهم الكفار عن قوس واحدة، وما زادهم ذلك إلَّا إصرارًا علىٰ ظهور دين الله.

بذل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنفسهم في سبيل الله، ولم يتولّوا عن الجهاد كما حصل من خذلان بني إسرائيل لنبي الله موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شهدت من المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهدًا، لأَنْ أكون صاحبه؛ أحبُّ إليَّ مما طلعتْ عليه الشمس، قال للنبي ﷺ: إنَّا - والله - لا نقول لك كما قالتْ أصحاب موسىٰ: اذهب أنت وربُّك، فقاتلا، إنَّا هاهنا قاعدون - لما ذكر المشركين -، ولكنَّا نقاتل بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، قال: فرأيت النبيَّ ﷺ يشرق وجهه لذلك، وسرّه وأعجبه، رواه البخاري.

جاهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كفار مكَّة، واليهود بالمدينة، وصبروا علىٰ جهاد أحزاب الكفر جميعًا في غزوة الأحزاب، ولم يزالوا علىٰ الجهاد كلما دعاهم واستنفرهم إليه رسول الله ﷺ حتىٰ أتمَّ الله أمره بظهور التَّوحيد ودخول الناس في دين الله أفواجًا.

واستمر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ الجهاد بعد وفاة النبي ﷺ، وكان ذلك سببًا في دخول ممالك الأمصار في الإسلام.

وفي جهاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للمجوس بالعراق التقىٰ المسلمون والمجوس بالقادسية، وخطب سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس يومئذ، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥][١].

وانتصر المسلمون في هذه المعركة نصرًا عزيزًا، وغنموا ما لا يحد ولا يوصف من الأموال والسلاح[٢].

وتتابع النصر بعد ذلك، وكان ذلك سببًا في ظهور الإسلام في العراق وفارس وأذربيجان وخراسان من نواحي هرات، وبلوغ الإسلام بخارىٰ وما وراءها.

وكان صبر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عظيمًا في جهاد الروم بالشَّام، حيث كان ذلك سببًا في ظهور دين الله فيها، وما استتبعه من ظهوره في قبرص وبلاد الغرب.

وفي جهاد الصحابة للروم وأعوانهم من نصارىٰ العرب بالشَّام حضر الصفّ، وتراءىٰ الجمعان، وعظ أبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسلمين، وقال: عباد الله! انصروا الله ينصركم ويثبِّت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا فإنّ الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ومدحضة للعار.

وخرج معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ الناس فجعل يذكرهم، ويقول: يا أهل القرآن، ومتحفظي الكتاب، وأنصار الهدىٰ والحق، إنّ رحمة الله لا تنال وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق،

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٩).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٤٢).

ألم تسمعوا لقول الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

وقال عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا يهولكم جموعهم ولا عددهم.

وقال أبو سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا معشر المسلمين! أنتم العرب، وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل، نائين عن أمير المؤمنين، وأمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده شديد عليكم حنقه، وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم، ولا يبلغ بكم رضوان الله غدًا، إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة، ألا وإنّها سنة لازمة، وإنّ الأرض وراءكم، بينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحارىٰ، وبراري، ليس لأحد فيها معقل ولا معدل إلا الصبر ورجاء ما وعد الله فهو خير معول(١).

❁ ❁ ❁

(١) البداية والنهاية (٧/ ٩)، ط ـ دار زمزم ـ الرياض، باختصار.

٨٦- نصروا الله ورسوله

من أعظم وأفضل مناقب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ نصر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، قال تعالىٰ في وصفهم وتحققهم بذلك: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

ونصرة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لله عَزَّوَجَلَّ؛ هو استعمال الله لهم في إقامة دينه والدعوة إليه وحفظه والجهاد لظهوره، وقد قاموا بذلك علىٰ أحسن ما يكون إخلاصًا لله عَزَّوَجَلَّ.

ونصر الصحابة لدين الله؛ كان سببه جزمهم القاطع بأنّه دين الحق، وكراهيتهم للباطل، وتوكلهم علىٰ الله، وطمأنينتهم إلىٰ ولاية الله، ونصره لمن ينصره، قال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «إنَّ القلب متىٰ كان علىٰ الحقِّ كان أعظم لطمأنينته، ووثوقه بأنَّ الله وليّه وناصره، وسكونه إليه، فما له أن لا يتوكّل علىٰ ربِّه؟».

والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بلغ من قيامهم بأمر الله عَزَّوَجَلَّ ومتابعة الرسول ﷺ ونصرة الإسلام؛ طيب نفوسهم ببذل أرواحهم في سبيل الله، وكراهية التخلف

(١) طريق الهجرتين (٢/ ٥٦١).

عن غزوة أو سرية أو مقام يُنصر فيه الله ورسوله.

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشق علىٰ المؤمنين ما قعدت خلف سرية تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي**»، رواه مسلم.

قال الحافظ أبو زرعة العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «معنىٰ الحديث واضح، وفيه تعظيم أمر الجهاد، وقد أوضح في الحديث صورة المشقّة، وهي أنه لا تطيب أنفس الصحابة بالتخلف عن الغزو، ولا يقدرون علىٰ ذلك لاحتياجه إلىٰ نفقة وكلفة مع ضيق الحال. وفيه رفقه ﷺ بأمَّته ورأفته بهم، وأن يترك بعض أعمال البر خشية أن يتكلفوه فيشق عليهم، وهو أصل في الرفق بالمسلمين، والسعي في زوال المكروه والمشقة عنهم. وفيه أنّه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها.

وفيه أن الجهاد فرض كفاية، لا فرض عين، وإن كان في زمنه عليه الصلاة والسلام، وذلك هو الأصح، وقيل: كان في زمنه فرض عين، وعلىٰ القول بأنه فرض كفاية قد يتعين لعارض».

❁ ❁ ❁

---

(١) طرح التثريب (٧/ ٢٠٣، ٢٠٤).

٨٧- اليقين بالله

يقين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالله الذي وقر في قلوبهم؛ هو سبب تحققهم العظيم بالله محبة وإجلالًا، وهيبة وخوفًا وتعظيمًا ورجاءً، وأورثهم المقامات العظيمة من التوكّل على الله والجهاد في سبيله وإيثار مراضيه والصبر على أمر الله.

يقين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بصدق خبر الله عَزَّوَجَلَّ؛ كان سبب طمأنينتهم بكفاية الله ونصره وجزيل ثوابه، فكان زادهم في طلب مرضاته والانقياد لأمره ونهيه، والأخذ بأسباب ظهور دين الله.

فاليقين بالله جعل الصحابة مستجيبين لله عَزَّوَجَلَّ، فاعتصموا به، فهُدوا ونُصروا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١].

ومن خير يقين الصحابة بالله؛ الاهتداء بوحيه، واتخاذه معيارًا وفرقانًا بين الحق والباطل، لذلك ائتموا به فأقام الله لهم دينهم ودنياهم.

وقوَّة يقين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بالله؛ كان سببًا في إيثار مراضيه علىٰ ما يسخطه، وسببًا في اتِّباعهم لأمره ونهيه علىٰ إرادات نفوسهم، وسبب ذلك كله ما امتلأت به قلوبهم من تعظيم الله وإجلاله.

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتناصحون باليقين بإيثار مراضي الله علىٰ مراضي الناس، وهذا ما وعظت به أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين ولي الخلافة، وذكرت له قول النبي ﷺ: «**من التمس رضا الله بسخط الناس**

رضي الله عنه، وأرضىٰ عنه النَّاس، ومن التمس رضا النَّاس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه النَّاس»، رواه ابن حبّان.

وموعظة أم المؤمنين موعظة لكل مؤمن؛ فمن آثر مراضي الله فذلك الذي تحقّق بالتَّوحيد.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته؛ ما يمنعه من إيثار رضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربّه ومليكه الذي يتصرف في القلوب.

وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنّه آثر رضا المخلوق علىٰ رضا الله، وتقرّب إليه بما يسخط الله، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله تعالىٰ».

واليقين بالله هو طمأنينة وتوجه بالقلب والجوارح إلىٰ الله.

واليقين بالله سبب لتحقيق الإيمان بالقدر خيره وشرّه، فأزمَّة الأمور كلها بيد الله، فلا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، وما عند الله ينال بتوحيده وتقواه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «من علم أنّ الله وحده هو المتفرّد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته، وأنّه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب؛ لم يسأل حاجته إلا من الله وحده، ولعل ما

---

(١) قُرَّة عيون الموحِّدين (ص١٧٠).

(٢) قُرَّة عيون الموحدين (ص١٧١).

منع من ذلك يكون خيرًا، ويحسن الظن بالله سبحانه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يخاف إلا من ذنبه».

فالسَّابقون الأوَّلون يقينهم بالله هو الذي جعلهم يقومون بشرائع الإسلام الظاهرة وحقائقه الباطنة، ولن يدرك أحد يقينهم، وحظّ المسلم من الدين بمقدار يقينه وقيامه بشرائع وشعب الإيمان، فليس الإيمان بالتمنِّي ولا بالتحلِّي، ولكنّه بشيء وقر في القلوب، كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لو وُزن إيمان الأمة بأبي بكر لرجح به»، رواه إسحاق في مسنده، وصححه الحافظ ابن حجر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الإيمان مبني علىٰ ركنين: يقين وصبر، وهما الركنان المذكوران في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهي والثَّواب والعقاب، وبالصبر ينفذ ما أمر به ويكفّ نفسه عما نُهي عنه».

❁ ❁ ❁

(١) عُدّة الصابرين (ص١٧٤، ١٧٥).

٨٨- بهم قام الإسلام

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ هم عصبة الإسلام، فالمهاجرون هم أول من آمن بالله عَزَّوَجَلَّ ربًّا، وبمحمد ﷺ رسولًا وبالإسلام دينًا.

فأوّل من أسلم من الرّجال أبو بكر الصدّيق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وقام داعيًا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فأسلم علىٰ يديه ستة من العشرة المبشرين بالجنة، وكل من سبق إلىٰ الإسلام بمكة دعا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، حتىٰ صار للمسلمين فئة يجتمعون علىٰ إقامة دين الله والدعوة إليه.

وأسلم الأرقم بن الأرقم المخزومي سابع سبعة، وقيل: بعد عشرة أنفس، وكانت داره بمكَّة علىٰ الصَّفا، فأسلم فيها جماعة كثيرة، وكانت دار الأرقم منطلقًا للدعوة.

وكان إسلام الفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ سببًا في قوة فئة المسلمين وإقبال الناس علىٰ الإسلام، قال الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «كان إسلامه عزًّا أظهر به – الله – الإسلام».

واشتدّ بلاء المسلمين بمكَّة بسبب أذية الكافرين لهم، وصبروا علىٰ توحيدهم والدَّعوة إليه.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ص٥٥٢).

والتقىٰ نفر من الخزرج بالنَّبي ﷺ عند العقبة في موسم الحج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رئاب، فدعاهم إلىٰ الإسلام فأسلموا، ثم رجعوا إلىٰ المدينة، فدعوا إلىٰ الإسلام ففشا الإسلام فيها، حتىٰ لم يبق دار إلا وقد دخلها الإسلام[١].

وهاجر النبي ﷺ والصحابة السَّابقون من مكَّة إلىٰ المدينة، وأقاموا دولة الإسلام بالمدينة بالقرآن من غير قتال ولا سيف، فتسارع الكفار إلىٰ قتالهم ليطفئوا نور الله، فنصرهم الله لإخلاصهم في عبوديّتهم لله ولصبرهم علىٰ إسلامهم وجهادهم دونه، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

وبعد ظهور الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ مكَّة دخل النَّاس في دين الله أفواجًا، وظهر الإسلام بالصحابة بجهادهم ودعوتهم علىٰ جزيرة العرب ظهورًا عظيمًا.

وصارت بيضة الإسلام قوية بكل من أسلم من الصحابة من السابقين الأولين ومن أسلم بعد فتح مكة، وحفظ الله لكل سابقته وجهاده ودعوته وغناه في الإسلام، ووعدهم الله علىٰ ذلك الجنة ثوابًا جزيلًا لإسلامهم وقيامهم بالإسلام، قال تعالىٰ: ﴿ لَا يَسۡتَوِى مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [الحديد: ١٠].

---

(١) الفصول في اختصار سيرة الرسول (ص٦٥).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]؛ يعني: المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب علىٰ ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء».

وبعد تنامي قوة الإسلام خرج النبي ﷺ بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لجهاد الروم في تبوك، وكان ذلك من أسباب قيام الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ في الشَّام وما وراءها، فقام الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بإنفاذ لواء أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وظهر الإسلام بالمغرب، كما ظهر بالمشرق، بجهاد الصدِّيق والفاروق وذي النُّورين ويزيد بن أبي سفيان، ومعاوية، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، في العراق وفارس وأذربيجان وبخارىٰ وما وراءها.

فعامَّة الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جاهدوا مع النبي ﷺ في تبوك فاستوجبوا الجنَّة.

قال تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

قال الحافظ محمد بن علي الكرجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «شاهد لكل من حضر مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك من أصحابه بالجنة؛ فيكونون مضمومين إلىٰ العشرة المشهود لهم بها، وكل من شهد غزوة تبوك من أصحاب رسول الله ﷺ فهو معه في الجنة علىٰ ما كان فيه شهادة هذه الآية له وهي حق».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٦٨).

(٢) نكت القرآن الدالة علىٰ البيان (١/ ٥٦٧، ٥٦٨).

٨٩- أمكن الخلق في شعب الإيمان وخصال الخير

الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أكمل المؤمنين إيمانًا، من أجل ذلك قال فيهم النبيُّ ﷺ: «**خير النَّاس قرني ثم الذين يلونهم**»، وهم أمكن النَّاس في كل خصال الخير، وأقوم تحققًا بشعب الإيمان، ظهر ذلك في أعمالهم، فكانوا أخلص النَّاس توحيدًا، وأعظم البشر اتباعًا للنّبي ﷺ، وأزكاهم خلقًا، وأسبقهم لكل فضيلة، وأفضل النَّاس قنوتًا لله وخشوعًا وعبوديَّة، وأشد النَّاس بأسًا في الجهاد في سبيل الله، والصبر علىٰ أمر الله، جاهدوا في سبيل الله ولم يخافوا لومة لائم.

وكان الصحابة أسخىٰ الناس نفوسًا، امتلأت قلوبهم من اليقين بالله، وعظم جلال الله في قلوبهم فتزكت نفوسهم؛ فانقادوا لأمر الله ونهيه وصدَّقوا خبره، فعظَّموا حق الله وحقّ خلقه.

فدلائل إيمان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أعمالهم، فظهور الإسلام بهم يحكي فضلهم في الدّعوة والجهاد والعلم.

خصال الخير في الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ينبوعها توحيد الله، وهم أفضل الخلق تحقيقًا له، وثمار أعمالهم دالة علىٰ زكاء توحيدهم، فخيرهم لا يزال متَّصلًا إلىٰ الأمَّة إلىٰ قيام السَّاعة.

قال تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

قال الحافظ ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «أشبهت النخلة المسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده علىٰ الدَّوام؛ فإنّه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتىٰ ييبس، وبعده، ويتَّخذ منه منافع كثيرة من خشبها، وورقها وأغصانها؛ فتستعمل جذوعًا، وحطبًا، وعصيًّا، وحصرًا، ومخاصر، وحبالًا، وأواني، وغير ذلك.

ثُمَّ يُنتفع بنواها علفًا للإبل وغيرها، ثم كمال نباتها، وحسن ثمرته، وهي كلها منافع وخير وجمال، والمؤمن خير كله من كثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه ومواظبته علىٰ عبادته وصدقته وسائر الطَّاعات».

❁ ❁ ❁

(١) التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح (٣/ ٢٧٣).

٩٠- تعظيم الصَّلاة

الصَّلاة ركن الإسلام الأعظم الذي هو من أعظم حقوق شهادة التَّوحيد، فكل من كان أعظم توحيدًا؛ كان أقوم بإقام الصلاة.

والصلاة شعار الإسلام، والحدّ الفاصل بين الكفر والإيمان؛ عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ بين الرّجل وبين الشِّرك والكفر ترك الصلاة**»، رواه مسلم.

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أقاموا الدِّين وشرائعه طاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، وأقاموا الصَّلاة في بيوت الله حيث يُنادىٰ لها، فبهم عُرف الإسلام، وعنهم أخذ النَّاس دين الإسلام وشرائعه، خصوصًا آكدها الصَّلاة، شعار الإسلام العظيم.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]: «امشوا إلىٰ الصلاة، فقد مشىٰ إليها من هو خير منكم: أبو بكر، وعمر، والمهاجرون، والأنصار، قاربوا بين الخُطا، وأكثروا ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ».

وكان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يرون الصلاة أفضل الأعمال، وهذا المعيار هو ما دلَّت عليه السُّنَّة، قال عثمان بن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّلاة أحسن ما يعمل النَّاس»، رواه البخاري.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٥/ ١٣٤ –رقم ٧٤٨٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٥٨ –رقم ٢٦٠٧) واللفظ له.

والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أفضل الخلق إيمانًا بإقامة الصَّلاة، خشوعًا وتضرُّعًا وقنوتًا لله، وأداءً لشروطها وأركانها وواجباتها وسننها.

وكان من أخصّ نعوتهم التي امتدحهم الله بها؛ أداء الصلاة خشوعًا وإخلاصًا لله، قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في وصفهم: ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة، وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عَزَّوَجَلَّ، والاحتساب عند الله جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة علىٰ فضل الله، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالىٰ عنهم، وهو أكبر من الأوّل، كما قال: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التوبة: ٧٢]».

والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ هم الذين امتدحهم الله عَزَّوَجَلَّ بعمارة المساجد، وأثنىٰ الله علىٰ إيمانهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [التوبة: ١٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «بيَّن أنَّ عمَّار المساجد هم الذين لا يخشون إلا الله، ومن لم يخش إلا الله؛ فلا يرجو ويتوكَّل إلا عليه؛ فإنّ الرَّجاء والخوف متلازمان».

وتعظيم الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ لقدر الصلاة؛ يعرفه عنهم الكافرون، فضلًا عن المسلمين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣١٥).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التَّفسير (٣/ ٣٢٧).

عن أبي عياش رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** كُنَّا مع رسول الله ﷺ بعُسْفان، فاستقبلنا المشركون، وهم بيننا وبين القبلة، فصلَّىٰ بنا النبيُّ ﷺ الظهر، فقالوا: لقد كانوا علىٰ حال لو أصبنا غِرَّتهم، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحبُّ إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات، بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢]، رواه أحمد وأبو داود(١).

وكان من تعظيم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ للصَّلاة أداؤها علىٰ الصِّفة التي أدَّاها النبي ﷺ.

قال مُطرِّف بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صلَّيْتُ خلف عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنا وعمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكان إذا سجد كَبَّر، وإذا رفع رأسه كَبَّر، وإذا نهض من الرَّكعتين كَبَّر، فلما قضىٰ الصَّلاة، أخذ بيدي عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: قد ذَكَّرَني هذا صلاة محمد، أو قال: لقد صلَّىٰ بنا صلاة محمد ﷺ، رواه البخاري.

أمَّا خشوع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وتعظيمهم القيام بين يدي الله في الصَّلاة فذلك الذي سبقوا به من بعدهم.

قال سعد بن معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا كنت في صلاة فشغلت نفسي بغيرها حتىٰ أقضيها»(٢).

وكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا صلىٰ غلبه البكاء، رواه البخاري ومسلم، فهذا مقام الصدِّيق بين يدي الله، مقام خشية وخضوع وتعظيم لله، وتدبُّر لمعاني ما

---

(١) وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٧٧١، ٧٧٢).

(٢) شعب الإيمان (٦/ ٣٨٩، ٣٩٠).

يتلو من القرآن في صلاته.

وقال سهل بن سعد السَّاعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كان أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا يلتفت في صلاته»، رواه البخاري ومسلم.

وقال عبد الله بن شداد رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «سمعت نشيج عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأنا في آخر الصفوف، يقرأ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]».

وكان من تعظيم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ للصلاة الاستعداد لها؛ قال عديٌّ بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٢): «ما أُقيمت الصَّلاةُ منذ أسلمت، إلا وأنا علىٰ وضوء».

وقال عديٌّ بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٣): «ما جاء وقت صلاة قط إلَّا وقد أخذتُ لها أهبتها، وما جاءت إلَّا وأنا إليها بالأشواق».

وكان استعداد الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ للصلاة بفراغ قلوبهم من الشَّواغل؛ أعظم من استعدادهم بالفراغ من أعمالهم بقضاء حوائجهم.

قال أبو الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من فقه المرء إقباله علىٰ حاجته، حتىٰ يقبل علىٰ صلاته وقلبه فارغ»(٤).

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأذان، باب: إذا بكىٰ الإمام في الصلاة (ص١١٧). قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: «هذا الأثر وصله سعيد بن منصور عن ابن عيينة عن إسماعيل بن محمد بن سعد، سمع عبد الله بن شداد بهذا، وزاد: «في صلاة الصبح»، وأخرجه ابن المنذر من طريق عبيد بن عمير عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ بنحوه».

(٢) تهذيب الكمال (٥/ ١٤٥).

(٣) تهذيب الكمال (٥/ ١٤٥).

(٤) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأذان، باب: إذا حضر الطَّعام وأقيمت الصلاة (ص١٠٩).

ومن تعظيم قدر الصلاة في نفوس الصحابة؛ حرصهم علىٰ أدائها جماعة في المسجد، وإدراكها من أولها.

قال الحسن: قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: ما يسرُّني أن أنتهي إلىٰ صلاة مكتوبة وقد سبقني الإمام بالتكبيرة الأولىٰ – وهي ذروة الصَّلاة - ولي ستُّون من الإبل.

وقال آخر من الصَّحابة: ما يسرُّني أن أنتهي إلىٰ صلاة مكتوبة، وقد سبقني الإمام ولي مائتان من الإبل.

وقال عبادة بن الصَّامت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: ما يسرّني أن أنتهي إلىٰ صلاة مكتوبة وقد سبقني الإمام بالتكبيرة الأولىٰ - وهي ذروة الصلاة –، ولي ما طلعت عليه الشَّمس.

وقال آخر من الصَّحابة: ما يسرّني أن أنتهي إلىٰ صلاة مكتوبة وقد سبقني الإمام بالتَّكبيرة الأولىٰ، ثمّ صليت ما بين الفجر إلىٰ المغرب ما عدل تلك التكبيرة(١).

وكان من تعظيم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ للصلاة في الجماعة؛ اتِّهام المتخلِّف عنها بالنِّفاق، قال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «من سَرَّهُ أن يلقىٰ الله غدًا مسلمًا فليحافظ علىٰ هؤلاء الصَّلوات حيث يُنادىٰ بهنَّ، ولقد رأيتنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم النِّفاق»، رواه مسلم.

وكان من تعظيم الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ لقدر الصلاة؛ أداؤها جماعة وإن كان بهم عذر المرض.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «ولقد كان الرَّجُلُ يُؤْتَىٰ به يُهادىٰ بَيْنَ

---

(١) شعب الإيمان (٦/ ١٩٠، ١٩١ – رقم ٢٦٥١)، ط: الدار السَّلفيَّة، الهند.

الرَّجُلَيْن حتىٰ يقام في الصَّفِّ»[١].

وكان شأن الصلاة عظيمًا عند الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، خصوصًا ساداتهم، فالفاروق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عاده الصَّحابة بعد أن طعنه المجوسي أبو لؤلؤة، فقال: هل صلَّىٰ النَّاس؟

وكان الشَّيخان أبو بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ يتعاهدان تعليم النَّاس التَّوحيد والصَّلاة.

قال ابن سيرين رَحِمَهُٱللَّهُ[٢]: «نُبِّئت أنَّ أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كانا يُعلِّمان الناس الإسلام: تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة التي افترض الله لمواقيتها، فإنَّ في تفريطها الهلكة».

وكانت الصلاة أرجىٰ أعمال الصحابة الصَّالحة التي يرجون أن تدخلهم الجنة؛ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النبيّ ﷺ قال لبلال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند صلاة الفجر: «**يا بلال، حدِّثني بأرْجَىٰ عمل عملته في الإسلام، فإنِّي سمعت دَفَّ نعليك بين يديَّ في الجنَّة**»، قال: ما عملت عملًا أرجىٰ عندي أنّي لم أتطهر طهورًا، في ساعة ليل أو نهار، إلَّا صلَّيت بذلك الطّهور ما كُتب لي أنْ أصلِّي»، رواه البخاري.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: صلاة الجماعة من سنن الهدىٰ (ص٢٦٤ - رقم ١٤٨٨).

(٢) رواه محمد بن نصر المروزي، وصححه الحافظ ابن رجب الحنبلي في فتح الباري (٤/ ١٩٧).

٩١- سمَّاهم الله

بأوصاف إسلامهم

من أحسن وأفضل وخير فضائل الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تسمية الله لهم بأوصاف إسلامهم، وتلك التَّزكية التي لا نظير لها، ولا ينالها أحد بعدهم، سمَّاهم الله بحقائق إسلامهم، فأسماؤهم معان وحقائق لمسمّياتهم، وليسوا كمن سُمي عبد الله وهو عبد للهوىٰ والشَّيطان.

فالله عَزَّوَجَلَّ سمّىٰ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الذين هاجروا من مكَّة إلىٰ المدينة بالمهاجرين، فهؤلاء عُرفوا بهذا الوصف، وهو الهجرة إلىٰ الله وترك الأوطان والدور والأموال لله عَزَّوَجَلَّ، ونصرة للدّين ولرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله عَزَّوَجَلَّ سمَّىٰ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بخصال الخير التي فيهم؛ لنعرف لهم فضلهم ونواليهم.

فالصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ آمنوا بالله وصحبوا النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتَّبعوه، وجاهدوا وهاجروا معه ونصروه.

قال غيلان بن جرير لأنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أرأيت اسمَ الأنصار، أكنتم تُسَمَّون به، أم سمَّاكم الله تعالىٰ به؟ قال: بل سَمَّانا الله تعالىٰ[(١)].

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الأنصار (ص٦٣٤-رقم ٣٧٧٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذان الاسمان: المهاجرون والأنصار؛ اسمان شرعيَّان، جاء بهما الكتاب والسُّنَّة، وسمَّاهما الله بهما، كما سمَّانا المسلمين من قبل».

هذه تسمية الله عَزَّوَجَلَّ لعموم الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد سمَّىٰ النَّبي ﷺ سادات الصَّحابة بخصال الخير التي فيهم، كما سمَّىٰ أبا بكر بالصدِّيق والزُّبير بالحواري.

قال عروة بن عبد الله لأبي جعفر الصَّادق: تسمّي أبا بكر الصدِّيق؟ فقال: سمَّاه رسول الله ﷺ الصدّيق، فمن لم يسمّه الصديق فلا صدّق الله قوله في الدنيا والآخرة[٢].

والنبي ﷺ يوم الخندق قال: «من يأتيني بخبر القوم؟» فقال الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنا، ثم قال: «**من يأتيني بخبر القوم؟**» فقال الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنا، فقال النبي ﷺ: «إنَّ لكل نبيٍّ حواريًّ، وحَوَارِيًّا الزُّبَيْرُ»، رواه البخاري ومسلم.

* * *

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص١٤٨).

(٢) الحجَّة في بيان المحجَّة (٢/ ٣٥٢).

٩٢- تحققوا بالإسلام

الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ أقاموا أركان الإسلام، وتحقَّقوا بشعب الإيمان، وأخلصوا دينهم لله؛ فكانوا أصدق الخلق إسلامًا، وذلك من حقيقة إسلامهم، فقد خضعوا لله وانقادوا لأمره ونهيه.

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وتحقق الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ بشعب الإيمان؛ يرجع إلىٰ العلم النافع الذي هداهم إلىٰ العمل الصالح.

والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ عبدوا الله بما شرع، وما كانوا من المبتدعين، وذلك لإخلاصهم العمل لله.

والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ هم خير النَّاس لكثرة خصال الخير فيهم؛ من الإيمان بالله وتوحيده، والاتباع لرسوله ﷺ.

وكما أتمَّ الله نعمته علىٰ الصَّحابة بتعليمهم شرائع الإسلام فإنَّه أتمَّ عليهم نعمته بأن هداهم إلىٰ العمل بها، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وقد امتدحهم الله لعملهم بما شرعه لهم؛ فقال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وعن درة بنت أبي لهب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قالت:** قام رجل إلىٰ النبي ﷺ، وهو علىٰ المنبر، فقال: يا رسول الله! أيُّ الناس خير؟ قال: «**خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم**»، رواه أحمد وصححه العلامة أحمد شاكر. وهذه الخصال أمكن الناس فيها الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

ودلائل إيمان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ تحققهم بأركانه، وقيامهم بشعائره وشرائعه، وطاعتهم لله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ١-٤].

هذه خصال الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وصفاتهم، أقاموا حقيقة الدِّين، وتحقَّقوا بشعب الإيمان، وكانوا خير الناس.

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ **أنَّ رسول الله** ﷺ **قال:** «ما كان من نبي إلَّا وقد كان له حواريُّون، يهتدون بهديه، ويستنُّون بسنَّته، ثم إنَّها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون»، رواه مسلم.

فقد أخذ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بسنَّة النَّبي ﷺ؛ فكانوا نعم الحواريين، وكل من أخذ بسنَّة النَّبي ﷺ علمًا واعتقادًا وعملًا ودعوة وجهادًا؛ فهو من الحواريين.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في صفات الصَّحابة**(١): «ظهرت منهم علامات

(١) فوائد أبي القاسم الحسين بن محمّد الحنائي (ص٢٦٢، ٢٦٣).

بالخير في السيماء والسمت، والصِّدق، وأنست علانيتهم بالاقتصاد، وتماثلهم بالتَّواضع، ومنطقهم بالعمل، ومطيب مطعمهم ومشربهم بالطيّب من الرزق، وخضوعهم بالطَّاعة لربّهم، واستعدادهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطائهم الحق من أنفسهم العدو والصّديق، وتحفّظهم في المنطق مخافة الوزر، ومسارعتهم في الخير رجاء الأجر، والاجتهاد لله، رموا جهادهم في أجسادهم وكانوا أوصياء أنفسهم، ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم، واستخفوا سخط المخلوقين برضا الخالق، لم يفرطوا في غضب، ولم يحيفوا في جور، ولا تجاوزوا حكم الله في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، وبذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، فلم يكن خوفهم من المخلوقين، حسنت أخلاقهم، وهانت مؤنتهم، فكفىٰ اليسير من دنياهم إلىٰ آخرتهم».

❁ ❁ ❁

٩٣- حفظوا السنن والشَّرائع

من أعظم وخير فضائل الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ إحياء السنن، وفي ذلك حفظ الدِّين، وحفظ شرائعه، وهداية الخلق إلىٰ سنة سيِّد المرسلين.

وكانوا أكمل الخلق في إظهار الدِّين، وإقامة شرائعه وشعائره، وذلك لحقيقة عبوديتهم لله، وعبوديتهم له بإظهار دينه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وكان قيامهم بإظهار الدين من شكرهم لله علىٰ نعمة هدايتهم للإسلام، ونعمة إرسال محمد رسول الله ﷺ إليهم مُعلِّمًا وهاديًا وبشيرًا ونذيرًا.

ومن أعظم ما كان من إحياء الصحابة للدِّين؛ العمل به، فكانوا هم الحواريين الذين يهتدون بهدي النبيِّ ﷺ ويستنُّون بسنَّته.

فمن الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ تلقَّىٰ التَّابعون شرائع الإسلام وسننه، وبهم حفظ الدِّين، وقام التَّابعون العمل بشرائع وعبادات الإسلام بما تلقَّوه عنهم، خصوصًا شعيرة الصلاة.

عن ثابت البُناني، عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: إنِّي لا آلو أنْ أُصلِّي بكم، كما رأيت رسول الله ﷺ يُصلِّي بنا.

قال ثابت: فكان أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يصنع شيئًا لا أراكم تصنعونه، فكان إذا رفع

رأسه من الرُّكوع انتصب قائمًا، حتىٰ يقول القائل: قد نسي، وإذا رفع من السَّجدة يمكث، حتىٰ يقول القائل: قد نسي، متَّفق عليه.

قال العلَّامة عليُّ بن داود بن العَطَّار الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «قوله: «أنا أصلي»؛ أي: في أن أصلي.

وإنَّما قدَّم أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا القول علىٰ روايته؛ لما رأىٰ رسول الله ﷺ يفعل، ليدلّ السَّامعين علىٰ: الحفظ، والاهتمام به، وليحقق عندهم المراقبة لاتباع أفعاله ﷺ ».

وقال ابن العطَّار في فوائد فعل أنس(٢): «فيه دليل علىٰ إحياء السنن إذا أميتت، والإنكار علىٰ مخالف السنة».

وبما عُرف به الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ من حفظ الدِّين وإظهار شرائعه وشعائره عرفنا أن ما لم يتعبَّد به أولئك لله عَزَّوَجَلَّ؛ فهو من البدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «اتِّخاذ مولد النبي ﷺ عيدًا مع اختلاف النَّاس في مولده؛ فإنّ هذا لم يفعله السَّلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيرًا، ولو كان هذا خيرًا محضًا، أو راجحًا؛ لكان السَّلف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أحق به منَّا، فإنَّهم كانوا أشدّ محبة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منَّا، وهم علىٰ الخير أحرص.

وإنَّما كمال محبَّته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتِّباع أمره، وإحياء سنَّته

(١، ٢) العُدَّة في شرح العُمْدة (١/ ٤٧٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (ص٤٠٤، ٤٠٥).

باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعث به، والجهاد علىٰ ذلك بالقلب واليد واللسان؛ فإنّ هذه طريقة السَّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان».

❁ ❁ ❁

٩٤ - الإحسان

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا محسنين، فآمنوا واتقوا وأحسنوا، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٣].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٩٣] إلىٰ آخر الآية، قال لي رسول الله ﷺ: «**قيل لي: أنت منهم**»(١).

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عبدوا الله مخلصين له الدين، كانت أعمالهم فيما يرضي الله، وسعيهم في إعزاز الدين ونصره، تركوا الشرك والبدع والمعاصي وما يُسخط الله، واتبعوا رضوانه.

إحسانهم عبودية الله وكان بإخلاصهم العمل له، واتباعهم للنبي ﷺ؛ فكانوا أفضل الخلق تحققًا بإحسان العمل؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ﴾ [النساء: ١٢٥].

إحسان الصحابة سببه تمسُّكهم بكتاب الله الذي اهتدوا به؛ فأورثهم إحسان

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (ص١٠٨١ - رقم ٦٣٢٥).

العمل، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ استوت سريرتهم وعلانيتهم؛ فكانوا خير الناس إحسانًا في عبودية الله وخشيته وتعظيمه وإجلاله، وكانوا أحسن الناس في معاملة الخلق علىٰ النصيحة لا الغش.

كان ورع الصحابة تديّنًا، ولم يكن تَصنُّعًا، فكانوا مشفقين من الله، وجلين، خاشعين لله.

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كفىٰ بخشية الله علمًا».

فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أعلم بالله؛ فكانوا أخشىٰ وأتقىٰ وأعظم تحققًا بمقام الإحسان.

قيل لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أي رجل كان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؟ فقال: كان كالطير الحذر، الذي كان له بكل طريق شَرَكًا[(١)].

وإحسان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ الخلق؛ تحدّث عنه من أدركهم، وتحدّث به المنصفون من الكافرين، فضلًا عن عباد الله المؤمنين.

قال ابنُ الدَّغِنَةِ - وكان من سادات الكفار - لأبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنَّك تَكْسِبُ المعدوم، وتصل الرَّحم، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتقري الضَّيْفَ، وتعين علىٰ نوائب الحق»، رواه البخاري.

وأما حديث المسلمين عن إحسان الصحابة ومعروفهم إلىٰ الخلق؛ فكثير.

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٠٨).

قال عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا واتقوا وأحسنوا، والله يحبُّ المحسنين».

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان أخيرَ النَّاس للمسكين جعفر بن أبي طالب»، رواه البخاري.

وإحسان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ المخلوقين؛ فذلك الذي لا يبلغ شأوه أحد؛ فمن أعظم إحسانهم أداء الدين إلينا، وتعليمنا التوحيد وشرائع الإسلام وشعائره، وإدخال الناس في دين الله أفواجًا، وجهادهم الكفار الذي كان سببًا في أمن الديار بالإيمان ورضا الرحمن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **مبينًا فضل الصحابة بإحسانهم إلىٰ الخلق**[1]: «هم كانوا السبب في بلوغ الإسلام إلينا، وفي تعليم كلّ خير وهدًىٰ وسبب تُنال به السعادة والنجاة.

وهم أعدل الأمة فيما وَلُوه، وأعظمها جهادًا في سبيل الله، والأمة في آثار علمهم وعدلهم وجهادهم إلىٰ يوم القيامة؛ فلا ينال أحد منهم مسألة علم نافع إلا علىٰ أيديهم، ومن طريقهم ينالها، ولا يسكن بقعةً من الأرض آمنًا إلا بسبب جهادهم وفتوحهم، ولا يحكم إمام ولا حاكم بعدل ولا هدًىٰ إلا كانوا هم السبب في وصوله إليه.

فهم الذين فتحوا البلاد بالسيف، والقلوب بالإيمان، وعمروا البلاد بالعدل، والقلوب بالعلم والهدىٰ، فلهم من الأجر بقدر أجور الأمة إلىٰ يوم القيامة

(١) طريق الهجرتين وباب السَّعادتين (٢/ ٧٨٨، ٧٨٩).

مضافًا إلىٰ أجر أعمالهم التي اختصُّوا بها».

وأرجىٰ أعمال الصحابة التي تدخلهم الجنة؛ الإحسان في عبادة الله والإحسان إلىٰ الخلق.

قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يعوده في مرضه: «**لعلك تُخَلَّف، حتىٰ ينتفع بك أقوام، ويُضَرَّ بك آخرون**»، رواه البخاري ومسلم.

قال العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عمر القرشي رَحِمَهُ اللَّهُ **(ت: ٨٢٧هـ)**[١]: «إنّه صحَّ من مرضه، ولم يقم بمكة، وأبقاه الله حتىٰ عاش نيفًا وأربعين عامًا، وولي العراق، وفتحها الله علىٰ يده، فأسلم علىٰ يديه خلق كثير، فنفعهم الله به.

وقيل: وأَسَر من الكفار كثيرًا فاستضروا به، وذلك من جملة أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام».

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يرون أرجىٰ أعمالهم التي ستدخلهم الجنة من أسلم علىٰ يديهم من الخلق الكثير.

قال أبو موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد جاهدنا بعدَ رسول الله ﷺ، وصَلَّينَا، وصُمْنَا، وعملنا خيرًا كثيرًا، وأسلم علىٰ أيدينا بشر كثير. رواه البخاري.

❁ ❁ ❁

(١) مصابيح الجامع (٧/ ٣٩٣).

٩٥- نزول القرآن بلغتهم

من أعظم ما شرّف الله به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ هو نزول القرآن بلغتهم، فهذا تكريم واصطفاء إلهي لهم؛ لأنّهم أحرىٰ بفهمه واعتقاده والعمل به.

والله عَزَّوَجَلَّ أنزل القرآن بأفصح اللغات، ومن جاء القرآن بلغته فهو تيسير من الله له في فهمه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ١-٤].

وكان نزول القرآن بلغة العرب سببًا في اهتدائهم به وهداية الناس إليه؛ لأنهم فهموا خطاب الله ودعوا إليه، فهدىٰ الله بهم الأمم.

وفهم القرآن، والتفقُّه في معانيه، والعمل به؛ هو الخير كله؛ قال النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، متفق عليه من حديث معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقد نوّه الله بفضل الصحابة في خصوص نزول القرآن بلغتهم، ليرفع بذلك ذكرهم.

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «ذكَّرهم نعمه فقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا﴾ يعني: القرآن، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ شَرَفُكُم وصِيتُكُم، كما قال في موضع آخر: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، هذا قول ابن عباس والأكثرين.

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٩٦).

وقال الزجاج: فيه تذكرة لكم. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضلتكم به».

فمن أعظم ما أنعم الله به على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ هو أن بُعث رسول الله ﷺ من قومهم يتكلم بلغتهم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالموجب لاتباع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ نزول القرآن بلغتهم، وتلقيهم معانيه مباشرة عمن بُعث ببيانه ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «إنه شرف لهم من حيث إنه أنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به، وأعلمهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخُلَّص من المهاجرين السَّابقين الأوَّلين ومن شابههم وتابعهم».

وبفهم القرآن والاهتداء به تزكى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فصاروا خير الناس، وهدى الله بهم الأمم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «فلما بعث الله محمدًا بالهدى الذي ما جعل الله في الأرض - ولا يجعل - أمرًا أجل منه وأعظم قدرًا، وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات الجاهلية

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢١٠).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٦٧).

والظلمات الكفرية، التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها، فلما تلقوا عنه ذلك الهدىٰ العظيم؛ زالت تلك الريون عن قلوبهم، واستنارت بهدىٰ الله الذي أنزل علىٰ عبده ورسوله.

فأخذوا هذا الهدىٰ العظيم بتلك الفطرة الجديدة، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم والكمال الذي أنزل الله إليهم».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الله تعالىٰ لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغًا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلىٰ هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلىٰ ضبط الدين ومعرفته إلَّا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلُّم به أسهل علىٰ أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلىٰ إقامة شعائر الدين، وأقرب إلىٰ مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم».

فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اجتمع لهم من أسباب الخيرية، ومن أهم ذلك معرفة معاني القرآن والعمل به، ما جعلهم خير أمة أخرجت للناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ الفضل: إمَّا بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح.

والعلم له مبدأ، وهو قوَّة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمام وهو: قوة المنطق، الذي هو البيان والعبارة.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٦٨، ٢٦٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٦٦، ٢٦٧).

والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بيانًا وتمييزًا للمعاني، جمعًا وفرقًا، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأما العمل: فإنّ مبناه على الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء، والحلم، والشجاعة والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله».

❁ ❁ ❁

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٦٧).

٩٦- السخاء بأداء
الميراث النبوي

عادة الأسخياء الجود ببذل الإحسان والمنافع للناس، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حازوا أعظم كنز وأفضل خير؛ ميراث النبوَّة، وقاموا بقسمته إلىٰ الخلق جميعًا.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين تولاهم الله بهدايتهم؛ اشتد حرصهم علىٰ نفع الناس وهدايتهم وتعليمهم كلمة التوحيد وشرائعها، فتفقهوا في الدين وعلموه للناس كافة.

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أخذوا ميراث النبي ﷺ، وكانوا أسخياء في بذله إلىٰ الناس، فما بخلوا به ولا كتموه، وهذا مما كان عليه خلق نبيهم محمد ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: «إنَّ الرسالة لا يتمُّ مقصودها إلا بأمرين:

١ـ أدائها من غير كتمان.

٢ـ وأدائها علىٰ وجهها من غير زيادة ولا نقصان».

وقال ابن القيم أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: «إنَّ عادة النُّفوس الشحُّ بالشيء النَّفيس».

(١) التبيان في أيمان القرآن (ص١٩٦).

(٢) التبيان في أيمان القرآن (ص١٩٧).

وكانت نفوس الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أزكىٰ النفوس وأسخاها؛ فأفادوا الخلق ونفعوهم في دينهم ودنياهم، وكان من أعظم جودهم السخاء في تعليم العلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ **في زكاء المحسن**(١): «إعطاءه الإحسان، والنفع بماله، ولسانه، وبدنه، ونيَّته، وقَصْدِه؛ فتكون نفسه نفسًا مطيعة باذلة، لا لئيمة مانعة؛ فالنَّفْسُ المُعْطِيةُ هي النفَّاعة المحسنة، التي طَبْعُهَا الإحسان، وإعطاء الخير اللَّازم والمتعدي».

وفضل هذا السخاء في المنعم عليهم؛ يُعرف به فرق ما بين أمَّتنا والمغضوب عليهم، فاليهود بخلوا بالعلم الحق بما عندهم من دلائل نبوة محمَّد ﷺ، واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، وحرفوا كلام الله عن مواضعه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٣٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «وصفهم بالبخل الذي هو البخل بالعلم والبخل بالمال، وإن كان السياق يدل علىٰ أن البخل بالعلم هو المقصود الأكبر، وكذلك وصفهم بكتمان العلم في غير آية؛ مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

(١) التبيان في أيمان القرآن (ص٨٩).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٢/ ٢٤٢).

أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠] الآية، وقوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ**﴾ [البقرة: ١٧٤]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾**﴾ [البقرة: ٧٦].فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم: تارة بخلًا به، وتارة اعتياضا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفًا أن يحتج عليهم بما أظهروه منه».

وقد تلقينا الدين مفصَّلًا عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وذلك بفضل سخائهم في أداء العلم وبذله للناس كافة.

ومقامات الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في التعبُّد لله بأداء العلم، والإحسان إلىٰ الناس بالإفادة منه؛ معلومة، حسبي أن أذكر نماذج من ذلك.

قال أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1]: «ما تصدَّق رجل أفضل من موعظة يعظ بها جماعة فيتفرَّقون وقد نفعهم الله بها».

وقال التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ رَحِمَهُٱللَّهُ: لقيني كعب بن عجرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: ألا أُهدي لك هدية؟ إنّ النبيّ ﷺ خرج علينا، فقلنا: يا رسول الله! قد علمنا كيف نُسَلِّمُ عليك، فكيف نُصلِّي عليك، قال: «**قولوا: اللهم صلي علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد**

(١) تفسير شيخ الإسلام (٢/ ٢٤٥).

مجيد»، رواه البخاري ومسلم.

فالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ احتسبوا الإفادة بالعلم مجانًا، وكان ذلك عندهم أفخر ما يهدونه الناس، وهو كذلك؛ فإنّه سبب لنفعهم في دينهم ودنياهم.

❁ ❁ ❁

٩٧- أحاطوا بالدين من جميع جهاته

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم المتَّقون الذين برّت قلوبهم بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وظهر صدق ذلك في أعمالهم من إقامة شرائع الإسلام وشعائره وعباداته.

كانوا أعظم الخلق توحيدًا، وظهر ذلك في أعمالهم وصفاتهم وأخلاقهم، فكانوا أفضل الخلق عبودية لله، وأطيبهم أخلاقًا، وأحسنهم هديًا وسمتًا.

تحققوا بشعب الإيمان حتىٰ عُرفت بهم؛ فكانوا هم المؤمنون حقًّا، فالصحابة وصفهم الله بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [الحشر: ٩].

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمع الخلق للمحاسن من صلاح البواطن والظواهر، ومن السير علىٰ الصراط المستقيم والاستقامة عليه، والدعوة إليه بأقوالهم وأفعالهم.

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا حنفاء لله غير مشركين به، أخذوا بمجامع الحنيفية من الإقبال علىٰ الله، والإعراض عن سواه، من مداومة الطاعة مع الخشوع لله، فكانوا قانتين لله، شاكرين لأنعمه بعبوديته.

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ اهتدوا بالقرآن، فزادهم الله هدًىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمر: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ

﴿ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد: ١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أمَّا الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان؛ ففي الإيمان والعمل الصالح».

ومما يدل علىٰ أنَّ عامة الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا مسابقين للخيرات ومقيمين لجميع أنواع الطاعات؛ هو أنَّ فقراء المهاجرين شكوا إلىٰ رسول الله ﷺ، وقالوا له: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدَّقون، فقال رسول الله ﷺ: «**أفلا أعلمكم شيئًا تدركون من سبقكم وتسبقون من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلَّا من صنع مثل ما صنعتم؟**»، قالوا: بلىٰ يا رسول الله!

قال: «تسبّحون وتكبّرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين»، فرجع فقراء المهاجرين إلىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**»، رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عمروا أوقاتهم بذكر الله وطاعته، وجعلوا مباحاتهم قربات وطاعات، قال معاذ لأبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائمًا وقاعدًا وعلىٰ راحلتي، أتفوّقُهُ تفوّقًا. قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٧/ ٤٥).

فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. متفق عليه.

قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قال: «أتفوقه تفوقًا»؛ أي: أقرؤه حينًا بعد حين».

كان علم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بحقائق اليوم الآخر وما فيه من الحساب والمصير إلىٰ الجنة أو النار؛ يقينيًّا كأنَّما يرون ذلك رأي عين؛ من أجل ذلك سارعوا إلىٰ أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، بالإيمان والعمل الصالح، فكانوا أرغب في الآخرة، وأزهد في الدنيا.

كان القوم أسرع الخلق إجابة لداعي الله، من غير تثاقل ولا تكاسل عن طاعة الله، وكانوا أعظم الخلق انقيادًا لأمر الله ونهيه.

فالصحابة خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، وامتلأت من الإيمان بحقائق أسماء الله وصفاته؛ فقرّت عينهم بربهم، وفرحوا بعبادته، وأقبلوا عليه فانقادوا له وعبدوه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خلص إيمانهم لله، وتحققوا بأوثق عراه، فكانت أعمالهم خالصة لله عَزَّ وَجَلَّ باتباع رسول الله ﷺ، فوالوا وعادوا في الله، وكانت أعمالهم كلها لله، وأقوالهم، وبذلهم، وإحسانهم، وحبهم وبغضهم، لله.

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنعم الله عليهم بالهداية للإسلام، فقدروا هذه النعمة حق قدرها، فعبدوا الله بما شرع، ولم يبتدعوا في الدين ولم يُحرِّفوه، وقاموا بحفظه وأدائه للناس، فلولاهم لاندرست معالم الدين وتحرّفت وتبدّلت شرائعه، وبهذا ظهر فضلهم علىٰ الضالين الذين بدلوا الشرع وحرّفوه وضيّعوا

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢١/ ٥٠٧).

شرائعه، قال تعالىٰ: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَـآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

من أعظم ما عُرف به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ أداء الدين كما تلقوه عن النبيِّ ﷺ، والإنكار علىٰ كل بدعة وضلالة تخالف السنة.

فقد قام الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بحفظ الدين وتجديده، وإحياء علومه وشرائعه؛ فكانوا خير الوارثين والحافظين لسنة سيد المرسلين ﷺ.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ المنتصب للناس في بيان الدِّين منتصب لهم بقوله وفعله، فإنّه وارث النبيِّ ﷺ، والنبيُّ ﷺ كان مبيِّنًا بقوله وفعله، فكذلك الوارث لابدَّ أن يقوم مقام الموروث، وإلَّا لم يكن وارثًا علىٰ الحقيقة.

ومعلوم أنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلقَّون الأحكام من أقواله وأفعاله، وإقراراته وسكوته، وجميع أحواله، فكذلك الوارث».

وحيث انتدب الله الصحابة للجهاد قاموا به، وما كان من الجهاد فرض عين خرجوا إليه جميعًا، إلا من عذر الله.

قال النبي ﷺ: «**إنَّ بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا شركوكم بالأجر**»، رواه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم من حديث جابر رضي الله عنه.

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ انتدبهم الله للتفقه في الدين وحفظه، قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ

(١) الموافقات (٣/ ٢٦٤).

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢]، فقام مجموعهم بذلك، وحفظ الله بهم الإسلام والدين، وأدوه إلينا، وهكذا يجب علىٰ الأمة أن تكون خير خلف لخير سلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «إنَّ صفة الكمال التي للأمة يجب حفظها عليها، فإن كان الواحد لا يجب عليه في نفسه تحصيل المستحبات، فإنّ كل ما شُرع للأمة جميعًا صار من دينها، وحفظ مجموع الدين واجب علىٰ الأمة، فرض عين أو فرض كفاية، ولهذا وجب علىٰ مجموع الأمة حفظ جميع الكتاب، وجميع السنن المتعلقة بالمستحبات والرغائب، وإن لم يجب علىٰ آحادها».

ومن أدرك الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ أخبر عن أحوالهم من فعل الخيرات والمبادرة والمسابقة إلىٰ أداء الطاعات.

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «خمس كان عليه أصحاب النبي ﷺ: لزوم الجماعة، واتِّباع السُّنَّة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، وجهاد في سبيل الله».

ومن جالس الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقىٰ عنهم الأدب في طلب العلم، وحسن السمت والهدي، والتواضع والخشوع.

قال عبدة بن أبي لبابة الكوفي البزّاز: كنت في سبعين من أصحاب ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقرأت عليهم القرآن، ما رأيت منهم اثنين يختلفان، يحمدون الله علىٰ الخير ويستغفرون من الذنب(٣).

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٥/ ١٧٥).

(٢) شرح السُّنَّة (١/ ٢٠٩).

(٣) تهذيب الكمال (٥/ ٢٦).

ومن أدرك الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ تحدّث عن سعيهم في حوائجهم الدنيوية وكسبهم في معاشهم من غير أن يصدَّهم أو يشغلهم ذلك عن أداء حقوق الله.

قال قتادة رَحِمَهُٱللَّهُ(١): «كان القوم يتبايعون، ويتجرون، ولكنّهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتىٰ يؤدوه إلىٰ الله».

الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ اختصوا بفضائل عظيمة، أولها صحبة النبي ﷺ، قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «لمقام أحدهم ساعة في صحبة النبي ﷺ؛ خير من عمل أحدكم دهره»، رواه أحمد في فضائل الصحابة بإسناد حسن.

والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم الواسطة بين رسول الله ﷺ وأمته في تبليغ الدين، فحسنات الأمة كلها في موازينهم، قال النبي ﷺ: «**من دعا إلىٰ هدًىٰ؛ فله أجره وأجر من عمل به**»، رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الصحابة صلوا مع النبي ﷺ، وجاهدوا معه، وحجوا معه، وتلقوا علم الدين وأحكام الشرع منه مباشرة؛ فاختصوا بذلك دون سائر الأمة، ثم كانوا من الذين نقلوا إلينا أحكام ذلك.

ففضائل الأعمال اجتمعت في الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فكانوا كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكما قال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «الجهاد، والثاني: قيام الليل، الثالث: مذاكرة العلم، فاجتمعت في الصحابة بكمالهم وتفرقت فيمن بعدهم».

❁ ❁ ❁

(١) نقله عنه تلميذه ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١/ ١٢٠)، ط: دار الكتب العلمية.

٩٨- الحكم بالشرع

من أعظم خصال الخير في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأفضل مناقبهم؛ اتباعهم الوحي، وتحكيمه في أمورهم كلها، وهذا مما قاموا به جميعًا الولاة والرعية.

ولم يكن في الصحابة من يعارض أحكام الله، فضلًا عن أن يجعل نفسه ندًّا لله يصنع أحكامًا تضاهي أحكام الله، ويحكم بها ويجعلها حكمًا لازمًا للخلق.

ولزوم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لشرع الله؛ هو من أعظم حقائق إيمانهم، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

وكان تحكيم الصحابة للشرع وتحاكمهم إليه؛ هو من طمأنينتهم بأنّ الله أحسن وأعدل حكمًا من البشر؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وكان حكم الصحابة بالشرع وتحاكمهم إليه؛ هو من التوحيد الذي تلقوا معانيه عن النبي ﷺ، كما في تعليم النبي ﷺ لعدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والأمّة معنىٰ اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، وذلك باتباعهم وطاعتهم فيما أحلوه وحرموه وحكموا به مما يخالف حكم الله.

فالولاة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والأمراء علىٰ الأمصار في عهد النبي ﷺ

وبعده؛ لم يحكموا إلا بالشرع.

وبسبب الحكم بالشرع في عهد الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ حقَّقوا التوحيد، وساد العدل، وقويت دولة الإسلام، وتولَّاها الله حفظًا ونصرًا ورزقًا وهداية، وعزّ الإسلام، وصلح للناس دينهم ودنياهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[1]: «المقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق، الذين متىٰ فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا».

والحكم بالشرع هو الأمانة في الحكم، وهي التي ضُيعت في عصرنا إلا من وفَّقه الله للحكم به.

والحكم بالشرع هو القوة في الحكم، فيكون الله هو المطاع، ويجري حكمه في خلقه.

والحكم بالشرع هو العدل، فمن عدل عنه فقد جار في حكمه وأساء وظلم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ[2]: «القوة في الحكم بين الناس؛ ترجع إلىٰ العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلىٰ القدرة علىٰ تنفيذ الأحكام.

والأمانة ترجع إلىٰ خشية الله تعالىٰ، وترك خشية الناس، وألا يَشتري بآياته

---

(١) السياسة الشرعية (ص٣٠).

(٢) السياسة الشرعية (ص١٨).

ثمنًا قليلًا، وهذه الخصال الثلاث التي أخذها الله علىٰ كل حكم علىٰ الناس، في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ولهذا قال النبي ﷺ: «**القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة؛ فرجل عرف الحقَّ وقضىٰ بخلافه فهو في النار، ورجل قضىٰ للناس علىٰ جهل فهو في النار، ورجل علم الحقَّ وقضىٰ به فهو في الجنة**»، رواه أهل السنن».

وامتدح النبيُّ ﷺ خلافة النبوة بعده، وهذا دال علىٰ أنها ولاية حكمت بالشرع واتَّبعت الوحي، ولا تجد عبارة أفضل في تزكيتها ومدحها من وصفها بخلافة النبوَّة.

قال النبي ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء**»، رواه أبو داود والترمذي وحسنه[1].

قال سفينة الصحابي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ راوي الحديث: «خذ: سنتي أبي بكر، وعشرًا عمر، واثني عشرة عثمان، وستًّا عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ».

وولاية أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وإن كانت سنتين، إلا أنها بمقدار ما حصل فيها من تنفيذ أحكام الله بقتال المرتدين، وجهاد الروم بإنفاذ لواء رسول الله ﷺ الذي عقده قبل وفاته، وجهاد المجوس في العراق، وإقامة شرع الله في سياسة الدولة، وتحكيم الشرع في الأقضية والخصومات، كانت القوة في حفظ دولة الإسلام،

---

(١) نقل أبو زرعة الدمشقي في تاريخه (رقم ١١٥) تصحيحه عن الإمام أحمد.

وفي إجراء حكم الله في خلقه في أمصار الكفر.

وكان الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ شديدًا في ملازمة الحكم بالشرع، لا يحيد عنه، ولا يحابي فيه أحدًا، حيث قال: «إنِّي أخشىٰ إن تركت شيئًا من أمر رسول الله ﷺ أن أزيغ»، رواه البخاري ومسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «حكىٰ غير واحد من العلماء إجماع أهل السنة والجماعة علىٰ أنه أعلم الصحابة، فهو أعلمهم وأشجعهم وأجودهم وأدْيَنهم باتِّفاق أهل المعرفة من المسلمين، وأعظم علمه وإيمانه التصديق بالنصوص النبوية خبَرًا وأمرًا واتباعها، وأنّه لا يعارضها بشيء من تأويلاته».

وظهر عدل الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ونصحه للإسلام بمن ولّاهم القضاء وسائر الولايات، وما حصل من نصح من استعملهم من القيام بأمر الله.

قال محارب بن دثار: لما استُخْلف أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ استعمل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ القضاء، وأبا عبيدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ بيت المال، فمكث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنةً لا يتقدَّم إليه أحد[2].

وولي الخلافة عمر بعد الصدّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فأقام الله به العدل ونصر به الإسلام.

وكان في أخذ الفاروق الكتاب بقوة سبب عزِّ الإسلام، وحفظه، وظهوره، واستتباب العدل، واضمحلال الشرك والظلم.

وكان الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقوم بحقوق رعيته، ويأمر أمراءه وعماله بالعدل

(١) جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتوىٰ الحموية (ص٧٩).

(٢) أخبار القضاة (١/ ١٠٤).

فيهم ويُحذرهم من ظلمهم.

وقف الفاروق عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قبل وفاته بأيام علىٰ حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فقال: انظرا أن تكونا حَمَّلْتُما الأرض ما لا تطيق! فقالا: لا، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لئن سَلَّمَني الله عَزَّوَجَلَّ لأَدَعَنَّ أرامل أهل العراق لا يَحْتَجْنَ إلىٰ أحد بعدي أبدًا. رواه البخاري.

قال العلامة أبو المظفر يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٦٠هـ)**[١]: «في هذا الحديث من الفقه استظهار الإمام علىٰ عماله، وتخويفهم من أن يحيفوا علىٰ الرعية أو يُحَمِّلُوا الأرض ما لا تطيقه، مع جواز تفويضه ذلك إلىٰ الأمناء عنده».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قد كان لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا الباب من السياسات المحكمة، ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية، فإنّه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هو الذي استحالت ذنوب الإسلام بيده غربًا، فلم يفر عبقري فريه، حتىٰ صدر الناس بعطن، فأعز الإسلام، وأذلَّ الكفر وأهله، وأقام شعار الدين الحنيف، ومنع من كل أمر فيه تذرُّع إلىٰ نقض عرىٰ الإسلام، مطيعًا في ذلك الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، وقافًا عند كتاب الله، ممتثلًا لسنة رسول الله ﷺ، محتذيًا حذو صاحبيه، مشاورًا في أموره للسابقين الأولين، مثل: عثمان وعليٍّ وطلحة والزبير، وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم، ممن له علم، أو فقه، أو

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ١٧١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٢٤، ٢٢٥).

رأي، أو نصيحة للإسلام وأهله.

حتىٰ إن العمدة في الشروط علىٰ أهل الكتاب علىٰ شروطه، وحتىٰ منع من استعمال كافر أو ائتمانه علىٰ أمر الأمة، وإعزازه بعد إذ أذله الله، حتىٰ روي عنه أنه حرق الكتب العجمية وغيرها، وهو الذي منع أهل البدع أن ينبغوا، وألزمهم ثوب الصغار، حيث فعل بصبيغ بن عسل التميمي ما فعل في قصته المشهورة، وسيأتي عنه إن شاء الله تعالىٰ، في خصوص أعياد الكفار، من النهي عن الدخول عليهم فيها، ومن النهي عن تعلم رطانة الأعاجم؛ ما يبين به قوة شكيمته في النهي عن مشابهة الكفار والأعاجم، ثم ما كان عمر قد قرَّره من السنن والأحكام والحدود».

ومدح النبي ﷺ للخلفاء بعده ووصف ولايتهم بالنبوة؛ هو حثٌّ علىٰ التأسي بهم في سيرتهم في سياسة الدولة والأمة بالشرع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «إن الخلفاء الراشدين كلٌّ منهم موصوف بالفضائل التي سبقوا بها الخلق، وكان عثمان وعليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا متفاضلين في الحلم والشجاعة، وفي الزهد في المال والزهد في الرياسة، وفي الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، وفي العلم بالكتاب والعلم بالسنة، فيظهر فضل أحدهما في أحد النوعين كما يظهر فضل الآخر في النوع الآخر، وكما يظهر فضل أبي بكر وعمر في عامة ذلك».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)]: «هؤلاء الأربعة هم الذين يجب علىٰ

---

(١) السياسة الشرعية (ص٣٧).

(٢) السياسة الشرعية (ص٣٨).

المسلمين عمومًا، وعلىٰ العلماء والأمراء خصوصًا؛ أن ينظروا في سيرتهم ويقتدوا بهديهم بعد النبي ﷺ؛ فإنّه قد ثبت في «السنن» عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنّه قال: خطبنا رسول الله ﷺ خُطبة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأنّها موعظة مودِّع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوىٰ الله تعالىٰ، وعليكم بالسمع والطاعة، فإنّه من يعش منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنّ كل بدعة ضلالة**»».

❁ ❁ ❁

٩٩- موالاتهم موالاة للنبي ﷺ

بعث الله عَزَّوَجَلَّ محمدًا ﷺ بالإسلام، وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم الذين آمنوا به واتبعوه ونصروه وبلغوا عنه، قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هم الصفوة الذين اختارهم الله لاتباع النبي ﷺ وصحبته ونصرته وإقامة الدين، فبهم أُقيم الدين وهُدي الخلق، فعرف لهم النبي ﷺ قدرهم، ووالاهم، فكان ينتصر لهم، ويثني علىٰ صحبتهم وعلىٰ جهادهم ونصرتهم، ويستغفر لهم.

وكان النبيُّ ﷺ يُبيِّن للناس من هم أولياؤه من الصحابة المؤمنين ليواليهم المؤمنون، ويتبرَّأ من ولاية الكافرين ولو كانوا من قرابته.

ففي الصحيحين عن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنَّما وليِّي الله وصالحو المؤمنين**».

وهذه الموالاة عامة لكل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومن جملتهم الصحابة من آل البيت، رضي الله عن الجميع.

قال العلامة المجدّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ[١]: «من تمام الإيمان

(١) سؤال وجواب في أهم المهمات (ص١٨).

برسول الله ﷺ ومحبَّتِهِ؛ محبةُ أصحابه بحسب مراتبهم من الفضل والسَّبْقِ، والاعتراف بفضائلهم التي فاقوا فيها جميع الأمَّةِ، وأن تدين الله بحبهم ونشر فضائلهم، وتُمسك عمَّا شجر بينهم، وتعتقد أنّهم أولىٰ الأمَّة بكل خصلة حميدة، وأسبقهم إلىٰ كل خير، وأبعدهم من كل شر، وأنّهم جميعهم عدول مرضيون».

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بهم عُرف الإسلام، فهم أول من آمن به، وهم الذين أدَّوه إلىٰ الناس، فبدعوتهم أسلموا، وهم الذين تلقَّوا عن النبي ﷺ شرائع الإسلام وأظهروها في الأمصار، من أجل هذا سمىٰ الله سبيلهم سبيل المؤمنين، فالمؤمن يوالي السابقين للإيمان ويتبع سبيلهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وعقد الله الموالاة بين سابقي المؤمنين الصحابة من هذه الأمة مع من آمن بعدهم؛ فمن لم يوالهم فليس منهم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٧٥].

قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «عقد سبحانه الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وبين من آمن بعدهم وهاجر وجاهد إلىٰ يوم القيامة».

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (ص١١٥): ط ـ دار الفضيلة.

١٠٠- غيظ الكافرين

الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أعزَّ الله بهم الإسلام وأغاظ بهم الكفار؛ قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

فبموالاة الصحابة وحبهم يتميَّز المؤمن من الكافر؛ فمن أبغضهم فذلك من نفاقه وكفره ومعاداته لأولياء الله.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «من أصبح من الناس في قلبه غيظ علىٰ أحد أصحاب رسول الله ﷺ؛ فقد أصابته الآية».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء؛ فاتهمه علىٰ الإسلام».

وقال أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في الصحابة**[٣]: «حُبُّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

---

(١) النهي عن سب الأصحاب للضياء المقدسي (ص٨٧).

(٢) الصارم المسلول (ص٥٦٨).

(٣) العقيدة الطحاوية (ص٢٧٠، ٢٧١)، مطبوع ضمن متون التوحيد والعقيدة، ط: دار الآثار – القاهرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح: ٢٩]، فلا بُدَّ أن يغيظ بهم الكفار، وكذا كان الكفار يغاظون بهم، فمن غيظ بهم فقد شارك الكفار فيما أذلهم الله به وأخزاهم وكبتهم علىٰ كفرهم، ولا يشارك الكفار في غيظهم الذي كُبتوا به جزاءً لكفرهم إلا كافر، لأنّ المؤمن لا يكبت جزاءً للكفر.

يوضح ذلك أنّ قوله تعالىٰ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾؛ تعليق للحكم بوصف مشتق مناسب؛ لأنّ الكفر مناسب لأن يُغاظ صاحبه، فإذا كان هو الموجب لأن يغيظ الله صاحبه بأصحاب محمد؛ فمن غاظه الله بأصحاب محمد فقد وُجد في حقه موجب ذاك وهو الكفر».

فالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ السابقون الأولون المؤمنون، أولياء الله، أعلام الإسلام، أصحاب خير الأنام.

قال العلامة الفقيه أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من السنة تولِّي أصحاب رسول الله ﷺ، ومحبتُّهم، وذكرُ محاسنهم، والتَّرحُّم عليهم، والاستغفار لهم، والكفُّ عن ذكر مساويهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ

(١) الصارم المسلول (ص٥٧٩).

(٢) لمعة الاعتقاد (ص٣٤، ٣٥).

ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال النبي ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي؛ فإنّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»».

❁ ❁ ❁

الخاتمة

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سلف الأمة، رضي الله عنهم ورضوا عنه، نصروا الإسلام، وحفظوا شرائعه، وأدوا إلينا الدين، فكانوا السبب في إسلامنا، وقد عقد الله الموالاة بينهم وبين كل مسلم جاء من بعدهم إلىٰ يوم القيامة، ومن موالاتهم ذكر فضائلهم ونشر محاسنهم، والاستغفار لهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

ولشكر إحسان الصحابة الواجب ذكرت في هذا المؤلف بعض فضائلهم، وفضائلهم عظيمة وخصائصهم جليلة، ذكرت نزرًا يسيرًا من شمائلهم الحميدة؛ تذكيرًا بفضلهم وولاءً لهم، وولاءً لرسول الله ﷺ الذي صحبوه واتبعوه ونصروه.

ذكرت في هذا المصنف مرجعية الصحابة حيث كانوا الواسطة بين الرسول ﷺ والأمة في حفظ الشرع وتبليغه، وقد جعلهم الله عَزَّوَجَلَّ أئمةً للمسلمين، وأوجب علينا اتباعهم بإحسان؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فالمسلم لا يرتاب أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأنهم العمدة في نقل الدِّين إلىٰ الأمَّة، ومن نظر في سيرتهم بعدل وإنصاف؛ علم أنهم أتقىٰ الخلق، وأنّه ما كان ولا يكون مثلهم.

الصحابة رضي الله عنهم خصَّهم الله عَزَّوَجَلَّ بصحبة رسوله محمد ﷺ، والسبق إلىٰ الإسلام؛ فهم أول من آمن من هذه الأمة.

الصحابة رضي الله عنهم هم «خير الناس» بنص النبي ﷺ، بجهادهم ودعوتهم قام الإسلام، فمن أبغضهم وسبّهم وعاداهم ولم يتبع سبيلهم؛ فقد سعىٰ في هدم الإسلام، وله وعيد شديد من الله القوي العزيز الذي اصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ واتباعه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

الصحابة رضي الله عنهم اتبعوا الرسول ﷺ ونصروه في العسر واليسر والمنشط والمكره، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة: ٢٢].

الأمة كلها في آثار جهاد الصحابة رضي الله عنهم وعلمهم ودعوتهم؛ فهم السبب في وصول كل خير إلينا، فلهم من أجور الأمة إلىٰ يوم القيامة؛ لأنّهم المبلّغون لدين الله، مع أجور أعمالهم التي عملوها، فما أرفع درجاتهم عند الله! وما أعظم فضلهم علينا!

وما ذكرته من فضائل الصحابة رضي الله عنهم، وخصال الخير التي كانت فيهم؛ فإنّي لم أحط بذكر كل ذلك، وإنَّما ذكرت ما أدَّىٰ إليه جهدي علىٰ سبيل الاختصار، وأستغفر الله من تقصيري في ذكر مناقبهم، والله المستعان.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

دليل الموضوعات